من صنع الله؟

وإجابات عن أكثر من مئة من الأسئلة الصعبة الأخرى عن الإيمان

د. رافي زكارايوس

coptic-books.blogspot.com

Originally published in the U.S.A. under the title: **Who Made God?**
Copyright © 2003 by Ravi Zacharias and Norman Geisler
Translation copyright © 2011 By Norman L. Geiser; Ravi Zacharias
Translated by Juliana Khouri
Published by permission of Zondervan, Grand Rapids, Michigan

الطبعة الأولى ٢٠١١

الكتاب: **مَن صنع الله؟**
المؤلّف: د. راڤي زكارايوس

الناشر: دار منهل الحياة
بالاشتراك مع «خدمة راڤي زكارايوس حول العالم»
www.rzim.org
rzim4me@gmail.com

RZIM
RAVI ZACHARIAS INTERNATIONAL MINISTRIES

ترجمة: جوليانا خوري
تنقيح: القس ميشال خوري

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة

تصميم الغلاف: دار منهل الحياة
التصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص.ب. ١٦٥ منصورية، المتن – لبنان
هاتف: ٤٠١٩٢٢ ٤ ٩٦١+
فاكس: ٥٣٢٤٨١ ٤ ٩٦١ +
بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com
موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9953-530-33-8

جميع حقوق الطبع باللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر،
وللناشر وحده حق إعادة الطبع

المحتويات

مقدمة ٩
كلمة شكر ١١
المساهمون ١٣

الجزء الأول: أسئلة عن الإيمان المسيحي ١٧

الفصل الأول أسئلة صعبة عن الله ١٩
مَن صنع الله؟ ٢١
لماذا لا يمكن للكون أن يكون أزلي الوجود؟ ٢٣
كيف يمكن لله أن يصنع شيئًا من العدم؟ ٢٦
الله، ماذا كان يصنع قبل خلقه العالم؟ ٢٨
كيف يمكن لثلاثة أن يكونوا ثلاثة أقانيم ضمن الله الواحد؟ ٢٩
كيف يمكن لإله صالح أن يُرسل أناسًا إلى جهنم؟ ٣٠
كيف يمكن لله أن يكون محبًا وعادلاً في آن؟ ٣١

الفصل الثاني أسئلة صعبة عن الشرّ ٣٥
ما هو أصل الشرّ؟ ٤٠
ما هو قصد الله النهائي من السماح بوجود الشرّ؟ ٤٢
أليس من المستحسن أن يقضي الله على الشرّ حالاً؟ ٤٤
هل وجود الشرّ هو برهان على أنّ الله محدود؟ ٤٥
هل الشرّ مجرّد وهم؟ ٤٦
هل تستطيع حركة العصر الجديد التي تؤمن بعقيدة
«الكلّ هو الله» أن تقدّم تفسيرًا للشرّ؟ ٤٨
هل نحن مَن صنع واقعنا؟ ٥٠
هل يقدّم التقمّص تفسيرًا لوجود الشرّ؟ ٥١

الفصل الثالث أسئلة صعبة عن العلم ٥٩
هل العلم والمسيحية حليفان أم خصمان؟ ٦١
كيف ينبغي أن تكون عليه علاقة اللاهوت بالعلوم؟ ٦٤
كيف تصف العلوم الحديثة الكون؟ ٦٦
من أين أتى الكون؟ ٦٧

coptic-books.blogspot.com

Originally published in the U.S.A. under the title: **Who Made God?**
Copyright © 2003 by Ravi Zacharias and Norman Geisler
Translation copyright © 2011 By Norman L. Geiser; Ravi Zacharias
Translated by Juliana Khouri
Published by permission of Zondervan, Grand Rapids, Michigan

الطبعة الأولى ٢٠١١

الكتاب: **مَن صنع الله؟**
المؤلِّف: د. راڤي زكارايوس

الناشر: دار منهل الحياة
بالاشتراك مع «خدمة راڤي زكارايوس حول العالم»
www.rzim.org
rzim4me@gmail.com

ترجمة: جوليانا خوري
تنقيح: القس ميشال خوري

تصميم الغلاف: دار منهل الحياة
التصميم الداخلي: دار منهل الحياة

ص.ب. ١٦٥ منصورية، المتن – لبنان
هاتف: ٤٠١٩٢٢ ٤ ٩٦١+
فاكس: ٥٣٢٤٨١ ٤ ٩٦١ +
بريد إلكتروني: info@Dar-Manhal-Alhayat.com
موقع إلكتروني: www.Dar-Manhal-Alhayat.com

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9953-530-33-8

جميع حقوق الطبع باللغة العربية محفوظة للناشر وحده،
ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر،
وللناشر وحده حق إعادة الطبع

المحتويات

مقدمة ٩
كلمة شكر ١١
المساهمون ١٣

الجزء الأول: أسئلة عن الإيمان المسيحي ١٧

الفصل الأول أسئلة صعبة عن الله ١٩
مَن صنع الله؟ ٢١
لماذا لا يمكن للكون أن يكون أزلي الوجود؟ ٢٣
كيف يمكن لله أن يصنع شيئًا من العدم؟ ٢٦
الله، ماذا كان يصنع قبل خلقه العالم؟ ٢٨
كيف يمكن لثلاثة أن يكونوا ثلاثة أقانيم ضمن الله الواحد؟ ٢٩
كيف يمكن لإله صالح أن يُرسل أناسًا إلى جهنم؟ ٣٠
كيف يمكن لله أن يكون محبًا وعادلاً في آن؟ ٣١

الفصل الثاني أسئلة صعبة عن الشرّ ٣٥
ما هو أصل الشرّ؟ ٤٠
ما هو قصد الله النهائي من السماح بوجود الشرّ؟ ٤٢
أليس من المستحسن أن يقضي الله على الشرّ حالاً؟ ٤٤
هل وجود الشرّ هو برهان على أنّ الله محدود؟ ٤٥
هل الشرّ مجرّد وهم؟ ٤٦
هل تستطيع حركة العصر الجديد التي تؤمن بعقيدة «الكلّ هو الله» أن تقدّم تفسيرًا للشرّ؟ ٤٨
هل نحن مَن صنع واقعنا؟ ٥٠
هل يقدّم التقمّص تفسيرًا لوجود الشرّ؟ ٥١

الفصل الثالث أسئلة صعبة عن العلم ٥٩
هل العلم والمسيحية حليفان أم خصمان؟ ٦١
كيف ينبغي أن تكون عليه علاقة اللاهوت بالعلوم؟ ٦٤
كيف تصف العلوم الحديثة الكون؟ ٦٦
من أين أتى الكون؟ ٦٧

coptic-books.blogspot.com

ماذا نقصد بقولنا إنّ الكون مضبط بشكل دقيق جدًا؟ ٧٣
ماذا تعني فرضيّة وجود «عوالم متعدّدة»؟ ٧٦
كيف نفسّر ما هو الأصل الفعلي للحياة؟ ٨٠
كم استغرقت أيام الخلق بحسب سفر التكوين؟ ٨٤
هل نظرية الداروينية الحديثة صحيحة؟ ٨٧

الفصل الرابع أسئلة صعبة عن المسيح ٩٣
هل يمكن الوثوق بالمصادر المتعلّقة بحياة يسوع؟ ٩٨
هل ادّعى يسوع يومًا بأنّه الله؟ ١٠٦

الفصل الخامس المزيد من الأسئلة الصعبة عن المسيح ١١٣
هل حقًا اجترح يسوع المعجزات؟ ١١٥
هل أتمّ يسوع النبوّات المسيانية؟ ١٢٣
هل قام يسوع من بين الأموات؟ ١٢٨

الفصل السادس أسئلة صعبة عن الكتاب المقدّس ١٣٩
من أين أتى الكتاب المقدّس؟ ١٤٢
مَن كتب الكتاب المقدّس؟ ١٤٢
هل كان كُتّاب الكتاب المقدّس مجرّد موظفي سكرتاريا
يعملون لحساب الروح القدس؟ ١٤٤
مَن كان النبي خلال أزمنة الكتاب المقدّس؟ ١٤٥
هل كان بإمكان الأنبياء أن يضيفوا آراءهم الخاصة إلى رسالة الله؟ ١٤٦
كيف كان الأنبياء يتلقّون رسائلهم من الله؟ ١٤٧
هل كان مسموحًا للأنبياء أن يغيّروا الكلام الذي أعطاه الله؟ ١٤٧
ماذا تعني بقولك «الكتاب المقدّس هو كلمة الله»؟ ١٤٨
كيف يدّعي الكتاب المقدّس أيضًا بأنّه كلمة الله؟ ١٥٠
هل فعلاً يدّعي الكتاب المقدّس صراحةً بأنّه كلمة الله؟ ١٥١
هل يدّعي الكتاب المقدّس بأنّه ذو سلطة إلهية؟ ١٥٢
إلى أي حدّ يمتدّ سلطانه الإلهي هذا؟ ١٥٢
ماذا تعني بقولك إنّ الكتاب المقدّس موحًى به؟ ١٥٣
هل ألفاظ الكتاب المقدّس بالذات موحًى بها من الله
أم الأفكار فقط؟ ١٥٣

هل يدّعي الكتاب المقدّس الوحي في جميع مواضيعه،
أم هل يقتصر ذلك على المسائل الروحية فقط؟ ١٥٥
كيف يسيء بعض الأشخاص فهمَ ما هو المقصود
بالوحي الإلهي للكتاب المقدّس؟ ١٥٦
كيف لنا أن نتأكّد من أنّ هذه المسائل التي يُساء فهمها،
لا تشكّل جزءًا ممّا يشمله الوحي؟ ١٥٧
أليس الكتاب المقدّس كتابًا بشريًا أيضًا؟ ١٥٨
هل في الكتاب المقدّس أخطاءٌ؟ ١٦٠
هل تحتوي مخطوطات وترجمات الكتاب المقدّس على أخطاء؟ ١٦١
كيف يمكن للكتاب المقدّس أن يكون كلام الله وكلام الإنسان في آن؟ ١٦٣
هل كان بالإمكان الوثوق بشهود الكتاب المقدّس؟ ١٦٤
لماذا يرفض أعضاء جماعة «سمينار يسوع»
الوثوق بشهود العهد الجديد؟ ١٦٦
هل كان من الممكن لشهود العهد الجديد أن يصمدوا
في شهادتهم أمام محكمة للقانون؟ ١٦٩
هل يمكن الوثوق بنسخ الكتاب المقدّس؟ ١٦٩

الجزء الثاني: أسئلة حول أديان أخرى ١٧٣

**الفصل السابع أسئلة صعبة عن الكتاب المقدّس، الأنبياء الكذبة
والكتب المقدّسة لدى الديانات الأخرى** ١٧٥
ما هي الأدلّة المتوافرة والتي تُثبت ما يدّعيه
الكتاب المقدّس بأنّه موحًى من الله؟ ١٧٣
هل من أدلّة أخرى تُثبت أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله؟ ١٧٩
ألم تتحقّق العديد من نبوّات الوسطاء الروحيين
مثل أنبياء الكتاب المقدّس؟ ١٨٠
ألم يتنبأ نوستراداموس بتنبوّات خارقة؟ ١٨١
هل تُخفق تنبّوات نوستراداموس في اجتياز امتحان النبي الحقيقي؟ ١٨١
ما هي الإمتحانات لكشف النبي الكذّاب؟ ١٨٣
هل نجح كُتّاب الكتاب المقدّس في اجتياز هذه المعايير؟ ١٨٤
لماذا لا يمكن لكتب الديانات الأخرى أن تكون هي أيضًا من الله؟ ١٨٥

coptic-books.blogspot.com

أليس من التعصّب الادّعاء بأنّ ديانة واحدة فقط تملك الحق؟ ١٨٦
هل العهد القديم مكتمل؟ ١٨٧
ما هي شهادة الديانة اليهودية على اكتمال العهد القديم؟ ١٨٧
ماذا قال يسوع عن اكتمال العهد القديم؟ ١٨٨
ماذا قال المسيحيون الأوّلون عن اكتمال العهد القديم؟ ١٨٩
هل قامت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بإضافة
أسفار إلى العهد القديم اليهودي؟ ١٩٠
كيف نعرف أنّ العهد الجديد قد اكتمل؟ ١٩١
ما هو الوعد الذي قطعه يسوع بخصوص جمع أسفار العهد الجديد؟ ١٩٢
ماذا قال تلاميذ يسوع بخصوص العهد الجديد؟ ١٩٣
ما هي الأدلّة التي أظهرها الرسل لإثبات سلطانهم؟ ١٩٤
هل حُفظَت جميع الكتابات الرسولية والنبوية في العهد الجديد؟ ١٩٥
كيف يُمكن لشخص الله أن يضمن ويؤكّد حقيقة اكتمال العهد الجديد؟ ١٩٥
هل حافظت الكنيسة بكلّ حرص على العهد الجديد بأكمله؟ ١٩٦
هل الكتاب المقدّس بأكمله مكتمل؟ ١٩٧
ما هو سبب ذكر الكتب غير الموحى بها في الكتاب المقدّس؟ ١٩٨
هل يؤمن المورمون بأنّ الكتاب المقدّس موحًى به من الله؟ ١٩٨
هل من تأكيد على أنّ كتابات المورمون هي من الله؟ ١٩٩
هل من دليل على أنّ كتاب المورمون موحًى به؟ ٢٠٠

الفصل الثامن أسئلة صعبة عن الهندوسية والتأمّل التجاوزي ٢٠٣
ما هو سبب اهتمام الغربيّين الشديد بالديانات الشرقية؟ ٢٠٧
ما هي العقائد الأساسية للهندوسية؟ ٢١١
ما هو التأمّل التجاوزي؟ ٢١٨

الفصل التاسع أسئلة صعبة عن اليوغا والتقمّص والبوذية ٢٢٣
ماذا تعني اليوغا وما هو التعليم الكامن وراءها؟ ٢٢٦
ما هو التقمّص؟ ٢٣٠
ما هي عقائد البوذية؟ ٢٣٦
مصادر لأبحاث معمّقة Resources for Digging Deeper ٢٤٧
ملاحظات Notes ٢٥٣

مقدمة

أذكر بوضوح جدًا عندما كنت فتًى أترعرع في الهند، يوم وضعتْ أمي قطعة حلوى لذيذة في يدي. وبسرور، ذهبت إلى الخارج حيث رحت أستمتع بكل لقمة شهية أقضمها من تلك الحلوى، متمنّيًا لو أنها لن تنفد أبدًا. فجأةً، من حيث لا أدري، انقضّ نسرٌ عليّ، وبسرعة تفوق حدّ النظر أو الخيال، اختفى الطعام من يدي وجُرِحَ جانبٌ من وجهي بفعل مخالبه. وقفت هناك مذهولاً جراء ما حصل. وكانت ردّة فعلي الغريزية أن أركض إلى البيت باكيًا وطالبًا العزاء من أمي، راجيًا أن تعوّضني خسارتي. ولكن ما حصلت عليه هو تحذير شديد اللهجة بأن أتنبّه لتحليق الضواري المستمرّ، والذي بإمكانه في أية لحظة أن يتركني فارغ اليدين.

لقد عاودتني ذكرى هذا الاختبار بينما كنت أفكّر في الخسائر التي مُنيَت بها ثقافتنا عبر العقود الثلاثة الأخيرة. فنحن كمسيحيين كنا نتجوّل سعداء في جميع أنحاء الأرض حاملين بأيدينا الكتاب المقدّس كارزين به، ولكن غير آبهين لمعشر المخرّبين الساعين لانتزاعه منا حتى نُمسي نسير على غير هُدًى، ينتابنا شيء من الضياع. تُعدّ هذه الصورة وصفًا حقيقيًا لحالة الكثيرين في وسطنا الذين يأتون مترنّحين كالسكارى إلى كنائسنا بحثًا عن النجدة والعزاء.

لقد حثّ بولس تيموثاوس على حفظ الوديعة التي أُعطيت له (انظر ١تيموثاوس ٦: ٢٠). وبالمثل، نحن أيضًا مدعوون أن نفعل الشيء عينه في زمننا هذا. لذلك، عندما اقترح نورمان جايزلر Norman Geisler أن نتشارك في تحرير هذا الكتاب، جاءت ردّة فعلي ممزوجة بالبهجة والخوف في آن – أمّا البهجة فبسبب وجود حاجة إلى هذا الكتاب، وأمّا

coptic-books.blogspot.com

الخوف فلأن نورمان جايزلر كان مدرّسي أثناء تحصيلي الجامعي. لقد ظلّ منذ ذلك الحين إلى الآن، معلّمًا لي من خلال كتاباته، وموردًا لكلّ ما أحتاج إليه في دراساتي عن علم الدفاع المسيحي. ولقد أثّرت فيّ حضارتي لكي أعتقد أنه لمن الجرأة بمكان أن يضع طالب اسمه جنبًا إلى جنب اسم ذاك الذي تعلّم منه، إذ لا يمكن للطالب أن يردّ الدَّين المترتّب عليه تجاه معلّمه. وافقتُ على أن أكون جزءًا من هذا المشروع بخوفٍ شديد، ولكن أيضًا بامتنان عميق للأمور التي تعلّمتها منه ومن آخرين غيره.

أقول كل هذا لأشدّد على أننا نعيش في زمن تحتاج فيه الكنيسة أشدّ الحاجة إلى هذا الصنف من التعليم. وفي دراسة كهذه، يُتاح لنا مجال الاطّلاع على نتاج بعض من خيرة العقول. من البديهي القول إنه كان باستطاعتنا أن نضيف إليهم عددًا من المساهمين الآخرين. ولكننا اكتفينا بعدد محدود فقط ليبقى حجم الكتاب معقولاً. ولدينا هنا، حسب اعتقادي، مخزون رائع من المفكّرين الذين هم أيضًا ممارسون.

إنه لَمِن الشّرف أن يتعلّم المرء من هؤلاء الرجال. فهم يساعدوننا على حفظ وديعة إنجيل يسوع المسيح المجيدة. وإن لم نتعلّم كيفية حفظها، فسنذرف الدموع ونرثي حقيقة كون مخالب الشكّ قد انتزعت من أيدينا كلمة الله المغذّية، الرجاء الوحيد الذي عليه يتوقّف بقاء المجتمع. أودّ أن أشيد بالدكتور جايزلر وبالآخرين الذين قدّموا لنا نظرتهم إلى مواضيع هامّة كهذه. إنه لشرفٌ لي أن أكون جزءًا من هذه المغامرة. أرجو أن تجعلنا جهودهم المشتركة مجهّزين بطريقة أفضل لعرض جمال رسالة الإنجيل وقوّتها إلى عالم مرتبك ومضطرب.

راڤي ك. زكارايوس

Ravi K. Zacharias

كلمة الشكر

لقد شارك العديد في إنتاج هذا العمل. ففي بدايته، قامت جوان كاتيل Joan Cattell، وهي الباحثة المساعدة لنورمان جايزلر، وعملت بجدّ لوضع عملِ كلٍّ مساهم في مكانه. كان صبرها مثالاً جيدًا لصبر المدافع المسيحي اللطيف. وعندنا أيضًا دانييل دورانت Danielle DuRant، الباحثة المساعدة لراڤي زكارايوس، التي أدّت مهام مديرة التحرير، عاملةً بعدم أنانية وعلى مدار الساعة، لتقدّم المخطوطة إلى الناشر بصورة منظّمة ومكتملة. لولاها لما استطعنا الالتزام قطّ بالمُهل الزمنية المحدّدة. إننا نُعرب لها عن شكرنا الصادق. كما يستحقّ المشاركون في هذا الكتاب وأسرة التحرير في دار «زوندرڤان» Zondervan خالص شكرنا. ونحن ممتنّون لله لأنّ هذا النتاج قد بلغ أخيرًا مرحلة الطباعة.

ملاحظة: إنّ الآراء المُعرب عنها في هذه الفصول، لا تعكس جميعها وجهة نظر المحرّرين.

coptic-books.blogspot.com

المساهمون

وليَم لين كريغ William Lane Craig

إنّ وليَم لين كريغ هو أستاذ الأبحاث الفلسفية في كلية اللاهوت تالبوت Talbot في لاميراندا La Miranda، كاليفورنيا. لقد حاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برمنغهام Birmingham، إنكلترا، وذلك قبل نيله الدكتوراه في اللاهوت من جامعة لودڤغ ماكسيميليانز Ludwig-Maximilians-Universität في مونخن München، ألمانيا، حيث عمل لمدة سنتين عضوًا إداريًّا في مؤسسة الإسكندر ڤون هامبولت – شتِفتونغ Alexander von Humboldt-Stiftung. قبل تعيينه في جامعة تالبوت، أمضى سبع سنوات في المعهد العالي للفلسفة في الجامعة الكاثوليكية في لوڤن Leuven، بلجيكا. لقد ألّف أكثر من اثنَي عشر كتابًا، بما فيها «الحجة الكونية في علم الكلام» *The Kalam Cosmological Argument*، «المعرفة الإلهية المسبقة والحرية البشرية» *Divine Foreknowledge and Human Freedom*، «الإعتقاد بوجود الله، الإلحاد، وعلم الكون الناتج عن الإنفجار الكبير» *Theism, Atheism, and Big Bang Cosmology*، هذا بالإضافة إلى ما يُقارب مئات المقالات في مجلات متخصّصة في علم الفلسفة واللاهوت، بما فيها «مجلة الفلسفة» *The Journal of Philosophy*، «المجلة الفلسفية الأمريكية الفصلية» *American Philosophical Quarterly*، «دراسات فلسفية» *Philosophical Studies*، «علم الفلسفة» *Philosophy*، و«المجلة البريطانية لفلسفة العلم» *British Journal for Philosophy of Science*.

coptic-books.blogspot.com

نورمان جايزلر Norman Geisler

نورمان جايزلر حائزٌ على جوائز كمؤلف أو مشارك في تأليف أكثر من خمسين كتابًا ومئات المقالات. علّم في الجامعة على مستوى الدراسات العليا لمدة ثلاث وأربعين سنة، وقد ألقى محاضرات وشارك في مناظرات في الولايات الأمريكية الخمسين جميعها وفي ستة وعشرين بلدًا أيضًا. تلقّى تعليمه في كلية وليَم تاينديل William Tyndale College وجامعة ويتن للدراسات العليا Wheaton Graduate School، يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لويولا Loyola University وهو يشغل الآن منصب رئيس كلية اللاهوت الإنجيلية الجنوبية Southern Evangelical Seminary في شارلوت Charlotte، بكارولاينا الشمالية North Carolina. يُستخدم العديد من مؤلفات الدكتور جايزلر ككتب دراسية في كليات ومعاهد مسيحية، ومن هذه الكتب «مقدّمة عامة للكتاب المقدّس» *A General Introduction to the Bible*، «عندما يسأل المشكّكون» *When Skeptics Ask*، «عندما يسأل النقّاد» *When Critics Ask*، «علم الدفاع المسيحي» *Christian Apologetics*، و«موسوعة بايكر لعلم الدفاع المسيحي» *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*.

لورانس ثيودور جياشاندران Lawrence Theodore Jeyachandran

ل. ث. جياشاندران هو مدير الإرساليات التابعة لخدمات رافي زكارايوس العالمية في سنغافورة. يتحدّر من جنوب الهند، وحاز على شهادة الماجستير في التكنولوجيا في حقل الهندسة المعمارية، من المعهد الهندي للتكنولوجيا، المعهد المشهور والذائع الصيت في شنّاي Chennai. عمل جياشاندران لصالح الحكومة المركزية الفدرالية، وفي مناطق عدة من الهند، على مدى ثماني وعشرين سنة، بصفة مهندس مدني متقدّم. وفي عام ١٩٩٣، تقاعد من عمله الحكومي هذا، قبل بلوغه السنّ القانونية، من أجل الالتحاق بخدمات رافي زكارايوس العالمية في

الهند متبوّئًا منصب مدير الخدمات. إنه تلميذ مجتهد ونشيط جدًا في تعلّم اللاهوت والمقارنة بين الأديان. كما أنه مهتمّ أيضًا بدراسة اللغة الهندية إلى جانب لغات أجنبية أخرى.

رونالد رودز Ronald Rhodes

الدكتور رونالد رودز هو رئيس خدمات المحاججات المنطقية من الكتاب المقدّس Reasoning from the Scriptures Ministries، وهي منظمة مختصّة بالدفاعيات المسيحية، ومركزها في فريسكو Frisco، تكساس Texas. لقد علّم مساقات عدّة في مؤسسات تعليمية كجامعة بيولا Biola University، وكلية اللاهوت الإنجيلية الجنوبية Southern Evangelical Seminary، وكلية دالاس للاهوت Dallas Theological Seminary. ومن جملة مؤلفاته: «الكتاب الشامل لأجوبة الكتاب المقدّس» *The Complete Book of Bible Answers*، «التحدي المتمثّل في البدع والديانات الجديدة» *The Challenge of the Cults and New Religions*، «المحاججة المنطقية من الكتاب المقدّس مع شهود يهوه» *Reasoning from the Scriptures with Jehovah's Witnesses*، و«أعثرْ عليها بسرعة: موسوعة الكتاب المقدّس العمليّة» *Find it Fast: Handy Bible Encyclopedia*.

لي ستروبل Lee Strobel

لي ستروبل Lee Strobel هو مؤلّف كتب حائزٌ على جوائز عدّة، ومتكلّمٌ ذائع الصيت، وراعٍ معلّم في كنيسة جماعة سادلباك ڤالي Saddleback Valley Community Church في مقاطعة أورنج Orange County في كاليفورنيا، حيث يعظ بانتظام أمام الحاضرين والمسيحيين الذين يربو عددهم على الخمسة عشر ألفًا، والذين يتوافدون إلى الكنيسة في نهاية كلّ أسبوع. هو ملحدٌ سابق يحمل شهادة الماجستير في الدراسات القانونية من جامعة ييل للحقوق Yale Law School، وقد كان المحرّر القانوني لجريدة «شيكاغو تريبيون» *Chicago Tribune*، والحائز على جائزة قبل تحوّله إلى المسيحية

coptic-books.blogspot.com

عام ١٩٨١. من جملة مؤلفاته كتابان نالَ على أثرهما ميداليَّتين ذهبيَّتين، وهما: «داخل عقل هيري وماري اللذين لا يترددان على الكنيسة» *Inside the Mind of Unchurched Harry & Mary*، الحقائق الداعمة لقضية المسيح *The Case for Christ*، هذا الكتاب الذي احتلّ المرتبة الأولى على لائحة الكتب المسيحية الأكثر مبيعًا. وتتضمّن مجموعة مؤلفات ستروبل أيضًا الكتب التالية: «إدّعاء الله الكفيل بأن يصدمنا» *God's Outrageous Claim*، «ماذا كان سيقول يسوع» *What Jesus Would Say*، «الحقائق الداعمة لقضية الإيمان» *The Case for Faith*. هو عضوٌ مؤسِّس في مجلس إدارة جمعية ولّو كريك Willow Creek Association، وهي شبكة تتألّف من خمسة آلاف كنيسة تسعى لتوصيل رسالة المسيح إلى الباحثين عن الحقّ الروحي، كما أنه أيضًا الضيف الدائم على برنامج المجلة السمعية الشهرية، «اللحظات المحدّدة لهويتنا» *Defining Moments*.

روبرت وايت Robert White

تخرّج روبرت وايت Robert White من جامعة أوبُرن Auburn University في مونتغومري Montgomery ألاباما Alabama بشهادة بكالوريوس في العدالة الجنائية، وبشهادة دكتوراه في الفقه من كلية جونز للحقوق Jones School of Law (أيضًا في مونتغومري Montgomery). وفي أثناء دراسته في جونز انتُخب رئيسًا للجمعية المسيحية القانونية Christian Legal Society، والممثّل عن الطلاب ضمن جمعية اتحاد محامي ألاباما Alabama Lawyers Association. دُعي إلى الخدمة سنة ١٩٩٤ وهو قسٌّ مرسوم يعمل تحت رعاية المجمع المعمداني الجنوبي. أنشأ وأنتج برنامج الحوار الإذاعي الموجّه إلى الشباب تحت عنوان «مُخلَّصون بالنعمة» *Saved By Grace*. كما أنه ساهم في العديد من الخدمات المحلّية للتبشير وفي مشاريع التنمية للمجتمع المحلّي. روبرت وايت هو حاليًا القسيس المساعد في الكنيسة المسيحية للجماعة المركزية Central Community Christian Church في مونتغمري Montgomery.

الجزء الأول

أسئلة عن الإيمان المسيحي

coptic-books.blogspot.com

الفصل الأول

أسئلة صعبة عن اللّه

نورمان جايزلر Norman Geisler

coptic-books.blogspot.com

ابنتي روث، وهي زوجة راع، قالت لابنها البكر صموئيل، الذي كان يبلغ الأربع سنوات من العمر آنذاك، «اذهب واسأل جدك.» بعد لحظة، وُجِّهَ إليَّ السؤال الصعب التالي: «جدّي، أين يكمن العقل داخل الدماغ؟» قد يسهل شرح الإجابة عن مثل هذا السؤال لطالب أو باحث في الفلسفة على مستوى جامعة أو كلية لاهوت، الضليع بمفهوم الخطإ الفئوي. ولكن كيف عساك أن تشرح ذلك لطفل في الرابعة من العمر؟

إن الأهل والقادة في الكنيسة، الذين يتعاملون مع الأطفال، يعلمون جيدًا كيف أن الأسئلة الأكثر صعوبة تصدر عادةً عن أصغر الأعضاء سنًا في الكنيسة. وغالبًا ما تكون هذه الأسئلة عن الله - مثل: «أبي، من صنع الله؟» لقد سمع العديد من الأهل هذا السؤال من قبل، ولكنّ قلّة منهم فقط الذين يستطيعون الإجابة عنه.

يجب أن نكون مستعدين لتقديم إجابةٍ (١بطرس ٣:١٥) عن كلّ سؤالٍ يُطرح علينا بصدق (كولوسي ٤:٦). في ما يلي بعضٌ من أصعب الأسئلة التي طُرحت عليَّ على مرّ السنوات الخمسين من خدمتي. سوف أحاول جاهدًا الإجابة عنها، بحيث تكون إجاباتي مفهومة حتى لدى الصغار في السن.

مَن صنع الله؟

مَن صنع الله؟ لا أحد. فهو لم يُصنع. لقد كان دائمًا موجودًا. إنّ الأشياء التي لها بداية، مثل الكون، هي وحدها تحتاج إلى صانع. لم يكن لله بداية، إذًا، لم يكن بحاجة إلى مَن يصنعه.

coptic-books.blogspot.com

ولِمن هم أكبر قليلاً في السن، يُمكن إضافة المزيد في هذا. تقليديًا، يعتقد معظم الملحدين الذين يرفضون حقيقة وجود الله أنّ الكون لم يُصنع، لكنه كان موجود «هناك» منذ الأزل. إنهم يدعمون حجّتهم هذه بالرجوع إلى القانون الأول للديناميكا الحرارية: يصرّون على أن «الطاقة لا يمكن صناعتها ولا تدميرها.» وللردّ على هذا، يجب ملاحظة أمور عدة.

أولاً، إن هذه الطريقة في صياغة القانون الأوّل ليست علمية، بل هي بالأحرى توكيد فلسفيّ. العلم يرتكز على الملاحظة. لكن، لا يتوافر لدينا أيّ دليل مبني على الملاحظة العلمية من شأنه دعم فكرة ما «يمكن» أو «لا يمكن» حصوله، والمذكورة ضمنًا في هذا التصريح. كان يجب صياغة هذا القانون على النحو التالي: «(بقدر ملاحظاتنا له)، إنّ كمية الطاقة الفعلية داخل الكون تبقى ثابتة»، بمعنى أن لا أحد لاحظ عملية دخول أية طاقة جديدة إلى الوجود أو انعدامها منه. وعندما يُفهم القانون الأول بشكل صحيح وعلى حقيقته، نجد أنْ لا علاقة له البتة بأزلية وجود الكون وبأن لا بداية له. وبالنسبة إلى القانون الأول، يُمكن للطاقة أن تكون قد خُلقت أو لم تُخلق. إذًا، هذا القانون بكل بساطة، يجزم بأنه إن كانت الطاقة قد خُلِقت، فإنّ كميّة هذه الطاقة المخلوقة، على حدّ علمنا، قد بقيت ثابتة منذ خلقها.

بالإضافة إلى ذلك، لنفترض على سبيل الجدال أنّ الطاقة، أي الطاقة الكونية كلّها في الذي نطلق عليه اسم الكوزموس، لم يُخلق، كما كان يعتقد العديد من الملحدين تقليديًا على مرّ العصور. إن كان الأمر كذلك، فلا معنى من أن نسأل مَن صنع الكون. وإن كانت الطاقة أزلية وغير مخلوقة، فبكلّ تأكيد لم يخلقها أحد. غير أنه إن كان لا معنى من طرح السؤال «مَن صنع الكون؟» لأنه أزلي الوجود، فإنه لا معنى أيضًا من أن نسأل «مَن صنع الله؟» بما أنه هو أيضًا موجود منذ الأزل.

إن كان الكون غير أزلي، فهو في حاجة إلى مُسبِّب. من جهة أخرى، إن لم يكن له بداية، فلا يكون في حاجة إلى مسبب لبدايته. كذلك الأمر، إن كان الله الذي لا بداية له موجودًا، فلا يُعقل أن نسأل: «مَن صنع الله؟» إنه حقًا لخطأ فئوي أن نسأل: «مَن صنع غير المصنوع؟» أو «مَن خلق غير المخلوق؟» كمن يسأل: «أين زوجة العازب؟»

لماذا لا يمكن للكون أن يكون أزلي الوجود؟

يؤمن المسيحيون بشكل طبيعي بلزوم وجود الله، لأنّ للكون بداية. وكلّ ما كان له بداية، لا بدّ أن يكون له بادئ. ولكن السؤال الذي يصعب الإجابة عنه هو: كيف نعلم أنّ للكون بداية. لربما، كان الكون أزليّ الوجود.

يطرح الملحد الشهير بيرتراند راسل Bertrand Russell المعضلة التالية: إمَّا أن يكون للكون بداية، وإما ليس له بداية. إن لم يكن للكون بداية، فلا يعود في حاجة إلى مُسبّب (الله). وإن كان له بداية، فيمكننا أن نسأل: «مَن تسبَّب بوجود الله؟» ولكن إن كان لله مسبّب، فهو ليس الله. وفي كلتا الحالتين، لا نتوصَّل إلى مُسبِّب أول لا مُسبِّب له (الله).

الردّ على هذا السؤال الصعب، هو، أنه هو أيضًا، يطرح سؤالاً لا معنى له: «مَن صنع الله؟» بطريقة أخرى، هذا السؤال يفترض خطأً أنّ «كلّ شيء ينبغي أن يكون له مُسبِّب.» بينما الإدعاء هو «كلّ ما له بداية، يجب أن يكون له مُسبِّب.» هذا الأمر مختلف تمامًا. بالطبع، كل ما له بداية كان هناك من أبدأه، اللاشيء لا يستطيع أن يصنع شيئًا. وكما غنَّت جولي آندروز Julie Andrews مرّة: «لا شيء أتى من لا شيء، فهذا الأمر مستحيل حدوثه.» إذًا، الله ليس في حاجة إلى مُسبِّب، وذلك لأنّ ليس له بداية.

بناءً على ما سبق، يبقى علينا فقط أنّ نبيّن أنّه كان للكون بداية، لنُظهر بالتالي ضرورة وجود مسبِّب له (أي الله). سوف أقدّم حجّتين

coptic-books.blogspot.com

قويّتين كبرهان على أنّه كان للكون بداية. إحداهما مستقاة من العلم، وتتعلّق بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية – والثانية من الفلسفة، وترتكز بالتحديد، على استحالة وجود عدد لامتناهٍ من اللحظات.

وفقًا للقانون الثاني للديناميكا الحرارية، إن الكون ينفد من الطاقة الصالحة للاستعمال.[1] لكنْ إن كان الكون ينقص، فهذا يعني أنه لا يمكنه أن يكون أزليًا. وإلا لكان قد فرغ من الطاقة كليًا لحدّ الآن. ففي حين لا يمكن أن تنفد كمية لامتناهية من الطاقة، يبقى أن نفاد كمية محدودة من الطاقة، لا يحتاج إلى أبدية. لذلك، لا بدّ للكون أن يكون له بداية. لتوضيح هذا الأمر، في كل سيارة كمية محدودة من الطاقة (البنزين). من هنا ضرورة إعادة تزويدها بالوقود من فترة إلى أخرى، ربما أكثر مما نرغب. لو كان لدينا خزان وقود غير محدود (لامتناهي)، لا نعود نُضطر إلى التوقف مجددًا للتزوّد بالوقود. إنّ حقيقة وجوب إعادة تعبئة الخزان بالوقود، تُثبت أنّه قد تمّ أصلاً تعبئة هذا الخزان. أو، بالاستعانة بمثال آخر، فالساعة القديمة التي ينحلّ نابضها تدريجيًا وتصبح في حاجة إلى إعادة تعبئة من طريق التدوير، لم يكن لينحلّ نابضها لو لم يكن قد جرى تعبئته في البداية. وباختصار، الكون، كان له بداية. وكلّ ما له بداية ينبغي أن يكون له بادئ. بناء على ذلك، لا بدّ للكون أن يكون له مُسبِّب (الله).

لقد ظنّ بعضهم أنّ الكون يملك القدرة على تعبئة أو إنهاض ذاته بذاته. ولكنّ الفكرة هذه، ما هي إلا مجرَد ظنون من دون أية دلائل. لا بل هي في الحقيقة تناقض القانون الثاني للديناميكا الحرارية. لأنه وإن كان الكون يشهد ارتدادًا، كالكرة المرتدة في الاتجاه المعاكس، فإنّ ارتداده هذا سوف يتلاشى تدريجيًا. لا يوجد ببساطة أيّ دليل مبني على الملاحظة العلمية للتأكيد على أنّ الكون قادر على تعبئة ذاته بذاته. وحتى علماء الفلك اللاأدريون أنفسهم أمثال روبرت جاسترو Robert Jastrow، صرّحوا بالقول: «عندما يكون غاز الهايدروجين قد احترق داخل تلك النجمة وتحوّل إلى عناصر أثقل، لا يعود بالإمكان إعادته

أبدا إلى حالته الأصلية الأولى.» هذا يعني، «مع مرور الدقائق والسنين، وبينما تستهلك النجوم غاز الهايدروجين، يبدأ مخزون هذا العنصر يقلّ تدريجيًا.»[2]

إن كانت الكمية الإجمالية للطاقة الفعلية في الكون تبقى على حالها، بينما الكون ينفد من الطاقة القابلة للاستخدام، فإنّ الكون في هذه الحال، لم يسبق له أن امتلك طاقة غير محدودة، ذلك لأنّ الطاقة اللامتناهية لا يمكنها أن تنفد أبدًا. هذا يعني أنّ الكون لم يكن بإمكانه أن يوجد منذ الأزل، ولا بدّ أن كانت له بداية. أو، بعبارة أخرى، وفقًا للقانون الثاني، بما أنّ الكون بات يتخبّط أكثر فأكثر في حالة من الفوضى وعدم الترتيب، لا يمكنه في هذه الحال أن يكون أزليًا. وإلاّ، لكانت الفوضى قد دبّت فيه بالكامل لحدّ الآن، الأمر الذي لا يصحّ على عالمنا الحاضر. لذلك، لا بدّ أنه كان لعالمنا بداية في غاية الترتيب والنظام.

الحجَّة الثانية على أنَّ للكون بداية، وبالتالي بادئًا، تأتي من الفلسفة. وهي أنّه لا يمكن أن يكون هناك عدد لا متناهي من اللحظات قبل اليوم، وإلا لما كان اليوم موجودًا (لكنه موجود). هذا لأنّ اللانهائي، بحسب تعريفه، لا يمكن تجاوزه، فإنه لا نهاية له (أو بداية). لكن، بما أنّ اللحظات التي سبقت اليوم قد تمّ تجاوزها، إذ قد وصلنا إلى اليوم، فهذا يعني أنه كان لا بدّ من وجود عدد محدّد (محدود) من اللحظات قبل اليوم. أي، كان للوقت بداية. ولكن، إن كان للكون المبني على بُعدي المكان والزمان بداية، فلا بدّ في هذه الحال أن يكون هناك علّة ما تسبّبت بوجوده. إن هذه العلة وراء كلّ ما هو موجود، تُدعى **الله**. إذًا، **الله** موجود.

حتى إن المشكّك العظيم دايفد هيوم David Hume نفسه، قد تبنّى هاتين الفرضيَّتين في إطار هذه الحجة الداعمة لوجود **الله**. وفوق كلّ ذلك، هيوم نفسه لم يُنكر قط وجود علّة وراء وجود الأشياء. وقد كتب، في هذا السياق: «لم أجزم قط تسليمي بفرضية منافية للعقل كتلك التي تدَّعي بأنّ بإمكان

coptic-books.blogspot.com

أيّ شيء أن يوجد بمعزل عن مُسبِّب.»[3] كذلك صرّح بأنّ تصديق وجود عدد لامتناه من اللحظات هو أمر مناف للعقل: «العالم الزمني له بداية. ممّا يعني أنّ وجود عدد لامتناهٍ من أجزاء الوقت الفعلية التي تتعاقب وتتوالى وتُستنفد الواحدة تِلو الأخرى، أمرٌ ينطوي على تناقض صارخ، بحيث إنّ ما من إنسان لم تعبث العلوم في ذهنه لإفساده بدلاً من تطويره، يستطيع التسليم بذلك.»[4] إذًا، إن كانت كلتا هاتين الفرضيّتين صحيحتين، فيلزم في هذه الحال وجود خالق للعالم المبني على بُعدي المكان والزمان، والذي ندعوه كوزموس (cosmos). وبكلمة أخرى، الله موجود.

كيف يمكن للّه أن يصنع شيئًا من العدم؟

إن كان الله موجودًا ولم يكن أي شيء غيره موجود قبل خلق العالم، فإنّ الكون في هذه الحال يكون قد ظهر على حيّز الوجود من العدم. لكن، أليس منافيًا للعقل القول إنّ شيئًا معيّنًا، باستطاعته أن ينشأ من العدم؟ إن القول بأن العدم قد تسبّب بوجود شيء ما أمرٌ مناف للعقل، ذلك لأنّ العدم لا وجود له، وليس لديه القدرة على فعل أيّ شيء. لكن القول بأن أحدًا (أي الله) قد أوجد الكون مما هو غير موجود ليس قولاً منافيًا للعقل. لا يستطيع العدم أن يصنع شيئًا، إنما شخصٌ ما (أي الله) بمقدوره أن يصنع شيئًا من العدم.

في الواقع، إن كان للكون بداية (كما أوضحنا قبلاً)، فهذا يعني أن الكون لم يكن موجودًا في وقت من الأوقات، ثم وُجد هذا الكون، بعد أن خلقه الله. هذا هو المقصود من عملية الخلق «من العدم» (إكس نيهيلو ex nihilo باللاتينية). هذا لا يعني أن الله أخذ «حفنة من العدم» لكي يصنع منها شيئًا، وكأنّ العدم هو الذي كان قد اعتمده الله في صنعه للعالم. كان هناك الله، وببساطة لم يكن معه أيّ شيء آخر. ثم أوجد الله شيئًا آخر لم يكن له أيّ وجود قبلاً.

وبكلام آخر، فإنّ الخلق «من العدم»، يعني ببساطة أنّ الله لم يخلق انطلاقًا من أيّ شيء آخر كان موجودًا معه، كما يحصل في بعض أشكال مذهب الثنائية الذي يسلّمُ بوجود كينونة من جوهرين أزليين. يشكّل هذا بالفعل عملية ex materia، أي خلق انطلاقًا من مادة موجودة قبلاً خارج الله. يُطلق على هذا الخلق اسم (إكس ماتيريا). وقد تبنّى الفيلسوف اليوناني أفلاطون هذه النظرية.

كذلك، لم يخلق الله العالم إنطلاقًا من ذاته (أي ex Deo). أي إنّ الله لم يأخذ جزءًا من ذاته لكي يصنع منه الكون. في الواقع، الله، وبحسب الإيمان المسيحي القويم، ليس له أجزاء. إنه كيان متكامل وواحد في المطلق. لذا، لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال أن يكون الله قد أخذ جزءًا من ذاته ليصنع منه العالم. فالله لامتناهٍ، فيما العالم محدود وله نهاية. ما من كمية من أجزاء لها نهاية، باستطاعتها صنع ما هو لامتناهٍ، لأنه مهما كان عدد القطع أو الأجزاء التي هي في حوزة أحد الأفراد، يبقى بالإمكان دائمًا زيادة قطعة إضافية إليها. بالمقابل، لا يمكن إضافة أي شيء على اللامتناهي. والأجزاء مهما بلغ عددها، لا يمكنها أبدًا أن تساوي اللامتناهي. لذا، من غير الممكن أن يكون الله قد خلق العالم من جزء من ذاته (أي ex materia).

العالم ناتج عن الله، لكنه ليس من الله. فهو علّة وجوده، ولكنه ليس جوهره. جاء إلى حيّز الوجود بواسطته، لكنه ليس مصنوعًا منه. لكن، إن كان العالم لم يُخلق من الله (ex Deo) ولا من شيء آخر (ex materia) كان موجودًا مع الله، فمن الضروري إذًا أن يكون قد خُلق من العدم (ex nihilo). ولا بديل عن ذلك. لقد صنع الله شيئًا لم يكن له أي وجود قبل أن صنعه، لا في ذاته ولا في أي شيء آخر.

المكان الوحيد «لوجود» العالم قبل أن صنعه الله، كان فكرة في ذهن الله. وكما هو حال الرسّام الذي تتولّد في ذهنه فكرة عن لوحته قبل أن

coptic-books.blogspot.com

يرسمها، هكذا كان عند الله فكرة عن العالم قبل أن يصنعه. بهذا المعنى، كان للعالم وجود سابق في ذهن الله كفكرة، قبل أن كوّنه وجعله يظهر إلى حيّز الوجود.

الله، ماذا كان يصنع قبل خلقه العالم؟

ثمة سؤال آخر عاصٍ غالبًا ما يُطرح عن الله ومفاده: كيف كان الله يملأ وقته قبل تتميمه عمل الخلق؟ كان لأوغسطينوس Augustine، المعلّم المسيحي الشهير من القرن الخامس الميلادي، إجابتين عن هذا السؤال، إحداهما فكاهية والأخرى جدّية. الإجابة الأولى هي أنّ الله كان يقضي وقته في إعداد جهنّم وتجهيزها للأناس الذين يطرحون أسئلة كهذه! أمّا الإجابة الجدّية فهي أنّ الله لم يكن لديه أيّ وقت، ذلك لأن الزمن لم يكن موجودًا قبل أن يُخلق الزمن. كان الزمن قد بدأ مع الخلق. وقبل الخلق، لم يكن هناك أيّ وجود للزمن. إذًا، لم يكن هناك زمن لدى الله. فالعالم لم يبدأ بخلق في الزمن، بل بالحري بخلقٍ للزمن. لكن، قد يتبادر إلى ذهنك، إن لم يكن هناك أيّ زمن قبل أن بدأ الزمن، ماذا كان هناك؟ والجواب عن هذا هو الأزل. الله أزلي، والشيء الوحيد الذي كان موجودًا قبل الزمن، هو الأزل نفسه.

إضافة إلى ذلك، يفترض السؤال ضمنًا أنّ كائنًا أزليًا كاملاً مثل الله، قد يسأم ويضجر. غير أنّ ظاهرة الضجر هي علامة عدم الكمال وعدم الرضى، لكنّ الله ينعم بحالة من الرضى الكامل. لذا، ما كان بإمكان الله أن يُصاب بالملل، حتى ولو كان عنده فترات زمنية طويلة. إنّ العقل المبدع والخلاّق بشكل لامتناهٍ، يبقى باستطاعته باستمرار إيجاد أمور مشوّقة للقيام بها. العقول المحدودة هي وحدها التي تنضب من الأمور المشوّقة. لذا، يتملّكها الضجر والملل.

أخيرًا الله في المسيحية، له ثلاثة أقانيم ينعمون في حالة من الشّركة الكاملة. ولا يمكن لكائن كهذا أن يعاني الضجر أو الوحدة. فإنه لا يوجد دائمًا وباستمرار شخص من أجل «التكلّم معه» فحسب، بل هناك أيضًا شخص كامل في تفهّمه، كما في محبّته ورفقته. لذا، فالضجر يبقى محالاً على كائن كهذا.

كيف يمكن لثلاثة أن يكونوا ثلاثة أقانيم ضمن الله الواحد؟

كيف كان الله قادرًا أن يكون ثلاثة وفي الوقت عينه واحدًا؟ ألا ينطوي هذا على تناقض؟ قد يبدو أن بإمكان الله أن يكون واحدًا وليس ثلاثة، أو ثلاثة وليس واحدًا. لكنه، لا يستطيع أن يكون ثلاثة وواحدًا في آن. ففي هذا انتهاك لقانون اللاتناقض، وهو أكثر القوانين أهميّة على الإطلاق بين قوانين الفكر.

أولاً، الاعتقاد المسيحي بثالوث من ثلاثة أقانيم ضمن الله الواحد، ليس تناقضًا. فالتناقض يحصل فقط عندما نصف أمرًا ما بأنه –أ– وبأنه ليس –أ– في الوقت عينه وبالمعنى عينه. الله هو ثلاثة وواحد في الوقت عينه، لكن ليس بالمعنى عينه. هو ثلاثة أقانيم، لكنه واحد في الجوهر. هو ثلاثة أقانيم، ولكنه واحد فقط في الطبيعة.

القول إن الله ثلاثة طبيعات في طبيعة واحدة، أو هو ثلاثة أقانيم ضمن أقنوم واحد، هو قول ينطوي على تناقض. لكن، لا يوجد أيّ تناقض في الادّعاء بأنّ الله ثلاثة أقانيم في طبيعة واحدة. الله أشبه بالمثلّث. فالمثلّث له ثلاث زوايا، لكنه يشكّل في الوقت عينه مثلّثًا واحدًا. كلّ زاوية بحدّ ذاتها ليست المثلّث بأكمله. أو قد ننظر إلى الله على أنه أشبه بالرقم واحد مكعب (٣١). ١ x ١ x ١ = ١. الله ليس ١ + ١ + ١ = ٣، فهذا إقرار بوجود ثلاثة آلهة أو بتعدّد الآلهة. الله هو

coptic-books.blogspot.com

إله واحد، وقد تجلّى منذ الأزل وفي الوقت عينه من خلال ثلاثة أقانيم متميّزة.

الله محبة (١يوحنا ٤: ١٦). لكنّ وجود المحبة، يفترض وجود مُحبّ (الآب)، والمحبوب (الابن)، وروح المحبة (الروح القدس). إذًا، المحبة نفسها هي وحدانية مثلّثة.

ثمة إيضاح آخر للثالوث، وهو أنّ الله أشبه بعقلي وأفكاري وكلماتي. هناك وحدة تجمع بينها، ومع هذا هي متميّزة بعضها عن بعض.

بالطبع، يبقى الثالوث لغزًا. إنه يتخطى المنطق من دون أن يعمل ضدّ المنطق. بإمكاننا أن ندركه، لكن لا يسعنا فهمه بالتمام. وكما عبّر أحدهم عن هذا بحكمة: «قد نخسر عقولنا إن حاولنا فهمَ الله بالتمام، لكننا سنخسر أرواحنا إن كنّا لا نؤمن بإخلاص بالثالوث.»

كيف يمكن لإله صالح أن يُرسل أناسًا إلى جهنم؟

يفترض هذا السؤال أنّ الله يرسل الناس إلى جهنم ضدّ إرادتهم. ولكن هذا ليس صحيحًا. الله يريد أن الجميع يخلصون (انظر ٢بطرس ٣: ٩). لذا، فإن غير المخلّصين هم الذين لا يريدون أن يخلصوا. قال يسوع، «يا أورشليم يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا» (متّى ٢٣: ٣٧).

وكما عبّر عن ذلك سي.إس.لويس C. S. Lewis، «إن باب جهنم مقفل على الذين هم في داخلها.» كل الذين يذهبون إلى هناك، يقصدونه باختيارهم الشخصي. ثم يضيف لويس: «هناك نوعان فقط من البشر في نهاية المطاف: أولئك الذين يقولون لله: ’لتكن مشيئتك‘، وأولئك الذين يخاطبهم الله بالقول: ’لتكن مشيئتكم أنتم‘. كل الذين في جهنم، هم هناك

باختيارهم. لقد آمن لويس أنّ «وجود جهنم لم يكن ممكنًا لولا وجود حرية الاختيار الشخصي هذا. فما من روح جادة ومثابرة في بحثها عن السعادة إلاّ وستحظى بها. فكلّ من يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له.»[5]

أضف إلى ذلك، إنّ السماء ستكون بمثابة الجحيم للناس غير الملائمين لها. ذلك لأنّ السماء هي مكان العبادة والتسبيح المستمرّين لله (رؤيا ٤-٥). أما بالنسبة إلى غير المؤمنين الذين لا يستمتعون بساعة عبادة واحدة في الأسبوع هنا على الأرض، فسيكون أشبه بالجحيم إجبارهم على فعل ذلك إلى الأبد في السماء! لنُصغِ مرة أخرى إلى ما يقوله لويس: «أنا على استعداد لدفع أيّ ثمن لكي أستطيع أن أقول بصدق ’الجميع سوف يخلصون‘. ولكنّ منطقي يردّ بحسم: ’أسيخلصون بإرادتهم، أم بالإكراه؟‘ إن أجبت ’من دون إرادتهم‘، أرى للحال تناقضًا في هذا، إذ كيف يمكن لقرار طوعي بتسليم المرء نفسه، أن يُكره عليه؟ وإذا قلت ’بإرادتهم‘، يجيب منطقي: ’كيف يحصل ذلك إن رفضوا هم تسليم ذواتهم؟‘»[6]

الله عادلٌ ويجب أن يُعاقِب على الخطيّة (حبقوق ١: ١٣؛ رؤيا ٢٠: ١١-١٥)، ولكنه في الوقت نفسه محبة (١يوحنا ٤: ١٦)، ومحبته لا يمكنها أن تُرغم الآخرين على محبته. المحبة لا يمكنها أن تعمل بأسلوب قسري، بل فقط بأسلوب مقنع. المحبة القسرية تنطوي على تناقض في المضمون. لذلك، محبة الله تقتضي وجود جهنم حيث يختبر الذين لا يرغبون في محبة الله مرارة الانفصال التام عنه عندما يقول لهم: «لتكن مشيئتكم!»

كيف يمكن لله أن يكون محبًا وعادلاً في آن؟

قد يبدو لنا أنّ المحبة والعدالة صفتان متضاربتان. إذا كان الله عادلاً، فمن الضروري أن يعاقب على الخطيّة. ولكن إن كان محبًا، فهو يغفر الخطيّة. فكيف عساه الجمع ما بين الاثنين معًا؟

coptic-books.blogspot.com

هاتان الصفتان (الميزتان) لله غير متناقضتين. فهو في الوقت عينه عادل في المطلق ومحبّ بطريقة غير مشروطة. كلّ صفة من هاتين الاثنتين تُكمّل الأخرى. الله هو «قدوس بعدل» و«عادل بقداسة»، أي أنه يمارس عدالته بمحبة، ويوزّع محبته بشكل عادل.

إنّ أفضل مثال على تلاثم محبة الله وعدالته هو في الصليب. الله، وبدافع محبته، أرسل ابنه ليدفع عقاب خطايانا فيرضي عدالته ويطلق العنان لمحبته. لأنّ «أجرة الخطية هي موت» (رومية ٦: ٢٣). والخطية الموجّهة ضدّ الله الأزلي، تتطلّب موتًا أبديًا (رؤيا يوحنا٢٠: ١٤ و١٥). لذلك عندما مات المسيح عن خطايانا (رومية ٥: ٨)، تألّم العادل بدلاً من الفاجر (١بطرس ٣: ١٨) لكي يقرّبنا إلى الله. «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برّ الله فيه» (٢كورنثوس ٥: ٢١).

إنّ عدالة الله تستدعي ضرورة معاقبة الخطيّة، ولكنّ محبته تُضطره إلى تخليص الخطاة. لذا، بفضل موت المسيح على الصليب من أجلنا أرضى الله عدله وأطلق العنان لمحبته. لذلك، ما من تناقض بين العدالة المطلقة والمحبة غير المشروطة. ولتوضيح هذا، الله هو أشبه بالقاضي الذي، بعد أن أصدر الحكم بحق المتهم المذنب، طرح رداء القضاة جانبًا، ثم وقف بجانب المتهم، ودفع الغرامة بدلاً عنه. يسوع المسيح صنع الشيء نفسه معنا على الجلجثة. حقًا، المحبة والعدالة تلاثما على الصليب.

الخلاصة

حتى الأطفال الصغار أمثال حفيدي، يمكنهم أن يطرحوا أسئلة صعبة، ولكن هناك إجابات جيدة عن كلّ هذه الأسئلة المتعلّقة بالله. والكتاب المقدَّس يحضّنا على إيجاد هذه الإجابات ومن ثَمّ تقديمها للآخرين. قال بولس الرسول: «ليكن كلامكم كلّ حين بنعمة مصلحًا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد» (كولوسي ٤: ٦).

وبالمناسبة، لقد تخرّج حفيدي لتوّه من الجامعة وهو يستعدّ لبدء دراسته في الدفاعيات (الدفاع عن الإيمان). عن قريب، سوف يُصبح قادرًا على الإجابة عن مثل هذا النوع من الأسئلة، التي هو نفسه كان يطرحها. قد يسأل أحدنا عمّا كانت ستؤول إليه حياته اليوم، لو لم يجبه أحد عن أسئلته.

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. إقرأ ١بطرس ٣: ١٥وكولوسي ٤: ٦. بما أنّ هذه الآيات موجّهة إلى جميع المؤمنين، كيف يمكننا تطبيقها عمليًا؟

٢. متى يجب عدم الإجابة عن الأسئلة الصادرة عن غير المؤمنين؟ في معرض إجابتك، خذ بعين الاعتبار أمثال ٢٦: ٤ ومتّى ٧: ٦.

٣. لماذا من الأهمية بمكان الإجابة عن الأسئلة المتعلّقة بالله؟ كيف يرتبط إيماننا بالله بإيماننا بأنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله، وبأنّ يسوع المسيح هو ابن الله؟

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثاني

أسئلة صعبة عن الشرّ

رونالد رودز Ronald Rhodes

coptic-books.blogspot.com

في أوائل العام ١٩٩٩، أصيب ابن أخي غريغ Greg في حادث سيارة ومات. بعد الجنازة، بقي سؤال يجول في عقول الحزانى من الأهل والأصدقاء، ألا وهو «لماذا كان على هذا الأمر أن يحدث؟» إنه السؤال عينه الذي يسأله العديد من الناس عبر العصور عندما تضرب المصائب: لماذا تصيب الصالحين أشياء سيّئة؟ وأي صورة تعطينا عن الله حين تقع؟ تخيّل ما كان يجول في عقول عائلات وأصدقاء قرابة الثلاثة آلاف شخص الذين قُتلوا في الهجوم الإرهابي على نيويورك وواشنطن في ١١ أيلول ٢٠٠١. كُلِّف مرة منظّم الاستفتاءات جورج بارنا George Barna بأن يستفسر من الناس عن السؤال الواحد الذي قد يطرحونه على الله لو أتيحت لهم الفرصة بذلك. جاء السؤال الأكثر إلحاحًا، وبنسبة ساحقة: «لماذا يوجد هذا الكمّ الهائل من الألم في العالم؟»[١]

هدفي هو أن أناقش باختصار بعضًا من الأسئلة الصعبة عن الشرّ. وأنا أبدأ هذا البحث بشيء من التردّد، عالمًا أنّ موضوعًا كهذا يحتاج إلى كتاب بأكمله، وليس مجرّد فصل قصير فقط. فالدراسات المختصرة غالبًا ما تكون أكثر عُرضة لأن تبدو سطحيّة. لذا، أحثّ القارئ أن يُضيف على دراستي القصيرة هذه، دراسات وأبحاثًا أخرى أكثر شمولية، كتلك الواردة في الشواهد والملاحظات والمصادر المدرجة في آخر هذا الكتاب.

قبل الشروع في الإجابة عن الأسئلة، من الجيد أن نعرض بعض الأفكار التمهيدية عن الشرّ. الشرّ ليس شيئًا موجودًا بحدّ ذاته، إنما هو تشويه لما كان موجودًا أصلاً. الشرّ هو غياب الخير أو الحرمان منه. فالنخر، على سبيل المثال، وجوده يتوقف فقط على وجود الشجرة.

coptic-books.blogspot.com

كما أنّ تسوّس الأسنان ممكن حدوثه فقط ما دامت السنّ موجودة، كذلك، الصدأ على السيارة وانحلال الجثة، يفسّران الفكرة نفسها. إذًا، الشرّ موجود نتيجة فساد ما هو جيّد. هو حرمان وليس له جوهر بحدّ ذاته.[2] يقول نورمان جايزلر Norman Geisler: «إنّ الشرّ هو كالجرح على الذراع أو كالعثّ على قطعة الثياب. هو موجود في شيء آخر وليس في ذاته.»[3]

بالطبع، القول إنّ الشرّ ليس كيانًا بحدّ ذاته، ليس كالقول إنّ الشرّ غير حقيقي. قد لا يكون الشرّ جوهرًا فعليًا، لكنه يتضمن حرمانًا حقيقيًا في الجوهر الجيّد. يقول جايزلر في هذا الإطار: «إنه ليس كينونة فعلية، لكنه فساد حقيقي لكينونة فعلية.»[4] فالأشجار المتعفّنة، والسيارات الصدئة، والأسنان المتسوّسة، وسرطان الدماغ، وموت غريغ، هذه جميعها أمثلة على أن الشرّ هو فساد ما هو صالح.

إن فهم ما هو الشرّ أمرٌ، وفهمُ كيف يمكن لشرّ كهذا أن يوجد في عالم خلقه الله، هو أمر آخر مختلف تمامًا. يمكن النظر إلى مشكلة الشرّ بشكل مبسّط على أنها نزاع ينشب بين المفاهيم الثلاثة التالية: قدرة الله، صلاح الله، ووجود الشرّ في العالم. يرى المنطق السليم أنّ هذه المفاهيم الثلاثة لا يمكنها أن تتواجد مجموعة في آن.[5] الحلّ لمشكلة الشرّ، يتضمّن التعديل في واحد أو أكثر من هذه المبادئ: الحدّ من قدرة الله، الحدّ من صلاح الله، أو التعديل في وجود الشرّ (كالقول إنه مجرّد وهم).[6]

بالطبع، لو لم يدّعِ الله بأنه إله صالح، لكان من السهل تفسير وجود الشرّ في العالم. ولكن الله يدّعي بأنه صالح. ولو كان الله محدود القدرة بحيث لا يستطيع أن يقاوم الشرّ، لكان من السهل تفسير وجود الشرّ. ولكن الله يقول عن نفسه إنه كليّ القدرة. ولو كان الشرّ مجرّد وهمٍ غير موجود على أرض الواقع، لما بقيت هناك مشكلة مطروحة. ولكن الشرّ ليس وهمًا. إنه حقيقي.[7]

نواجه اليوم نوعين من الشرّ. الشرّ الأدبي (وهو الشرّ الصادر عن أناس أصحاب إرادة حرة، وهو يشمل أمورًا كالحروب، والجرائم، والشراسة، والصراعات الطبقية، والتمييز العنصري، والرقّ، والتطهير العرقي، والعمليات الانتحارية، والعديد من المظالم الأخرى). وعندنا بالمقابل الشرّ الطبيعي (المتضمّن أمورًا كالأعاصير، والطوفانات، والزلازل، وغيرها). الله صالح، الله كلي القدرة، ومع ذلك فالشرّ موجود. هذه هي مشكلة الشرّ في أبسط أشكالها.

وصل بعض المفكِّرين المشهورين مثل دايفد هيوم David Hume، إش. جي. ولز H.G. Wells، وبرتراند راسل Bertrand Russell على أساس مراقبتهم للألم والشرّ إلى خلاصة مفادها، أنّ الله، إله الكتاب المقدّس غير موجود.[8] عبّر هيوم عن ذلك بشكل موجز عندما كتب عن الله: «هل يشاء أن يمنع الشرّ ولكنه غير قادر؟ إذًا هو عاجز. أم هل هو قادر على ذلك، ولكنه لا يريد؟ إذًا هو إله حقود. أم هل هو قادر وراغب في آن؟ إذًا من أين الشرّ؟»[9] إن كان الله موجودًا، وهو كلّي الصلاح وكلّي القدرة، فإنّ اقتراف أعمال شنيعة كإقدام هتلر على قتل ستة ملايين يهودي لما قُدّر لها أن تحدث أبدًا.

بالطبع، المسيحيون يتّفقون على أن ما فعله هتلر باليهود هو جريمةٌ نكراء. لكن ينبغي، وقبل أن أطرح وجهة نظر الكتاب المقدّس عن الشرّ، أن أسارع إلى القول إنّ تصنيف عملِ هتلر على أنه شرّ يثير نقطة فلسفية هامّة. أو كما يراه العديد من المفكِّرين، إن أراد أحد ما الإدّعاء بأنّ الشرّ موجود في العالم، فيلزمه أولاً أن يشير إلى المقياس الذي من خلاله حكم على الأمر بأنه شرّ.[10] كيف يحكم المرء على بعض الأمور على أنها شرّ، فيما ينظر إلى أمور أخرى على أنها ليست شرًّا؟ ما هو المقياس الأخلاقي المعتمد للحكم على الأحداث والأشخاص؟ على أيّ أساس يُصار إلى التمييز ما بين الشرّ والخير؟

 coptic-books.blogspot.com

الحقيقة هي أنه من المستحيل التمييز بين الشرّ والخير إن لم يكن هناك نقطة مرجعية لامتناهية صالحة بالمطلق.[١١] وإلا سنكون أشبه بشخصٍ جالسٍ داخل قارب في عرض البحر في ليلةٍ سماؤُها غائمة ومن دون بوصلة (أي لا يوجد لديه طريقة للتمييز بين الشمال والجنوب وذلك في غياب نقطة مرجعية مطلقة ألا وهي إبرة البوصلة).

يمكن إيجاد النقطة المرجعية المطلقة للتمييز بين الشرّ والخير في شخص الله فقط، ذلك لأنّ تعريف مفهوم «الصلاح المطلق» محصور فقط في شخص الله. لو كان الله غير موجود، لما كانت المقاييس الأدبية المطلقة موجودة، التي بها يحقّ للمرء أن يحكم على شيء ما (أو أحد ما) بأنه شرّ. وبأكثر تحديد، إن كان الله غير موجود، فلا يعود هناك أي أساس مطلق للحكم على الأمور، كجرائم هتلر مثلاً. في ضوء ما سبق، نرى كيف أنّ واقع الشرّ، يتطلب فعلاً وجود الله، ولا يُبطله.

ما هو أصل الشرّ؟

كانت الخليقة الأصلية حسنة جدًا (تكوين ١:٣١). لم يكن هناك خطيّة، ولا شرّ، ولا ألم ولا موت. مع ذلك فإنّ الخطيّة منتشرة في العالم اليوم على نطاق واسع، وكذلك الشرّ والألم والموت. ما الذي أتى بهذه الأمور؟ الكتاب المقدَّس يشير إلى أنّ نقطة التحوّل نحو الانحدار كانت قد بدأت لحظة استخدم آدم وحواء إرادتهما الحرّة المعطاة لهما من قبل الله ليختارا أن يعصيا الله (انظر تكوين ٣).

يتساءل بعض الأشخاص لماذا لم يخلق الله الإنسان بحيث لا يستطيع أن يُخطئ، وبذلك يتفادى الشرّ من أساسه. الحقيقة هي، أنّ سيناريو كهذا يعني أننا لن نكون بشرًا حقيقيين. لن تكون لدينا القدرة على أن نختار بحرّية وأن نحب بحرّية. هذا السيناريو يفترض أن يخلق الله رجالاً آليين يتصرّفون بطريقة مبرمجة، كاللعبة التي ما إن تشدّ خيطها حتى تخاطبك

بالقول: « أحبك.»[١٢] بول ليتل Paul Little يذكر أنّ مع لعبةٍ كهذه «لن يكون هناك أية مشادات كلامية، لن تحدث مشاحنات أبدًا، لن يصدر عنها أيّ تصرّف يجعلك حزينًا! لكن، مَن يرغب في ذلك؟ لن يكون هناك محبة أيضًا، فالمحبة عمل طوعي. كان يمكن الله أن يصنعنا كالرجال الآليين، ولكن إذ ذاك لما كنا بشرًا. يبدو أنّ الله رأى في خلقنا على الشكل الذي نحن عليه أمرًا يستحقّ المجازفة.»[١٣]

المحبة، لا يُمكن برمجتها، لكن ينبغي أن يُعبَّر عنها بحرّية. أراد الله لآدم وللبشرية جمعاء إظهار محبّتهم له من طريق إطاعته. لذلك، أعطى الله آدم والبشرية بأجمعها الإرادة الحرة. وقد صدق جايزلر في قوله: «المحبة القسرية هي اغتصاب، والله ليس بإله مغتصِب. وهو لن يفعل شيئًا لتعريض إرادة الناس للإكراه.»[١٤] الاختيار الحرّ، من ناحية أخرى، يعني إمكانية القيام بالخيار الخاطئ. عبّر عن ذلك جي. بي. فيليبس J. B. Phillips بقوله: «الشرّ متأصّل في هبة الإرادة الحرة، التي لا تخلو من المجازفة.»[١٥]

في ضوء الحقائق الكتابية، نقدر أن نستخلص بأنّ الشرّ كان احتمالاً كامنًا ضمن خطة الله عندما أعطى البشر حرية الاختيار، لكنّ الأصل الفعليّ للشرّ أتى كنتيجة رجل وجّه إرادته بعيدًا عن الله ونحو شهواته الذاتية الأنانية.[١٦] علّق نورمان جايزلر وجيف أمانو Jeff Amanu على هذا الأمر بقولهما: «لئن خلق الله حقيقة الحرية، نجد أنّ البشر يمارسون أفعال الحرية. جعل الله من الشرّ أمرًا ممكن الحدوث، فيما جعلته المخلوقات أمرًا فعليًا.»[١٧] منذ تلك اللحظة في جنة عدن عندما جعل آدم وحواء الشرّ واقعًا حقيقيًا، انتقلت بعد ذلك الطبيعة الخاطئة إلى كلّ رجل وامرأة (رومية ٥: ١٢؛ ١كورنثوس ١٥: ٢٢). الطبيعة الخاطئة التي فينا هي التي تجعلنا نختار بإرادتنا الحرة، أن نجعل الشرّ واقعًا حقيقيًا (مرقس ٧: ٢٠-٢٣).

coptic-books.blogspot.com

حتى الشرّ الطبيعي، الذي يتضمّن الزلازل، والأعاصير، والفيضانات، وأمثالها، متأصّل في استخدامنا الخاطئ لإرادتنا الحرّة. يجب ألا ننسى أننا نحيا في عالم ساقط، وبسبب ذلك، نحن عرضة لكوارث لم تكن لتحدث في عالم الطبيعة، لو أنّ الإنسان لم يعصِ الله منذ البداية (رومية ٨: ٢٠-٢٢).[١٨] لم تكن جنّة عدن تحتوي على أيٍّ من الكوارث الطبيعية أو على الموت إلا بعد خطيّة آدم وحواء (انظر تكوين ١-٣). كما أنّه لن يكون هناك كوارث طبيعية أو موت في السماء والأرض الجديدتين عندما يضع الله حدًّا نهائيًا للشر (رؤيا يوحنا ٢١: ٤).[١٩]

ما هو قصد الله النهائي من السماح بوجود الشرّ؟

لم يُفاجأ الله قط عندما استخدم الإنسان عطية الإرادة الحرة التي كان قد وهبه إياها ليعصى أمرَهُ. يوحي سي. إس. لويس بأنّ الله الكليّ المعرفة «رأى أنّ في عالم من المخلوقات الحرة، وعلى الرغم من سقوطهم، يمكن أن يوجدَ سعادةً أعمق وإشراقة أكمل ممّا كان سيعرفه العالم، لو أنه خُلِقَ على شكلٍ آلي.»[٢٠] أو، كما عبَّر عن ذلك جايزلر بشكل رائع، لا يحتاج المؤمن بوجود الله أن يدَّعي بأنّ عالمنا الحالي هو الأفضل على الإطلاق، ولكنه السبيل الأفضل للعالم الأفضل على الإطلاق:

> إن كان الله يريد أن يحافظ على الحرية ويغلب الشرّ في آن، فإنّ هذه الطريقة هي الأمثل. فالحرية مُصانة إذ تبقى في قدرة كلّ شخص أن يختار بحريّة مصيره الأبدي. ويُغلب الشرّ عندما تُعتبر خيارات الجميع نهائية وحاسمة، ما إن يُفصل الأشخاص الذين يرفضون الله عن الآخرين. هؤلاء الذين يختارون الله سوف يُثبّتون في ذلك، ولن يوجد خطيّة فيما بعد. أما أولئك الذين يرفضون الله فسوف يوضعون في الحَجْر الصحي الأبدي، حيث لا يستطيعون أن يُفسدوا العالم الكامل الذي قد أعدَّه الله. بذلك يكون قد تحقّق الهدف النهائي لجهة إيجاد عالم كامل بمخلوقات حرّة، ولكنّ الطريق للوصول إلى ذلك، يتطلّب إقصاء أولئك الذين يُسيئون استخدام حريتهم.[٢١]

هناك عاملٌ آخر هام جدًا يتعلّق بفكرة كون عالمنا هذا ليس بالعالم الأفضل، لكنه يبقى الطريق الأمثل للوصول إلى ذلك العالم الأفضل، ألا وهو أنّ الله لم ينتهِ من عمله بعد. غالبًا ما يسقط بعضهم في فخّ الظنّ أنّ عدم تعامل الله مع الشرّ الآن، يعني أنه لن يتعامل معه أبدًا. كان زميلي القديم والتر مارتن Walter Martin يقول لي: «لقد قرأت الفصل الأخير من الكتاب المقدَّس، ونحنُ الذين سوف نغلب!» سيُبطل الشرّ يومًا ما. وعدم بطلان الشرّ في الحاضر، لا يعني أنه لن يُبطل أبدًا.

في ضوء النقاط التي سبق ذكرها، يمكننا استنتاج أنّ وجود الشرّ في العالم منسجم مع فكرة وجود إله كلّي الصلاح وكلّي القدرة، وأن نلخّص الحقائق على الشكل التالي:

١ ◂ إن كان الله كلّي الصلاح، فسوف يهزم الشرّ.

٢ ◂ إن كان الله كلّي القدرة، فسيكون في قدرته أن يهزم الشرّ.

٣ ◂ الشرّ لم يُهزم بعد.

٤ ◂ إذًا، الله يستطيع أن يهزم الشرّ، بل سيهزمه يومًا ما.[٢٢]

يومًا ما في المستقبل، سوف يعود المسيح، وسوف يجرِّد الشرّ من قواه، عندئذ سيحاسب كلّ رجل وامرأة على ما فعلوه خلال حياتهم على هذه الأرض (متّى ٢٥: ٣١-٤٦؛ رؤيا ٢٠: ١١-١٥). سوف تنتصر العدالة في النهاية. أما أولئك الذين يدخلون الأبدية من دون أن يؤمنوا بيسوع المسيح كمخلّص، فسوف يفهمون كيف يتعامل الله بشكل فعّال مع مشكلة الشرّ.

coptic-books.blogspot.com

بعض الحلول غير الوافية لمشكلة الشرّ

أليس من المستحسن أن يقضي الله على الشرّ حالاً؟

قد يردّ بعض المشكّكين على هذه النقطة بقولهم إن إله الكلّي القدرة ليس في حاجة إلى تاريخ البشرية بأكمله، كي يقضي على الشرّ. إن الله، ومن دون شك، لديه القدرة على أن يطيح بالشرّ فورًا، ولكنه لو قام بفعل ذلك، فسيؤدي ذلك إلى نتائج خطيرة تطال كل واحدٍ منا. كما أشار پول ليتل Paul Little، «لو كان الله ليطيح بالشرّ اليوم، فسوف يفعل ذلك على أتمّ وأكمل وجه، وهذا يشمل كذبنا ونجاستنا الفردية، عدم محبتنا، وإخفاقنا في صنع الخير. على افتراض أنّ الله سوف يطيح بكل ما هو شرّ ابتداءً من منتصف هذه الليلة، وسوف يُزيل كلّ ما هو شرير عن وجه الكون، تُرى، مَن مِنّا سيبقى هنا في اليوم التالي؟» [٢٣]

على الرغم من أنّ حلّ الله الجذري لمشكلة الشرّ مؤجّل إلى وقت مستقبلي، كما قد شرحت، إلا أنّ الله قد اتخذ الخطوات اللازمة حرصًا منه على ألاّ يكون الشرّ حرًا طليقًا كالحيوان المسعور. بالتأكيد، الله قد أعطانا السلطات والحكومات لتقف في وجه الفوضى (رومية ١٣: ١-٧). كما أوجد الله أيضًا الكنيسة لكي تكون نورًا في الظلمة، فتقوّي شعب الله، وأيضًا كي تحدّ من نمو الشرّ في العالم من خلال قوة الروح القدس (أعمال ١٦: ٥؛ ١تيموثاوس ٣: ١٥). كذلك، أعطانا الله، من خلال كلمته، المعيار الأخلاقي لإرشادنا وإبقائنا على الدرب الصحيح (المزمور ١١٩). لقد وهبنا نظام العائلة كيما يسود الاستقرار مجتمعنا (أمثال ٢٢: ١٥؛ ٢٣: ١٣). هذا، بالإضافة إلى المزيد من الترتيبات الأخرى! [٢٤]

هل وجود الشرّ هو برهان على أنّ الله محدود؟

لقد أشاع الراباي هارولد كوشنر Rabbi Harold Kushner فكرة الألوهة المحدودة في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وهو مؤلف الكتاب الأكثر مبيعًا، «عندما تُصيب أشياء سيّئة الأشخاص الصالحين» *When Bad Things Happen to Good People*. ففي معرض صراعه مع حقيقة موت ابنه المبكّر، استخلص كوشنر أنّ الله يريد للصالحين أن يحيوا حياة سعيدة، ولكنه في بعض الأحيان عاجز عن توفير ذلك لهم. هناك، ببساطة، أشياء لا يستطيع الله التحكّم بها. الله صالح، ولكنه لا يمتلك القدرة الكافية على تحقيق كلّ الأشياء الصالحة التي يرغب في تحقيقها. باختصار، الله محدود. ويكتب كوشنر قائلاً: «أنا أعترف بمحدودياته. فقوانين الطبيعة وتطوّر الإنسان المستمرّ وإرادته الأدبية الحرّة تحدّ من الأمور التي هو قادر على فعلها.» [٢٥] ثم يضيف بحزن: «حتى الله نفسه يجد صعوبة في ضبط الفوضى والحدّ من الضرر الذي يمكن للشرّ أن ينتجه.» [٢٦]

الألوهة المحدودة تتبنى فكرة إله لا يقدر إلا أن يكون كائنًا يعتمد بنفسه على وجود مُسبّب له لأنه محدود. إله كهذا، لا يستحقّ عبادتنا ولا أن نوليه ثقتنا، لأنّ لا شيء يضمن أنه سيغلب الشرّ في المستقبل.

لقد أخفق إيمان الألوهة المحدودة في فهم حقيقة كون التوقيت الإلهي للأمور يختلف عن التوقيت البشري. وكما أشرنا قبلاً، عدم إطاحة الله بالشرّ اليوم، لا يعني أنه لن يفعل ذلك في المستقبل (٢بطرس ٣: ٧-١٢؛ رؤيا ٢٠-٢٢). إنّ هذا العالم ليس هو العالم المثالي، ولكنه الطريق الأفضل لبلوغ العالم الأمثل.

من الواضح أنّ الألوهة المحدودة تتعارض مع ما يشهد به الكتاب المقدّس عن الله. فالكتاب المقدّس يُظهر لنا الله على أنه كلّي القدرة، أي إنه صاحب قدرة مطلقة. لديه القدرة على فعل كلّ ما يشاء ويرغب.

coptic-books.blogspot.com

الكتاب المقدَّس يتحدّث عن الله القادر على كلّ شيء ما يقارب على الست والخمسين مرة (مثلاً، رؤيا ١٩: ٦).[٢٧] الله عظيم القدرة (المزمور ١٤٧: ٥) كما أنّ عظمة قدرته تفوق كلّ وصف (٢ أخبار ٢٠: ٦؛ أفسس ١: ١٩-٢١). لا يوجد من يمنع يد الله (دانيال ٤: ٣٥). ولا يستطيع أحد أن يعكس أفعال الله (إشعياء ٤٣: ١٣) ولا في مقدور أحد أن يقاومه (إشعياء ١٤: ٢٧). لا شيء مستحيل لدى الله (متّى ١٩: ٢٦؛ مرقس ١٠: ٢٧؛ لوقا ١: ٣٧) ولا شيء يعسر عليه (تكوين ١٨: ١٤؛ إرميا ٣٢: ١٧، ٢٧). القدير يملك إلى الأبد (رؤيا ١٩: ٦). وسوف يغلب الشرّ يومًا ما.

هل الشرّ مجرّد وهم؟

بعض الأشخاص، وبالأخص أولئك المنتسبين إلى العلوم الفكرية Mind Sciences، يدّعون أن الشرّ مجرّد وهم. تقول ماري بيكر إدي Mary Baker Eddy، مؤسِّسة «العلم المسيحي» Christian Science، إن المادة، والشرّ، والمرض، والموت هي أمور غير حقيقية، بل وهمية من نسج خيال العقل الفاني.[٢٨] وأيّدتها الكاتبة إميلي كيدي Emily Cady بقولها: «الشرّ غير موجود... فالألم، والمرض، والفقر، والتقدّم في السنّ والموت أمور غير حقيقية، ولا سيطرة لها عليّ.»[٢٩] كتب أرنيست هولمز Ernest Holmes، مؤسِّس «العلم المتديِّن» Religious Science يقول: «كلّ ما يظهر أنه شرّ هو نتيجة للجهل، وسوف يختفي حتى لا يعود أحد يفكّر فيه، أو يؤمن به أو ينغمس فيه.»[٣٠]

ولكن، إن كان الشرّ مجرّد وهم، فلماذا نقاومه إذًا؟ ولئن ادّعت ماري بيكر إيدي بأن شرّ المرض الجسدي والموت هما مجرّد وهم، فإنّ التاريخ يُثبت كيف أنها هي ذاتها كانت تحت رعاية طبية في سنواتها الأخيرة، وقد تلقّت جرعات من المورفين لتخفيف آلامها، وضعت النظارات الطبية، اقتلعت بعضًا من أسنانها، وفي النهاية ماتت، وبذلك «تبرهَنَ كذِبُ» كلّ ما علّمته وزعمت أنها تؤمن به.[٣١]

عندما يدّعي الناس بأن الشرّ هو وهم، أظن أنه من المناسب أن نسألهم إن كانوا يوصدون أبواب منازلهم ليلاً أم لا. (إن كانوا يفعلون ذلك، فاسألهم لماذا؟) وهل يتركون مفاتيح سياراتهم داخلها عندما يركنونها في مكان ما وسط المدينة؟ (إذا كانوا لا يفعلون ذلك، فلماذا؟) وهل يضعون حزام الأمان في السيارة؟ (لماذا؟) وهل يذهبون إلى عيادة طبيب الأسنان (لماذا؟ فألم الأسنان هو مجرّد وهم. أليس كذلك؟) وهل يُلبِسون أطفالهم سترات النجاة عندما يسبحون في المحيط؟ (لماذا؟) هل يوصون أطفالهم الصغار بعدم الاقتراب من النار؟ (لماذا؟) وهل يؤيدون القوانين التي تحمي الأطفال والأولاد من الاعتداء عليهم؟ (لماذا؟) إن كان الشرّ مجرّد وهم، فلا يعود هناك أية ضرورة لأشياء كهذه، ولا ينبغي لأحد أن ينشغل بها.

إن التفسير القائل إن الشرّ هو مجرّد وهم، لا يصمد أمام تجارب الإنسانية وأمام المنطق. إنكار وجود الشرّ بهذه البساطة، لا ينفي قط وجوده. إن هذا التفسير للشرّ، يشكّل بحدّ ذاته أسوأ شكل من أشكال الوهم. يسوع المسيح، وبكل تأكيد، آمن بحقيقة وجود الشرّ. ففي الصلاة الربانية، لم يعلّمنا أن نصلّي «نجِّنا من وهم الشرّ»، بل «نجِّنا من الشرّير.»

إن أردنا قبول نظرة «العلم المسيحي» إلى الشرّ بصفته وهمًا، فيلزمنا في هذه الحال أن نُنكر ما تنقله إلينا حواسنا واختباراتنا الشخصية. ولنلاحظ جيدًا كيف يناشدنا الكتاب المقدَّس باستمرار ضرورة التنبّه للدلائل التجريبية التي تصدر من حواسنا الخمس. لذا، طلب يسوع من توما المشكّك أن يضع إصبعه في مكان جروحاته كدليل يؤكد له أنّ يسوع قد قام حقًا من بين الأموات (انظر يوحنا ٢٠: ٢٧). وفي إنجيل لوقا ٢٤: ٣٩، قال يسوع المُقام من بين الأموات لأتباعه: «أنظروا يديّ ورجليَ: إني أنا هو! جسوني وانظروا، فإنّ الروح ليس له عظام كما ترون لي.» كما نقرأ في ١يوحنا ١: ١ كلام يوحنا والرسل عن «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا - هذا ما نخبركم به من

coptic-books.blogspot.com

جهة كلمة الحياة.» إن هذه الحواس عينها، التي شهدت، وبشكل مقنع جدًا لقيامة المسيح، تشهد أيضًا لواقع الشرّ في عالمنا، ليس لشلّة قليلة من الناس فقط، بل على صعيد الكون بأسره، وعلى مدى العصور.

هل تستطيع حركة العصر الجديد التي تؤمن بعقيدة «الكلّ هو الله» أن تقدّم تفسيرًا للشرّ؟

لديّ صديق اسمه جيم Jim، الذي قرأ بعضًا من الكتب التي ألّفتها عن الدفاعيات المسيحية وعن حركة العصر الجديد New Age. في يوم من الأيام، أصيب باعتلال جسدي وذهب لاستشارة طبيب كان بعضهم قد نصحوه به. في منتصف فترة فحص الطبيب له، بدأ جيم يشك في أمر هذا الطبيب على اعتبار أنه يعتمد علاجات مستوحاة من حركة «العصر الجديد». جيم، والمعروف عنه أنه لا يُحب المراوغة، خاطب الطبيب بالقول: «هل أنت الله؟» فأجابه، «لماذا تسألني؟ نعم، وأنت أيضًا وجميع الناس كذلك.» فركض جيم خارجًا من مكتب ذلك الطبيب، هاربًا بسرعة البرق.

«الكلّ هو الله» Pantheism هي العقيدة التي تؤمن بأن الله هو الكلّ والكلّ هو الله. الكلمة Pantheism هي مركّب للفظتين يونانيتين – Pan («الكل») وtheos («الله»). عقيدة «الكلّ هو الله»، تنظر إلى الواقع بأكمله على أنه متشرّب بالألوهة. إن إله العصر الجديد هو لاشخصي، غير أخلاقي، على عكس إله المسيحية الشخصي والأخلاقي. إن التمييز بين الخالق والخليقة، مطموسٌ كليًا في وجهة النظر هذه.

إن كانت عقيدة «الكلّ واحد» و«الكلّ هو الله» صحيحة، كما تؤمن حركة العصر الجديد، فإنّ التمييز بين الخير والشرّ يصبح أمرًا مستحيلاً، لا بل يختفي كليًا. دايفد سبانجلر David Spangler وهو من أتباع «العصر الجديد» يؤكد أنّ أخلاقيات هذه الحركة «غير مبنيّة على... ثنائية مفهومي 'الخير' و'الشرّ'.»[٣٢] لا وجود فيها للصواب المطلق أدبيًا ولا للخطأ المطلق،

فكلّ شيء نسبيّ. مما لا شك فيه أنّ الفلاسفة قد أكدوا ما تنطوي عليه وجهة النظر هذه من ضعف فلسفي. فهي ترى أنه لحقّ مطلق عدم وجود أمور مطلقة. عندما يقول لي أحد دعاة «العصر الجديد» إنه لا وجود للمطلق، أردّ عليه بسؤاله إن كان متأكّدًا بشكل مطلق مما يدّعيه.

إن المشكلة الكبرى في وجهة نظر الـ «العصر الجديد» هي إخفاقها في معالجة مسألة وجود الشرّ الحقيقي في العالم بشكل مناسب. إن كان الله هو جوهر كلّ أشكال الحياة في الخليقة، فيلزم المرء في هذه الحال استخلاص أنّ الخير والشرّ كليهما ينبعان من الجوهر نفسه (الله). بكلمة أخرى، الحرب العالمية الأولى والثانية كما هتلر، والقتل، والسرطان، والاغتصاب، مع ظواهر أخرى للشرّ، ما هي إلا جزء من الله.

يعلّمنا الكتاب المقدَّس، بالمقابل، أنّ الله صالحٌ وليس شريرًا (انظر ١أخبار ١٦: ٣٤؛ المزمور ١١٨: ٢٩؛ ١٣٦: ١؛ ١٤٥: ٨–٩؛ متّى ١٩: ١٧). إله الكتاب المقدَّس هو نور، «وليس فيه ظلمةٌ البتة» (انظر ١يوحنا ١: ٥؛ حبقوق ١: ١٣؛ متّى ٥: ٤٨) إنّ النص اليوناني لرسالة يوحنا الأولى ١: ٥ تحديدًا، مُقنعٌ أكثر، حيث يُترجم حرفيًا على الشكل التالي: «والظلمة غير موجودة فيه، ولا بأي شكل من الأشكال.» ما كان بمقدور يوحنا أن يعبّر عن ذلك بشكل أقوى.

لقد أُتيحت لي فرصة التحدّث إلى المعلم الهندوسي السابق الغورو رابي ماهاراج Rabi Maharaj، لقد تكلم وبشكل مطوّل عن المشكلة الأخلاقية في عقيدة «الكلّ هو الله» والتي ولّدت عنده الشعور بعدم الرضى، خصوصًا في ما يتعلق بمفهومها عن الشرّ.

> إن معرفتي المتنامية بالله بصفته الخالق، المنفصل عن الكون الذي خلقه والمميّز عنه، تناقض الاعتقاد الهندوسي بأن الله هو كلّ شيء وبأن الخالق والخليقة متّحدان. فإن كان هناك واقع واحد، إذًا (فالله) يكون شرًا وخيرًا في آن،

coptic-books.blogspot.com

ويكون هو الموت والحياة في آن، المحبة والكراهية معًا. هذا الاعتقاد يجرّد كلّ شيء من المعنى، ويجعل الحياة منافية للعقل. إنه لمن الصعب على المرء أن يحافظ على رزانته العقلية مع اعتقاده في الوقت عينه بأنّ الخير والشرّ، المحبة والكراهية، الحياة والموت، هي أمور تنطوي في واقع واحد.[33]

اتّخذ رابي Rabi القرار المنطقي الوحيد وأصبح مسيحيًا!

هل نحن مَن نصنع واقعنا؟

يؤمن معظم المعتقدين بحركة العصر الجديد بأنّ الإنسان هو من يصنع واقعه بكلّ تفاصيله، الخير منه كالشرّ، وذلك بقوة العقل. دايفد جيرشون David Gershon وغيل ستروب Gail Straub، وهما كاتبان شهيران من أتباع العصر الجديد، أشارا إلى النقطة التالية: «لا يمكننا أن نتفادى حقيقة كوننا نحن الذين نصنع واقعنا بأنفسنا! حيث إنّ كلّ فكرة تتبادر إلى أذهاننا، نحن نصنعها. كما أنّ كل معتقد نعتنقه يساهم في تشكيل تجاربنا الحياتية.»[34] في ضوء هذا، «إن كنا نقبل فرضية أنّ أفكارنا هي التي تصنع واقعنا، فهذا يعني أنه علينا أن نتحمل مسؤولية واقعنا الذي نصنعه بأكمله، ما يُعجبنا وما لا يُعجبنا من هذا الواقع.»[35]

المشكلة الخطيرة في وجهة النظر هذه هي أنه إن كان البشر (كآلهة) يصنعون هم واقعهم بأنفسهم، كما يعتقد أتباع العصر الجديد، فلا يعود بإمكاننا أن ندين الأفراد الذين يصيبون الآخرين بأذية أو شر. مثلاً، في هذه الحال، على أحدنا استخلاص أنّ ملايين اليهود الذين تمّ إعدامهم تحت نظام هتلر، هم الذين قد جلبوا ذلك الواقع على أنفسهم. إذًا، لا يعود بالإمكان الحكم على أفعال هتلر على أنها أفعال منافية للأخلاق، لأنّ هتلر ما هو إلا جزء من الواقع الذي جلبه اليهود بأنفسهم

على أنفسهم. وبموجب هذا المبدإ عينه، لا يمكننا أن ندين الإرهابيين الذين يفجّرون الطائرات لأنّ ركّاب تلك الطائرة، هم من جلبوا ذلك الواقع على أنفسهم.

عندما توفيت معلمة التمثيل لابنة شيرلي ماكلين Shirley MacLaine إثر حادث صدام سيارتين أدّى إلى احتراق جسدها بالكامل، تساءلت ماكلين قائلة: «يا ترى، لماذا اختارت هذه أن تموت بهذه الطريقة؟»[36] المدافع المسيحي دوغلاس غروثيوس Douglas Groothuis، وبعد أن قرأ كتاب ماكلين «كل شيء متضمّن في اللعبة» *It's All in the Playing* يسرد ما ورد في الكتاب كيف «أننا نرى شيرلي تبكي وتنوح أمام شاشة تلفازها عندما رأت آثار ما خلّفه إنفجار بركان شيليان Chilean، الذي قتل خمسة وعشرين ألف شخص. ولكن، لمَ البكاء؟ فهم من اختاروا تلك الميتة، أليس كذلك؟»[37]

كلّما تأمّلنا أكثر في تفسير العصر الجديد هذا لمفهوم الشرّ، أصبح أكثر فأكثر منافيًا للعقل.

هل يقدّم التقمّص تفسيرًا لوجود الشرّ؟

يبني العديد من أتباع العصر الجديد عقيدتهم على التقمّص والكارما. إنّ عملية التقمّص (أي الولادة المتكرّرة) يُعتقد أنها تستمرّ إلى أن تبلغ الروح حالة الكمال وتتّحد مع مصدرها (الله أو الروح الكونية). أما الكارما فهي «الدَين» الذي يتراكم على الروح بفعل الأعمال الخيّرة أو الشرّيرة التي تقوم بها في أثناء فترة حياتها الحالية (أو حيواتها السابقة). إن استجمع المرء كمية من الكارما الجيدة، فيكون مصير نفسه أن تتقمّص تحت هيئة مرغوبة في الحياة اللاحقة. وإن استجمع كارما سيّئة، فسيكون مصيره أن يتقمّص تحت هيئة غير مرغوب فيها تمامًا.

coptic-books.blogspot.com

يفسّر العديد من دعاة العصر الجديد الشرّ من منطلق الكارما وحده. أحد مشاهير كتّاب العصر الجديد، ويُدعى غاري زوكاف Gary Zukav مثلاً، يقول إنه يترتّب علينا عدم التسرّع في الحكم عندما نرى أشخاصًا يتعذبون بوحشية لأننا «لا نعلم ما يتمّ شفاؤه (من طريق الكارما) بواسطة هذه العذابات.»[٣٨] ما يُطلق عليه زوكاف اسم «العدالة الخالية من أية إدانة»، تعفينا من أن نكون قضاةً أو أعضاء في هيئة المحلّفين للحكم على الشرّ الظاهر، حيث إنّ قانون الكارما هو الذي سوف يحقّق العدالة في النهاية.

هل يريد منا زوكاف أن نؤمن بأن ما فعله الجنود في سيلان Ceylon، عندما قتلوا أُمًا مرضعًا، ثم استخدموا أصابع أرجل رضيعها كأهداف للتدرّب على الرماية، ما هو إلا شفاء لروح تلك الأم وروح رضيعها؟ وعندما قام الشيوعيون في الاتحاد السوڤياتي، بتمزيق رحم امرأة أرمنية حامل ثم اقتلعوا أطراف جنينها من أمكنتها (هذه أحداث حقيقية وردت في الصحف)، هل حقًا يتوقّع منا زوكاف أن نضع ثقتنا بـ«العدالة الخالية من أية إدانة» هذه، بدل أن يعترينا الغضب من جراء هذه الجرائم الشنعاء؟ أين القداسة والألوهة في هذا؟

هناك العديد من الثغرات في عقيدة التقمّص. من وجهة نظر عملية، لا بدَّ أن يتساءل المرء، لماذا يُعاقَب أحدهم على أمر لا يستطيع حتى أن يتذكر أنه ارتكبه في حياة سابقة؟ وإن كان (كما يُقال لنا) هدف الكارما تجريد البشرية من رغباتها الأنانية بواسطة التقمّص، جيلاً بعد جيل، فلماذا إذًا لم نشهد أي تحسّن ملحوظ في الطبيعة البشرية، بعد مرور كل هذه القرون من التقمّصات؟ لماذا يستمرّ الشرّ في التصاعد؟ وإن كان للتقمّص والكارما منفعة كبيرة على الصعيد العملي، كما يدّعي أتباع العصر الجديد، إذًا كيف يفسّرون استمرارية المشاكل الاجتماعية والثقافية، بما في ذلك انتشار الفقر، والجوع، والمرض وأشكال المعاناة الرهيبة الأخرى، في بلاد الهند، حيث مورست عقيدة التقمّص على مدى التاريخ؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ التقمّص هو عقيدة غير كتابية، فهي تعارض ما يعلّمه الكتاب المقدّس عن الموت وعن الحياة ما بعد الموت. فالآية من عبرانيين ٩: ٢٧ توضح بشكل قطعي «أنه وُضع للناس أن يموتوا مرة.» كل إنسان يعيش ككائنٍ فانٍ على هذه الأرض مرةً واحدةً، ثم يموت مرة واحدة، وبعد ذلك يواجه الدينونة. لن يحصل الإنسان على أية فرصة ثانية من خلال تقمّصه في جسدٍ آخر (انظر لوقا ١٦: ١٩–٣١؛ ٢كورنثوس ٥: ٨).

الثقة بالله في عالم مملوء بالألم

هناك العديد من التفسيرات الأخرى غير المجدية لمشكلة الشرّ، والتي يمكننا أن نناقشها، ولكنها لم تعد بارزة في أيامنا هذه، كما أن الحيّز المخصّص للتكلّم عن هذا الموضوع، لا يسمح بذلك.[٣٩]

بعد أن أثبتنا قبلاً أنّ وجود الشرّ لا يتعارض أبدًا مع حقيقة وجود الله الكلّي الصلاح والكلّي القدرة، يكون من المناسب أن نختم هذا الموضوع، بالتشديد على أنّ أبانا السماوي المحبّ يدعونا أن نثق به ثقة الطفل بأبيه بينما نعيش في عالم العذاب والألم هذا. أحيانًا، وبصفتي أبًا، يتوجّب عليّ أن أتخذ بعض القرارات بالنيابة عن أولادي، والتي قد تسبّب لهم بعض الألم (كزيارة طبيب الأسنان مثلاً). من وجهة نظرهم، ربما لن يفهموا سبب إصراري على القيام بهذه الزيارة. ولكني أؤكد لهم، أنه وعلى الرغم ممّا قد يترتّب عليهم من انزعاج (أو حتى ألم) فإنّ زيارة الطبيب هذه، تصبّ في مصلحتهم الشخصية.

أحيانًا، نتساءل نحن البشر عن الأسباب التي من أجلها يسمح الله بأن نمرّ بظروف مؤلمة. ولكن عدم استطاعتنا إيجاد الأسباب المنطقية لهذه الظروف، لا ينفي وجودها. فإننا من وجهة نظرنا المحدودة كبشر، نحن لا نرى إلا بضعة خيوط قليلة فقط من النسيج الكامل لخطة الله في

coptic-books.blogspot.com

حياتنا. نحن لا نرى الصورة بأكملها. لذلك يدعونا الله إلى ضرورة الوثوق به (انظر عبرانيين ١١). الله يرى الصورة بأكملها وهو معصوم عن الخطأ. ولديه سبب وجيه للسماح للآلام بأن تعترض طريقنا، وإن كنا لا نستطيع نحن أن نفهم تلك الأسباب.

يقدِّم لنا جايزلر ما هو جدير بالتفكير بخصوص هذا الموضوع. فعلى الرغم من محدوديتنا كبشر، يبقى بإمكاننا أن نجد مغزًى للألم، كتحذيرنا من شرٍّ أعظم قد يأتي علينا (يكفي الطفل أن يلمس فرنًا حارًا مرةً واحدةً كي يتعلّم ألاّ يفعل ذلك مرةً آخرى). كذلك تعمل الآلام على حمايتنا من تدمير ذواتنا (إن أطراف الخلايا العصبية تنبّهنا من طريق إرسال إشارات بوجود ألم، كي لا نستمر في حمل إناء حار بأيدينا). إن كان البشر المحدودون يستطيعون أن يستخلصوا بعض الفوائد من وجود الشرّ، فمن المؤكد أنّ إلهًا أزليًا كلي الحكمة لديه قصد وجيه وراء كلّ الآلام.[٤٠] قد لا نستطيع أن نفهم هذا القصد في الوقت الراهن، ولكن هذا القصد موجود على الرغم من ذلك. عدم قدرتنا على تبيان سبب حدوث الأشياء السيّئة لنا، لا تنفي صلاح الله، هي فقط تكشف جهلنا.[٤١]

حسنٌ أن نُبقي في الحسبان عامل الوقت. فبالطريقة نفسها التي بها نُقَيِّمُ زيارتنا إلى طبيب الأسنان في ضوء الفائدة المرجوة من هذه الزيارة على المدى البعيد، يحثّ الكتاب المقدَّس المسيحيين على ضرورة تقييم ظروفهم المؤلمة الراهنة في ضوء الأبدية. وكما أشار الرسول بولس: «إنّ آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا» (رومية ٨: ١٨؛ انظر أيضًا ٢كورنثوس ٤: ١٧؛ عبرانيين ١٢: ٢؛ ١بطرس ١: ٦ و٧).[٤٢]

علينا ألاّ ننسى أيضًا في أوقات الضيق، أنّ الله، وبصفته الحاكم المطلق على هذا الكون، يستطيع أن يُنتج من هذه الآلام ما هو حسن (انظر رومية ٨: ٢٨). إن حياة يوسف هي مثال واضح على ذلك. لقد حسده

إخوته ظلمًا (انظر تكوين ٣٧: ١١)، وكرهوه (٣٧: ٤ و٥، ٨) وأرادوا قتله (٣٧: ٢٠)، ورموه في بئر (٣٧: ٢٤)، ثم باعوه كعبد (٣٧: ٢٨). ومع ذلك، استطاع يوسف أن يقول لإخوته في وقت لاحق: «لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم» (٤٥: ٥)، و«أنتم قصدتم لي شرًا، أما الله فقصد به خيرًا، لكي يفعل كما اليوم، ليحيي شعبًا كبيرًا» (٥٠: ٢٠). صحيح أن أشياء سيّئة كثيرة حصلت ليوسف، غير أنّ الله كان له قصد حسن بالسماح لها بالحصول.

من المؤكّد أنّ الرسول بولس لم يكن يعجبه الأسر، ولكن كان لله قصد إلهي للسماح بذلك. فقد قام الرسول بولس بكتابة الرسائل إلى أفسس، فيلبي، كولوسي، وفيلمون وهو في الأسر (انظر أفسس ٣: ١؛ فيلبي ١: ٧؛ كولوسي ٤: ١٠؛ وفيلمون ٩). فالله، ومن دون شك، صنع ما هو للخير من خلال ألم الرسول بولس. أحيانًا «الخير» الذي يجلبه الله من ألمنا هو أن يقرّبنا إليه. جوني إركسون تادا Joni Eareckson Tada، الفتاة التي كسرت عنقها في حادثة سباحة مما أدّى إلى إصابتها بشلل كامل، قالت إن مأساتها هذه قرّبتها إلى الله. كما صرّحت بأنها تُفضّلُ البقاء في الكرسي المتحرك والله برفقتها، على أن يكون لديها القدرة على المشي من دون الله.

أحيانًا أخرى، يتضمّن «الخير» الذي يريد أن يستخرجه الله من ألمنا، تغييرًا إيجابيًا في شخصياتنا. يُشير بطرس الرسول إلى ذلك عندما يقول: «الذي به تبتهجون، مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يسيرًا بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم، وهي أثمن من الذهب الفاني، مع أنه يُمتحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح» (١بطرس ١: ٦ و٧؛ إو إذا أردنا صياغتها بلغتنا المعاصرة: «لا ألم، لا ربح»).

أقول كلّ هذا لأشدّدَ على أهمية الإيمان وسط عالم تملؤه الآلام. الله، ومن دون شكّ، يعمل على تحقيق قصده في وسطنا، وعلينا أن نثق به.

coptic-books.blogspot.com

يعجبني الأسلوب الذي يعتمده غايري هابيرماس Gary Habermas وجي. بي. مورلاند J.P. Moreland في رؤية الأمور، حيث يشجعاننا على النظر إليها من «أعلى إلى أسفل»:

> الله، إله هذا الكون، يريد لنا أن ننظر إلى الحياة والموت من وجهة نظره الأزلية. وإن قمنا بذلك، سنُدرك كيف سيُغيّر ذلك حياتنا تغييرًا جذريًا: القلق اليومي، الألم العاطفي، المأسي، واجباتنا وتعاملاتنا مع الآخرين، الأملاك، الثروة، وحتى الألم الجسدي والموت. كلّ هذه الأمور وغيرها هي قابلة للتأثر إيجابيًا بالحقائق السماوية. فالعهد الجديد يذكر مرارًا وتكرارًا أنه ينبغي للمؤمنين أن ينظروا إلى الصعوبات، لا بل إلى حيواتهم بأكملها، من وجهة نظر ما ندعوه مبدأ «من أعلى إلى أسفل»: الله وملكوته أولاً، ملحقةً بأمور حياتنا الأرضية بأشكالها المختلفة.[٤٣]

في بداية هذا الفصل، كنت قد أتيت على ذكر ابن أخي غريغ، الذي توفّي بطريقة مأساوية، لأخبركم أنّ العزاء الوحيد للعائلة بأكملها كان من خلال تبنّي مبدأ ضرورة النظر إلى الأمور من أعلى إلى أسفل. في المستقبل، عندما سنبلغ «أفضل عالم ممكن بين جميع العالمين» الذي وعدنا الله به، تلك المدينة السماوية «التي صانعها وبارئها الله» (عبرانيين ١١: ١٠)، سوف نتمتع بلمّ شمل كبير للعائلة لن ينتهي أبدًا! الموت، الشرّ، الألم، الدموع، هذه كلّها ستُصبح أمورًا من الماضي البعيد.

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. اشرح سبب «استحالة التمييز بين الخير والشرّ ما لم يكن هناك مرجع مطلق للصلاح يُستخدم للحكم على الأمور.»

٢. ماذا يعني الكاتب عندما قال: «الإنسان المؤمن بوجود الله ليس في حاجة إلى الادّعاء بأنّ عالمنا الحالي هو الأفضل على الإطلاق، بل إنه الطريق الأفضل لبلوغ العالم الأمثل»؟

٣. كيف يمكن لمبدإ ضرورة النظر إلى الأمور من أعلى إلى أسفل، أن يساعدك على محاربة الشرّ والألم؟ برأيك، ما هو السبيل لتبنّي موقفٍ كهذا، والعمل بموجبه؟

coptic-books.blogspot.com

الفصل الثالث

أسئلة صعبة عن العلم

وليَم لين كريغ William Lane Craig

coptic-books.blogspot.com

بالعودة إلى العام ١٨٩٦، أقدم رئيس جامعة كورنل Cornell University، أندرو دكسون وايت Andrew Dickson White على نشر كتاب تحت عنوان «تاريخ الحرب الدائرة بين العلم واللاهوت ضمن العالم المسيحي» *A History of the Warfare of Science and Theology in Christendom*.[1] ومنذ ذلك الحين، انتشر على نطاق واسع خلال النصف الأول من القرن العشرين، اعتماد الإستعارة «الحرب» في إطار وصف العلاقة ما بين العلم والإيمان المسيحي. وهكذا بات الرأي المهيمن ضمن مجتمعنا، حتى بين أوساط المسيحيين، أنّ العلم والمسيحية ليسا بحليفين في معرض البحث عن الحقيقة، بل يشكّلان بالحري خصمين. لتوضيح هذا الأمر، كنت قد وافقت لسنوات خلت على المشاركة في حوار مع أحد فلاسفة العلم في جامعة سايمون فرايزر Simon Fraser في ڤانكوڤر Vancouver، حول مسألة: «هل يعتبر كلّ من العلم والدِّين أن لا صلة لأحدهما بالآخر؟» لكن، لدى دخولي حَرَم الجامعة، وجدت كيف أن معشر التلامذة المسيحيين الراعين لهذا الحوار، كانوا قد روّجوا له بواسطة أعلام وملصقات ضخمة تحمل العبارة «العلم مقابل المَسيحية». هؤلاء التلامذة المسيحيون، كانوا في الواقع يؤيّدون هذا الصنف عينه من ذهنية الحرب التي كان أندرو دكسون وايت قد أعلنها قبل مئات السنين.

هل العلم والمسيحية حليفان أم خصمان؟

لكن، ما حصل في الواقع خلال النصف الثاني من القرن العشرين، هو أنّ مؤرّخي وفلاسفة العلم، باتوا يُدركون كيف أنّ هذا التاريخ المفترض

coptic-books.blogspot.com

من الحرب، هو مجرّد أسطورة. وكما يبيّن تشارلز ثاكستون Charles Thaxton مع نانسي پيرسي Nancy Pearcey في كتابهما «نفسُ العلم» The Soul of Science،[٢] فإنّ العلاقة القائمة بين العلم والدِّين، أفضل ما يمكن وصفها هو بالتحالف، وذلك على طول الفترة التي زادت عن الثلاث مئة سنة، والممتدة بين نشوء العلم الحديث في القرن السادس عشر وأواخر القرن التاسع عشر. والآن بات يُعتبر كتاب وايت White كدُعابة سيّئة، وكدعاية مشوّهة منحازة إلى جانب واحد. ولا يُؤتى على ذكرها اليوم إلاّ كمثال عمّا كيف لا ينبغي تناول تاريخ العلم.

يعترف الآن مؤرّخو العلوم بالدور الأساسي الذي لعبه الايمان المسيحي على صعيد تطوّر العلوم الحديثة وتقدّمها. فالعلوم ليست شيئًا طبيعيًا على الجنس البشري. وكما أكّدت الكاتبة العلمية لورين آيزلي Loren Eiseley، بأنّ العلوم هي «مؤسسة ثقافية مبتكرة» تتطلّب «تربة فريدة» حتى تزدهر فيها.[٣] العلوم الحديثة لم تنشأ في الشرق ولا في أفريقيا، بل في الحضارة الغربية. لماذا؟ هذا يعود إلى المساهمة الفريدة للإيمان المسيحي في تشكيل الثقافة الغربية. وكما تصرّح آيزلي: «العالم المسيحي هو المسؤول عن إنشاء المنهج التجريبي للعلوم نفسها The Scientific Method، وعن عرضها بأسلوب واضح ومعبّر.»[٤]

المسيحية، وعلى نقيض الديانات الشرقية والأديان الشعبية، لا تنظر الى الكون على أنه إلهي أو مسكون بالأرواح، بل كونه النتاج الطبيعي لخالقٍ متعالٍ قام بتصميمه وإيجاده. وهكذا، فإنّ العالم هو مكان عقلاني مفتوح أمام محاولات الإستكشاف والإكتشاف. حتى أواخر القرن التاسع عشر، كان العلماء عادةً من المؤمنين المسيحيين الذين لا يرون أي تعارض بين علومهم وإيمانهم – رجال أمثال كپلر Kepler وبويل Boyle وماكسويل Maxwell وفاراداي Faraday وكلڤن Kelvin وغيرهم. أمّا فكرة وجود حرب بين العلوم والدِّين، فهي اختراع حديث العهد نسبيًا تمّ في أواخر القرن التاسع عشر، وهي أيضًا أسطورة غذّاها بحذر المفكّرون العلمانيون الذين

كان هدفهم تقويض هيمنة الثقافة المسيحية والاستعاضة عنها بالمذهب الطبيعي Naturalism، الذي يقول إنه لا يوجد شيء حقيقي خارج الطبيعة، وإنّ الطريقة الوحيدة لاكتشاف الحقيقة هي من خلال العلوم. لقد نجحوا بشكل ملحوظ في دفع الكثيرين إلى قبول فكرتهم هذه.

ولكن، أدرك فلاسفة العلوم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أنّ المؤسسة العلمية بأكلمها تستند إلى افتراضات لا يمكن إثباتها علميًا، إنما تضمنها النظرة المسيحية إلى العالم. مثلاً، قوانين المنطق، والتنظيم الطبيعي للعالم الخارجي، موثوقية قدراتنا المعرفية على إدراك العالم، وصحة الاستدلال الاستقرائي، وموضوعية القيَم الأخلاقية المستخدمة في العلوم. وأريد أن أؤكِّد أنّ العلوم لا يمكن أن توجد بمعزل عن هذه الافتراضات، هذا مع كون هذه الافتراضات لا يُمكن إثباتها علميًا. إنها افتراضات فلسفية، وما يثير الإنتباه كونها تشكل جزءًا لا يتجزأ من وجهة النظر المسيحية إلى العالم. وهكذا نجد أنّ اللاهوت هو حليف للعلوم على نحو يقدّم إطارًا فكريًا حيث يُمكن للعلوم أن تتواجد. والأكثر من ذلك أنّ الدِّين المسيحي هو الذي قدّم تاريخيًا الإطار الفكري الذي وُلدت فيه العلوم الحديثة وترعرعت.

وهكذا، نحن نعيش الآن في عصر من الاهتمام المتجدّد في العلاقات بين العلوم واللاهوت المسيحي. في الواقع، قام في أمريكا الشمالية وأوروبا خلال الربع الأخير من القرن العشرين، حوارٌ مزدهرٌ بين العلم واللاهوت. كما ظهر العديد من الجمعيات لتعزيز هذا الحوار: الجمعية الأوروبية لدراسة العلوم واللاهوت European Society for the Study of Science and Theology، ومنتدى العلوم والدِّين Science and Religion Forum، ومركز علم اللاهوت والعلوم الطبيعية Center for Theology and Natural Science، وغيرها وغيرها. كذلك تكتسب أهمية خاصة المؤتمرات المنعقدة برعاية مركز اللاهوت والعلوم الطبيعية ومرصد الفاتيكان Vatican Observatory، حيث يتداول بعض العلماء البارزين من

coptic-books.blogspot.com

أمثال ستيفن هوكينج Stephen Hawking وبول ديفيز Paul Davies حول موضوع تأثير العلوم الطبيعية في علم اللاهوت مع لاهوتيين بارزين مثل جون پولكينغهورن John Polkinghorne وولوفهارت پننبرغ Wolfhart Pannenberg. هناك مجلّات متخصِّصة في مجال الحوار بين العلوم والدِّين، مثل «زايغون» (*Zygon*) و«وجهات نظر حول العلوم والإيمان المسيحي» *Perspectives on Science and Christian Faith*، ولكن الأهمّ من ذلك هي المجلّات العلمانية مثل «الطبيعة» Nature و«المجلة البريطانية لفلسفة العلوم» *British Journal for the Philosophy of Science*، التي تنشر أيضًا مقالات تتعلق بالتأثير المتبادل بين العلوم واللاهوت. لقد أصبح الحوار بين العلوم واللاهوت هامًا جدًا في أيامنا هذه، حتى إن كلاً من جامعة كامبردج Cambridge University وجامعة أكسفورد Oxford University قاما بإنشاء دوائر اختصاص في مجال العلوم واللاهوت. أقول كلّ هذا ببساطة لمواجهة الأسطورة الثقافية المتأصّلة في الجهل، ويقابلها معظم العلماء اليوم بالرفض، والتي مفادها أنّ كلاً من العلم والإيمان المسيحي هما في صلب طبيعتهما متخاصمان، بدلاً من كونهما حليفين في السعي في إثر الحقيقة.

كيف ينبغي أن تكون عليه علاقة اللاهوت بالعلوم؟

الإجابات عن هذا السؤال الذي لطالما دارت حوله نقاشات تقسم الباحثين إلى فئتين: أولئك الذين يُصرّون على عدم وجود أيّ تعارض بين العلوم واللاهوت، وأولئك الذين يرون أن وجود مثل هذا التعارض ممكن. ينبغي أن يحذر المسيحيون من الإسراع إلى قبول الإجابة السهلة للفريق الأول. فإنه لمن المغري جدًا للمؤمنين المتديِّنين أن يحاولوا تجنّب المشكلة برمّتها من خلال إصرارهم على أنّ العلوم والدِّين لا يمكنهما البتة أن يتعارضا، فلماذا القلق بشأن ذلك؟ ولكن هذه الإجابة يمكن أن تكون غير مقبولة حين ندرسها عن قرب. فالذي يختار الإجابة الأولى يجب أن

يتبنّى إمّا نظرية الحق المزدوج Double-Truth Theory، أي إنه يمكن لأمر ما أن يكون غير صحيح علميًا، ولكنه صحيحٌ لاهوتيًا، وإما أن يتبنى نظرية التكامل Complementarianism، وهو الإعتقاد أنّ العلم واللاهوت هما نطاقان غير متداخلين (العلم يقدِّم لنا الحقائق فيما اللاهوت يعطينا القيمة والمعنى). لكن نظرية الحق المزدوج هي غير متماسكة، لأنّ هناك حقًا موضوعيًا يتعلق بالطريقة التي يتكوّن منها الواقع. (والقول «لا توجد حقيقة موضوعية» يؤكّد بحدّ بذاته وجود حقيقة موضوعية، وهو بذلك يدحض ذاته بذاته!) ولكن إن كانت هناك حقيقة موضوعية تختصّ بحالة العالم، فإنه لا معنى للإصرار، على سبيل المثال، على أن الكون من الزاوية العلمية هو أبدي وغير مخلوق، وأنه، ومع ذلك، من وجهة نظر لاهوتية، هو أيضًا مخلوق وله بداية.

أما بالنسبة لنظرية التكامل، هذا النهج الشائع، فإنه غالبًا ما يكون حجابًا رقيقًا لتجاهل الإدِّعاءات الدِّينية عن الحقيقة، كما هو واضح في تصريح فريمان دايسون Freeman Dyson الذي لا يخلو من الوقاحة، «في نهاية المطاف، العلم يختصّ بالأشياء، واللاهوت يختصّ بالكلمات.»[٥] لكنّ نظرية التكامل غير مقبولة أيضًا لأنّ الإيمان المسيحي يُدلي بتصريحات تاريخية، والتاريخ، على صعيد نظرية المعرفة، هو على قدم المساواة مع العلوم، كما هو واضح لا سيّما في العلوم التاريخية مثل علم المتحجّرات وعلم الكونيات. لذلك لا يمكن للمرء أن يتجنّب احتمال وجود الحقائق المتضاربة في العلوم والدِّين. لا يمكن إنكار أنّ هذا الأمر يسبّب إحراجًا للعقيدة المسيحية، لأنه يضع الحق المسيحي على المحكّ. ولكنه أيضًا يجعل المسيحية ديانة رائعة، لأنّ الكون عينه الذي يجعل الصراع بين العلوم والدِّين ممكنًا، هو أيضًا يتيح الإمكانية للتحقق من صحة الحقائق اللاهوتية المسيحية.

coptic-books.blogspot.com

كيف تصف العلوم الحديثة الكون؟

سي پي سنو (C. P. Snow) في مقالته الشهيرة «الثقافتان» The Two Cultures رثى كون معظم الناس، الذين يعيشون في عصر علمي ويتمتّعون يوميًا بفوائد العلوم الحديثة، لا يزالون يجهلون ما تعلّمه العلوم عن الكون.[٦] مع أنَّ معظمنا قد درس مادة العلوم خلال كلّ من المرحلتين الابتدائية والثانوية، فإنّ قلّة منا فقط تستطيع أن تصف، ولو بطريقة بدائية، صورة الكون التي ترسمها العلوم الحديثة. ولكن قبل أن نفهم نظرة العلوم المعاصرة للكون، سيكون من المستحيل علينا الربط بين لاهوتنا وبين العلوم الحديثة، حتى نصل إلى وجهة نظر موحّدة للكون. لذلك، وبالاستعانة بڤيكتور ويسكوپف Victor Weisskopf[٧]، اسمحوا لي بأن أبسّط ملامح النظرة العلمية الحديثة للعالم كما تطوّرت تاريخيًا:

١ ◂ توحيد علم الميكانيكا الفضائي والأرضي: إنّ قوانين الطبيعة نفسها تسيطرعلى جميع أنحاء الكون.

٢ ◂ وجود الأنواع الذرية: أي إنّ كلّ مادة هي نتيجة دمج نحو مئة نوع من الذرّات المختلفة.

٣ ◂ الحرارة كحركة عشوائية: أي إنّ الحرارة هي ناتجة من حركة الجسيمات المادية، وليست هي مادة في حدٍّ ذاتها.

٤ ◂ توحيد الكهرباء والمغناطيسية والبصريات: أي إنّ هذه كلها تجلّيات للحقل الكهرومغناطيسي.

٥ ◂ تطوّر أنواع الكائنات الحية: نشأت الحياة والتعقيد البيولوجي كما وصفتهما التركيبة الداروينية الحديثة.

٦ ◂ نظرية النسبية: المكان والزمان موحّدان ضمن أربعة أبعاد مكانية وزمنية، يتوافق انحناؤهما مع الحقول الجاذبية.

٧ ◂ نظرية الكمّ: هناك حدود على مستوى ما تحت الذرّي للمفاهيم الكلاسيكية مثل الموقع وقوة الدفع، وذلك بسبب ظاهرة الإبهام السببي.

٨ ◂ البيولوجيا الجزيئية: إنّ اكتشاف جزيئة الحمض النووي، كشَفَ الشيفرة الوراثية المسؤولة عن تطوّر الكائنات الحية.

٩ ◂ «سلَّم» الكمّ: النُظُم المادية تتبع ترتيبًا هرميًا، بحيث كلّما صغر النظام، ازدادت بذلك الطاقة المعبأة فيه. وبهذا نكشف سرّ الطاقة النووية.

١٠◂ التوسّع في الكون: إنّ للكون تاريخًا تطوّريًا كان قد بدأ في الإنفجار الكبير.

بعض الأسئلة الهامة من منطلق علم الدفاعيات المسيحية، تنشأ حول الكثير من هذه المجالات. المسيحيون المتنبهون، ولا سيما القادة بينهم، هم في حاجة أن يفهموا بعض الشيء عن هذه القضايا، وأن يكونوا على استعداد لتقديم وجهة نظر عنها، وعلى إرشاد المستفسرين إلى الموارد المناسبة للحصول على المزيد من الإجابات المتعمّقة. هناك، للأسف، العديد من القضايا للمناقشة، كما أنّ المواضيع واسعة جدًا، غير أنه ليس بوسعنا تناولها إلا بطريقة سطحية ضمن المساحة المخصّصة هنا. ولذلك، اخترت التطرّق باختصار إلى أربعة مجالات فقط للتفاعل الدائر الآن بين اللاهوت المسيحي والعلوم.

من أين أتى الكون؟

النقطة العاشرة من ملامح النظرة العلمية إلى العالم، تُثير مسألة أصول الكون. هذا هو السؤال الجوهري المتعلّق بالخلق: مِن أين أتى الكون؟ ولماذا هو موجود؟ الكتاب المقدَّس يبدأ بعبارة: «في البدء خلق الله السماوات والأرض.» وهكذا يعلّمنا الكتاب المقدَّس أنّ الكون كان

coptic-books.blogspot.com

له بداية. وهو لا يعلّم أنّ هذه البداية كانت حديثة العهد. هذا استنتاج خاطئ مبنيّ على جمع سني حياة شخصيات متنوّعة من العهد القديم. لكن سلاسل النسب في العهد القديم، لا ترمي إلى تسجيل كل جيل. وفي كل الأحوال، فإنّ مثل هذا الحساب يُعيدنا فقط إلى زمن خلق الحياة على الأرض (تكوين ١: ٢)، وليس إلى أصل هذا الكون (تكوين ١: ١). منذ العصور القديمة وحتى القرن العشرين، عقيدة الكتاب المقدّس بأنّ الكون كان له بداية، كانت مرفوضة لدى الفلسفة اليونانية والإلحاد الحديث. وعلى الرغم من هذا، لقد صمدت الكنيسة بثبات في تأكيدها على أنّ خلق الكون حصل في زمان محدّد ومن العدم.

ثم في عام ١٩٢٩، حدث شيء يُنذر بالخطر. اكتشف أحد العلماء ويُدعى ادوين هابل Edwin Hubble أن الضوء المنبعث من المجرّات البعيدة هو، على ما يبدو، أشدّ احمرارًا مما يجب. الخلاصة المذهلة التي توصّل إليها هابل هي أنّ الضوء هو أشدّ احمرارًا لأنّ الكون هو في حالة تمدّد دائم؛ إنه يتوسّع! وبذلك، يتأثّر الضوء الصادر عن المجرّات، لأنها تتحرك بعيدًا عنا.

هذا هو الجزء المثير في هذا الأمر: لم يُظهر هابل فقط أنّ الكون آخذٌ في التوسّع، لكن هذا التوسّع يحصل بالمقدار نفسه في جميع الاتجاهات. لتوضيح هذا الأمر، تخيّل بالونًا مع أزرار ملصقة عليه. على قدر ما تنفخ البالون، تبتعد الأزرار أكثر فأكثر بعضها عن بعض، على الرغم من كونها مثبّتة في مكانها. هذه الأزرار هي أشبه بالمجرّات في الفضاء. كلما توسّع الفضاء، راحت جميع المجرّات في الكون تزداد بُعدًا بعضها عن بعض.

والمعنى الضمني المذهل هو أنه كلّما رجعنا إلى الوراء في الزمن، كانت الأشياء كلّها أقرب ممّا هي عليه الآن. في نهاية المطاف، عند نقطة ما في الماضي المحدود، كان الكون المعروف كلّه مقلّص إلى نقطة حسابية، يسمّيها العلماء «تفرّد»، والتي انطلاقًا منها تمّ التوسّع منذ ذلك

الحين. على قدر ما نرجع أكثر فأكثر إلى الماضي، يصبح الكون بذلك أكثر كثافة، بحيث يبلغ في النهاية نقطة كثافة لامتناهية، منها بدأ الكون في التوسّع. هذا الحدث الأوّلي بات يُعرف باسم «الإنفجار الكبير».

هذا الحدث الذي شهد بداية الكون، يزيدنا ذهولاً عندما نتذكّر حقيقة أن لا شيء كان موجودًا قبل ذلك. لا شيء كان قائمًا قبل «التفرُّد»، لأنه يقع على حافة المكان والزمان الماديَّين. ولذلك فهو يشكّل الأصل، ليس لكل أشكال المادة والطاقة فحسب، بل أيضًا للمكان والزمان الماديَّين. لاحَظَ عالما الفيزياء جون بارو John Barrow وفرانك تيپلر Frank Tipler، التالي: «انطلاقًا من هذا التفرّد، المكان والزمان دخلا إلى حيّز الوجود إذ حرفيًا، لا شيء كان موجودًا قبل التفرّد. لذلك، إذا كان الكون قد نشأ من التفرّد، سيكون لدينا حقًا خَلقٌ من لا شيء.»[٨]

مثل هذا الاستنتاج يثير القلق العميق عند كل من يفكّر فيه. فإنه ثمة سؤال لا يمكن تجاهله: تُرى، لماذا الكون موجود بدلاً من اللاشيء؟ لا يمكن وجود أي سبب طبيعي أو مادي لحدث الإنفجار الكبير لأنه، وبحسب تعبير الفيلسوف كوينتن سميث Quentin Smith، «من الزاوية التحليلية، يأتي في صلب مفهوم التفرّد الكوني أنه لم يحصل نتيجة أية أحداث مادية سابقة. فتعريف التفرّد... يستتبع أنه من المستحيل تمديد الزمن والمكان مرات عدة إلى ما بعد حدود التفرّد... وهذا يستبعد فكرة كون التفرّد قد حصل تحت تأثير عملية طبيعية سابقة.»[٩] السِّير آرثر إدينغتون Arthur Eddington وفي معرض تأمّله في بداية الكون، رأى أنّ توسّع الكون حصل بشكل غير معقول ولا يُصدَّق حتى «إني أشعر بالسخط الشديد إن أقدم على تصديقه أحد سواي.»[١٠] وفي النهاية، وجد نفسه مجبرًا على استخلاص، «البداية، كما يبدو، لم تخلُ من صعوبات لا يمكن التغلب عليها ما لم نتّفق على اعتبار أنها حصلت بشكلٍ خارق للطبيعة.»[١١]

coptic-books.blogspot.com

انزعج بعض الناس من فكرة أنّ الكون، على ما يبدو، نشأ من لا شيء. لذا، حاولوا إيجاد سبل لتجنّب التفرّد الحاصل واستعادة أبدية الكون، ولكن من دون جدوى. كان تاريخ علم الكونيات في القرن العشرين، تاريخ التزوير المتكرّر لمثل هذه النظريات غير القياسية، مع السعي لتثبيت نظرية الإنفجار الكبير.[12] لقد كان هناك إجماع داخل المجتمع العلمي على أنّ أيًّا من هذه النظريات البديلة، لم يكن ليسمو على نظرية الإنفجار الكبير. وقد ثبت مرارًا وتكرارًا مِن النماذج التي تهدف إلى تجنّب النموذج القياسي لحصول بداية للكون في المطلق، كما ثبت أنّ هذه النماذج البديلة إمّا أنها لم تكن لتصمد أمام الفحص والانتقاد، وإمّا لا تنفي وجود بداية للكون. على سبيل المثال، في بعض هذه النظريات، مثل «الكون المتأرجح» (الذي يبقى يتوسّع ويتقلّص إلى الأبد)، أو «كون التضخم الفوضوي» (الذي يولِّد باستمرار الأكوان الجديدة)، لئن بدا مستقبلها لامتناهيًا، فإنّ لها ماضيًا محددًا. هناك أيضًا النظريات التي ترتكز على تقلّبات فراغ الكون (والتي تفترض وجود فراغ أبدي منه نشأ كوننا)، لا يمكنها أن تفسّر لماذا، إذا كان الفراغ أبديًا، لسنا نشهد كونًا قديمًا بشكل لامتناه. كانت هذه النماذج لا تزال تظهر في الصحافة الشعبية، لكن جرى التخلي عنها من قِبل معظم العلماء اليوم.

واحدة من المحاولات الأخيرة الأكثر شهرة لتجنّب حصول التفرّد في البدء، تأتي من ستيفن هوكينغ Stephen Hawking من خلال نظريته حول جاذبية الكمّ، التي لقيت قدرًا كبيرًا من الاهتمام في الصحافة الشعبية من خلال كتابه الأكثر مبيعًا تحت عنوان «موجز تاريخ الزمن» *A Brief History of Time*. يلحظ هوكينغ في نظريته، أنّ الماضي هو محدود لكن ليس لديه أية نقطة بداية أو حافة. هوكينج لا يمانع على الإطلاق في استخراج انعكاسات لاهوتية من نموذجه. يكتب: «الكون لن يكون له أية بداية أو نهاية، ولن يكون قابلاً للخلق أو للدمار، وفي هذه الحال، أي مكان يبقى بعد لوجود خالق؟»[13]

بالنسبة إلى الذين يحطّون من قدر الخلق، وللأسف، لا يمكن لنموذج هوكينج أن يقدّم وصفًا واقعيًا للكون. يكفي أن نذكر نقطة واحدة فقط: يفترض هوكينج أنّ الكون موجود في وقت وهمي بدلاً من الوقت الحقيقي. وهذا يعني أنّ هوكينج يستخدم في معادلاته أرقامًا خيالية للدلالة على الوقت، أرقام مثل √-١. والمشكلة هي أنّ أمثال هذه الأرقام هي أدوات حسابية أو حِيَل، ليس لها معنىً مادي. وفي تاريخ قديم، يرجع إلى العام ١٩٢٠ تقصّى إدينغتون Eddington ما وصفه «بحيلة» استخدام أرقام خيالية لعامل الوقت، لكنه اعتبر أن «لا فائدة تُرجى» من الإنعكاسات المترتبة على ذلك، لأنه قال: «هذا لا يتعدّى كونه مجرّد أداة تحليلية.»[14] لقد رأى أنّ الوقت الخيالي هو مجرّد أداة توضيحية، والتي لا تتوافق بالتأكيد مع أي واقع مادي.»[15]

واللافت أنّ هوكينغ في أحدث كتاب له تحت عنوان «طبيعة المكان والزمان» *The Nature of Space and Time* (١٩٩٦)، يعترف بهذا الأمر إذ يقول: «النظرية المادية هي مجرّد نموذج حسابي، ولا معنى للسؤال عما إذا كان هذا النموذج مطابقًا للواقع... أمّا جُلّ اهتمامي هو أن تُنبئ هذه النظرية بنتائج القياسات.»[16] لكن، إن كان هذا كلّ ما تفعله نظرية هوكينغ، فإنه من الواضح انها لا تُلغي وجود بداية حقيقية للكون أو الحاجة إلى الخالق. إنها وبكل بساطة، وسيلة حسابية لإعادة وصف الكون، الذي كان قد بدأ بموجب عملية تفرّد، بشكل يسهو عن الحديث عن أيّ تفرّد. وفي كل الأحوال فإنّ نظرية هوكينغ، لدى تفسيرها واقعيًا، لا تزال تدين بفكرة الأصل المطلق للكون، حتى لو لم يبدأ الكون بالتفرّد، كما هي الحال في النظرية القياسية المتعلّقة بالإنفجار الكبير.[17] نموذجه يفتقر إلى نقطة البداية، لكنه لا يلحظ سوى ماضٍ محدود، وبالتالي أصل مطلق. وهوكينج نفسه يلخّص المسألة على الشكل التالي: «الجميع تقريبًا يعتقدون الآن أنّ الكون والزمن نفسه، كانا قد بدأا مع الإنفجار الكبير.»[18]

coptic-books.blogspot.com

ونظرًا للانعكاسات اللاهوتية الواضحة التي تترتَّب على نشوء الكون من لا شيء، يُمكننا أن نتوقَّع ظهور نظريات بديلة لنموذج الإنفجار الكبير، والتي تحاول أن تثبت نظرية الكون الأبدي. پول ستينهاردت Paul Steinhardt من جامعة پرينستون Princeton، لقي في الآونة الأخيرة قدرًا كبيرًا من التغطية في الصحافة الشعبية لنموذجه الجديد عن العملية الدورية لخراب العالم، ومن ثم إعادة تكوينه (Cyclical Ekpyrotic Model of the Universe).[١٩] هذه البدائل المقترحة يجب أن تكون موضع ترحيب على أن يتمّ تقييمها في ضوء الأدلّة، لأنه إذا استمرّ نمط إحباط هذه البدائل، فإنّ هذا من شأنه إعطاء تأييد أوسع لنموذج الإنفجار الكبير مع ما يلحظه من وجود بداية مطلقة للكون، كما أنه سيُكسبه مصداقية أكبر. الأدلّة المتراكمة قد دعمت باستمرار فكرة خلق الكون من لا شيء، وذلك بالرغم من الميل السائد عند الكثيرين إلى رفض ذلك. ج. م. ورسينجر J. M. Wersinger، أستاذ الفيزياء في جامعة أوبورن Auburn، يصرّح بهذه الملاحظات:

> في البداية، كان المجتمع العلمي مترددًا جدًا في تقبّل فكرة ولادة الكون.
>
> نموذج الإنفجار الكبير، على ما يبدو، يُذعن للفكرة اليهودية المسيحية عن بداية العالم، كما يَظهر عليه أنه يدعو إلى حصول فِعل خلق خارق...
>
> استغرق الأمر وقتًا، ريثما نجحت أدلّة الرصد والتحقّق بعناية من التوقّعات التي أدلى بها نموذج الإنفجار الكبير، لإقناع المجتمع العلمي بقبول فكرة نشأة الكون.
>
> ...الإنفجار الكبير هو نموذج ناجح للغاية، استطاع أن يفرض نفسه على جماعة علمية مترددة.[٢٠]

وهكذا تمكّن العلم، وضدّ كل التوقّعات، أن يُثبت ما كان قد صرّح به الكتاب المقدَّس عن بداية الكون.

ماذا نقصد بقولنا إنّ الكون مضبط بشكل دقيق جدًا؟

وجود الكون، لا يضمن بطبيعة الحال أن تكون الحياة فيه ممكنة. ظنّ العلماء في وقت من الأوقات أنه مهما كانت عليه الظروف الأوّلية للكون، فإنه سيطوّر في نهاية المطاف مجمل أشكال الحياة المعقدة التي نراها اليوم، كما هو مذكور في النقطة الخامسة من معالم النظرة العلمية إلى العالم (راجع صفحة ٦٦). إلاّ أنّ واحدًا من أحدث الاكتشافات المتعلقة بأصل الحياة وتطورها، أظهرت الضبط الدقيق لكوننا هذا منذ لحظة حصول الإنفجار الكبير بشكل يسمح بنشوء الحياة في أي مكان في العالم. وخلال الثلاثين عامًا الماضية أو نحو ذلك، ذُهل العلماء حيال القدر العظيم من التعقيد والدقّة، التي كان يجب أن تتّسم بها الظروف الأوّلية للكون حتى تظهر فيه الحياة، ومن ثمّ تتطوّر. في مختلف مجالات الفيزياء، والفيزياء الفلكية، وعلم الكونيات الكلاسيكية، وميكانيكا الكمّ، والكيمياء الحيوية، أعلنت الإكتشافات مرارًا، أنّ وجود حياة يعتمد على توازن دقيق من الثوابت الفيزيائية والكمّيات. وفي حال تغيّرت هذه قليلاً، سيسقط التوازن والحياة لن تكون موجودة. حقًا، في كثير من الحالات، لن يكون هناك وجود للنجوم والكواكب، ولا حتى للكيمياء، ولا حتى للمادة الذرّية نفسها، ناهيك عن الحياة البيولوجية. وفي الواقع، يبدو أنّ الكون قد تمّ تنظيمه بدقّة لا تُستقصى، منذ لحظة إنشائه، ما يَسمح بوجود حياة ذكية فيه.

على سبيل المثال، إنّ أي تغيير في قوة الجاذبية أو القوة الكهرومغناطيسية بنسبة جزء واحد فقط من $١٠^{-٤٠}$، كان سيحول دون

coptic-books.blogspot.com

وجود نجوم مثل شمسنا، ما يجعل الحياة مستحيلة. كما أنّ كل نقصان أو زيادة في سرعة التمدّد بنسبة جزء واحد فقط من مليون مليون عندما كانت حرارة الكون تبلغ $١٠^{١٠}$ درجة، كان من شأنه جعل الكون منذ فترة طويلة يتخذ من جديد شكل كرة نارية ساخنة، أو كان سيمنع المجرّات من التكثيف. وفي كلتا الحالتين، يصبح من المستحيل وجود الحياة. إنّ ما يُعرف بالثابت الكوني، والضروري جدًا لتطوير كوننا، يجب أن تبقى دقته فائقة بشكل لا يوصف، إذ نسبتها جزء واحد من $١٠^{٥٣}$ حتى يكون هناك حياة في الكون. هذا ليس سوى غيض من فيض لجهة الثوابت والكميات التي يجب ضبطها بكلّ دقة، لكي يتسنّى للحياة أن تظهر في الكون.

لا يلزم ضبط كلّ كمية بمفردها وحسب، بل على الكميات المتفرقة أن تتبع نِسَبًا محدّدة حيال بعضها بعضًا. وبالتالي، الحالة هنا ليست أشبه بجميع ألعاب الروليت في مونتي كارلو، حيث دوران العجلات يعطي في نهاية المطاف المجموعة المعيّنة نفسها من الأرقام، بل هي أشبه بجميع ألعاب الروليت في مونتي كارلو حيث دوران العجلات يعطي في نهاية المطاف المجموعة المعيّنة من الأرقام، على أن تتبع هذه الأرقام أيضًا نِسَبًا معيّنة حيال بعضها بعضًا. على سبيل المثال، يجب أن يكون الرقم الظاهر على عجلة ما، سبع مرات أكبر من الرقم الظاهر على عجلة أخرى وثُلث الرقم على عجلة أخرى. لذا، من غير المحتمل أبدًا، بأي شكل من الأشكال، وجود كون قابل للحياة.

كيف ينبغي لنا إدراك مفهوم احتمال وجود كون صالح للحياة؟ جون بارو John Barrow، وهو فيزيائي بريطاني، يعطينا فكرة حول هذا الأمر.[٢١] هو يدعونا إلى وضع نقطة حمراء على قطعة من الورق على اعتبار أنها تمثل عالمنا. والآن غيِّرْ بعض الشروط الأوّلية قيد أنملة، فتحصل بذلك على كون مختلف. إنْ كان يصلح للحياة، ضعْ نقطة حمراء وإن كان لا يسمح بوجود الحياة فيه، ضعْ نقطة زرقاء. إفعل هذا مرارًا وتكرارًا، حتى

تمتلئ الورقة بالنقاط. هل تعرف ما ستحصل عليه أخيرًا؟ أجل، سيرتسم أمامك بحرٌ من النقاط الزرقاء مع قليل فقط من النقاط الحمراء. بهذا المعنى، يمكن القول عن حق إنّ وجود كون يسمح بالحياة هو أمر غير محتمل حصوله بشكل لا يُصدّق.

في بعض الأحيان، سوف يقول الناس: «نعم، كوننا من غير المحتمل وجوده. ولكن أيّ كون آخر، من غير المحتمل وجوده أيضًا. فالأمر أشبه بالربح في اليانصيب. فإنه من غير المحتمل أن يربح شخص محدّد، ولكن لا بدّ أن يربح الجائزة شخص ما.» هذا الاعتراض يساعد على إبراز حقيقة أن ليس مجرّد الاحتمال هو موضوع البحث، بل بالحري الاحتمال المحدّد. الكلام ليس عن مدى احتمال وجود هذا الكون أو ذاك، ولكنّ الأمر يتعلق بكونٍ يصلح لوجود الحياة عليه. وبالتالي، فإنّ التشابه الجزئي الصحيح يفترض حصول يانصيب فيه مليار مليار مليار كرة سوداء جرى خلطها مع كرة واحدة بيضاء. وأنت وُجّهت إليك الدعوة لكي تتقدّم وأنت معصوب العينين وتختار كرة واحدة. وفي حين أنّ كل كرة تتساوى مع جميع الكرات الأخرى في نسبة احتمال انتقائها، لكن الحظوظ كاسحة بأن تأتي الكرة التي تختارها سوداء، لا بيضاء. ولتكميل هذا التشابه الجزئي، تخيّل الآن أنّ حياتك تعتمد على اختيار الكرة البيضاء وإلاّ تعرّضتَ للقتل! إذا مددت يدك، وأنت معصوب العينين، إلى ذلك العدد الهائل من الكرات السوداء، واكتشفت أنك قد سحبت الكرة الوحيدة البيضاء، فلك الحق عندئذٍ أن تشكّك في صحة الأمر على اعتبار أنه لا يخلو من الغش والتزوير. وإذا كُنت لا تزال مرتابًا، تصوّرْ أنك تحتاج، لكي تتفادى الموت، أن تنجح في فعل ذلك ثلاث مرات على التوالي. إنّ الاحتمالات في هذه الحالة لن تكون مختلفة كثيرًا، ولكن ستكون مجنونًا إذا اعتقدت أنك قد أنجزت هذا من طريق الصدفة.

coptic-books.blogspot.com

ماذا تعني فرضيّة وجود «عوالم متعدّدة»؟

المدافعون عن الصدفة كبديل، أصبحوا الآن مرغمين على تبنّي نظرية غير عادية: فرضية وجود «عوالم متعدّدة». ووفقًا لهذه الفرضية، كوننا هو مجرّد جزء واحد من مجموعة أكبر من الأكوان، وكلها أكوان حقيقية، وقائمة فعلاً، لا أكوانًا محتملة فقط. ولضمان إمكانية ظهور، في مكان ما من الكون، من طريق الصدفة، عالم منظم بكلّ دقّة حتى يصلح للحياة، فإنه يُشترط كذلك أن يكون هناك عدد لا حصر له من العوالم ضمن المجموعة (حتى تتحقق كلّ إمكانية أو احتمال)، وأن تكون الثوابت الفيزيائية والكميات مرتبة عشوائيًا (حتى لا تكون هذه العوالم مماثلة على حدّ سواء). وهكذا، في مكان ما من مجموعة العوالم هذه، سوف يظهر من طريق الصدفة وحدها، بعض العوالم المنظّمة بدقة كعالمنا. وينبغي ألاّ نتفاجأ لدى مراقبة رؤية أوضاع دقيقة كهذه، ذلك لأنّ المراقبين مثلنا لا وجود لهم إلاّ في تلك الأكوان المضبوطة بدقة.

يأتي شعور بعض العلماء الموقّرين بضرورة اللجوء إلى فرضية غير عادية ذات طابع ماورائي، ليؤكّد أهمية تقديم تفسير لظاهرة وجود نظام دقيق في الكون. في الآونة الأخيرة، أعلن پول ديڤيز Paul Davies أنّ قضية وجود تصميم في الكون، تصمد أو تسقط في ضوء صحة وجود عوالم متعدّدة.[٢٢]

فماذا يُمكن أن يُقال عن هذه الفرضية؟ أولاً، يتعيّن علينا إدراك كيف أنها ليست علمية أكثر من فرضية «المصمّم الكوني»، ولا هي أقلّ ماورائية منها. وكما يقول العالم واللاهوتي جون پولكينغهورن John Polkinghorne: «الناس يحاولون تمرير قصة «العوالم المتعدِّدة» باعتمادهم تعابير ومصطلحات علمية زائفة، ولكن هذا هو العلم الملفّق. فاحتمال وجود عدة عوالم تحكم فيها قوانين وظروف مختلفة، ليس سوى مجرّد تخمين ما ورائي.»[٢٣] فرضية العوالم الكثيرة كفرضية

الماورائية، بالإمكان برهان كونها أدنى من فرضية التصميم، ذلك لأنّ فرضية التصميم هي أبسط. ووفقًا للمبدإ المعروف باسم شَفرة أُكهام Ockham's Razor، ينبغي عدم مضاعفة الأسباب فوق ما هو ضروري لتفسير النتيجة. فالتسليم بوجود مصمّم كوني لتفسير عالمنا، يبقى أبسط من التسليم بوجود مجموعة لا محدودة من العوالم المستنبطة والمصنّعة، والتي تتطلّبها فرضية عوالم كثيرة. لذا، يجب تفضيل فرضية التصميم.

ثانيًا، لا توجد طريقة معروفة لتوليد مجموعة من العوالم. ولم يتمكن أحد من تفسير كيف أو لماذا وُجدت هذه المجموعة المتنوعة من الأكوان. إلى ذلك، فإنّ المحاولات التي بُذلت تتطلّب هي نفسها ضبطًا دقيقًا. على سبيل المثال، مع أنّ بعض علماء الكون يستندون إلى ما يُسمّى نظريات تضخّم الكون لإنشاء مجموعة عوالم، يبقى النموذج التضخمي الوحيد المتماسك هو نظرية ليندِه Linde عن التضخم المرتبط بالفوضى، وهذه أيضًا تتطلب ضبطًا دقيقًا لبدء التضخم.

ثالثًا، فرضية العوالم الكثيرة تواجه تحدّيًا شديدًا من نظرية «النشوء والإرتقاء البيولوجي»، التي تشكّل أحد معالم النظرة العلمية إلى الأمور. أولاً، لنَذكرْ شيئًا عن خلفية الأحداث: اقترح خلال القرن التاسع عشر، الفيزيائي الألماني لودڤيغ بولتزمان Ludwig Boltzman ما هو أشبه بفرضية وجود عوالم عدة، وذلك لتفسير لماذا لا نجد الكون يقبع في حالة من «موت الحرارة» أو توازن الديناميكا الحرارية، حيث تكون الطاقة موزّعة بالتساوي في جميع أنحاء الكون.[٢٥] بولتزمان افترض أنّ الكون ككلّ موجود، في الواقع، في حالة من التوازن، ولكن مع مرور الوقت، قد تحدث التقلّبات في مستوى الطاقة هنا وهناك في كل أنحاء الكون، وقد يظهر الخلل في التوازن من قبيل الصدفة فقط في بعض المناطق المعزولة. وأشار بولتزمان إلى هذه المناطق المعزولة بالعبارة «العوالم». وينبغي ألا نتفاجأ من رؤية عالمنا في حالة من عدم التوازن هذه،

coptic-books.blogspot.com

لأنّ من جملة العوالم، لا بدّ من وجود، مِن قبيل الصدفة وحدها، بعض العوالم التي تشهد خللاً في توازنها. وقد شاءت الصدَف أن يكون عالمنا من هذا الصنف.

المشكلة مع فرضية بولتزمان التي يتجرّأ فيها التحدث عن عدّة عوالم، هو أنه إذا كان عالمنا هو مجرّد تقلّب في بحر من الطاقة المنتشرة، فالإحتمالات في هذه الحالة تكون كاسحة برؤية منطقة خلل أصغر بكثير ممّا نشهده الآن. وحتى يُكتب لنا نحن الوجود، فإنّ تقلبًا أصغر واحدًا، كالذي أنتج عالمنا على الفور بفعل وقوع حادث ضخم، هو أكثر احتمالاً بما لا يُقاس، من الإنخفاض التدريجي لعامل الإنتروبيا في إطار تشكيل العالم الذي نراه. وفي الواقع، فإنّ فرضية بولتزمان، إذا تمّ اعتمادها، تجبرنا على النظر إلى الماضي، كشيء وهمي لا يملك سوى عمر ظاهري وفيه النجوم والكواكب وهمية. وهذا النوع من العالم، حيث النجوم تبدو مجرّد «صُوَر»، يبقى احتمال وجوده أكبر بكثير، من عالم شهد في الماضي السحيق أحداثًا حقيقية حصلت في الزمان والمكان، وذلك نظرًا لحالة التوازن العام الذي سادته. لذا، كان هناك إجماع ضمن الجماعة العلمية على رفض فرضية بولتزمان القائلة بوجود عوالم عدة. كما أنّ ظاهرة اختلال التوازن الراهنة، تُعتبر عادةً مجرّد نتيجة لوجود النسبة المنخفضة من الإنتروبيا، هذا الواقع الغامض الذي ساد الكون في بدايته.

ثمة مشكلة موازية أخرى تبرز لدى التسليم بفرضية وجود عوالم عدة لتفسير ظاهرة الدقّة في التنظيم التي يعرفها عالمنا. فوفقًا للنظرية السائدة عن التطوّر البيولوجي، الحياة الذكية كالتي نتمتّع بها نحن البشر، وفي حال تطويرها، كانت لتحصل في أكثر وقت متأخّر قدر الإمكان من عمر الشمس. فكلّما قلّت الفترة الزمنية المُتاحة لحصول عمليات التحوّل الجيني والانتقاء الطبيعي، انخفضت من جراء ذلك احتمالات خضوع الحياة الذكية لعامل التطوّر. ونظرًا لمدى التعقيد الذي يسود الكيان

البشري، فإنّ احتمالات تطوّر الكائنات البشرية في وقت متأخر من حياة الشمس، هي أكبر بكثير وبشكل كاسح، من إمكانية حصول ذلك في وقت مبكر. لذا، إن كان عالمنا هو مجرّد جزء من مجموعة كونية، فاحتمالات وجود شمس قديمة العهد جدًا، تكون أكبر بكثير وعلى نحوٍ ساحق، من شمس فتيّة نسبيًا عمرها بضعة ملايين من السنين. وفي حالِ جئنا نتيجة عملية تطوّر بيولوجي، يجب أن نجد أنفسنا داخل عالم حيث تطوّرنا خلال وقت لاحق من عمر نجمنا. وفي الواقع، إنّ تبنّي فرضية وجود عوالم عدة للتوصّل إلى تفسير يحاول تجاوز ظاهرة الدقّة في النظام، إنما يؤدي بنا إلى صنف غريب من الوهم. الاحتمالات كبيرة جدًا بأن نكون مخطئين في تقديراتنا الفلكية والجيولوجية والبيولوجية، والتي تشير إلى عمر فتيّ نسبيًا، وبأنّ وجودنا يرجع حقًا إلى زمن لاحق من عمر الشمس، وبأنّ مظهر الصبا الذي يبدو على كلّ من الشمس والأرض، هو وهمٌ عظيم يُعدّ ضربًا من الجنون من الزاوية العلمية. وبالتالي، إمّا نحن لسنا من نتاج الصدفة التي رافقت عملية التطوّر البيولوجي (وفي هذه الحال، من الضروري وجود تصميم)، وإما وجودنا لم يحصل بالصدفة كجزء من مجموعة عالمية (وفي هذه الحال أيضًا، من الضروري وجود تصميم). وفي كلتا الحالتين، يقودنا ذلك إلى شخص المصمِّم.

الفشل الذي مُنيت به فرضية وجود عدة عوالم، أسقط آخر حاجز حيال وجود تصميم وراء النظام الدقيق السائد في العالم. وفي ضوء عدم احتمال أن تكون الظروف الأوّلية مؤاتية ومناسبة لوجود الحياة، هذا الأمر الذي يبقى قصيًا عن الإدراك، إنه لَمن المنطق الاعتقاد، كما يصرّح الكتاب المقدَّس، أنّ العناية الإلهية هي التي رتّبت أن يحوي هذا العالم مقوّمات الحياة.

coptic-books.blogspot.com

كيف نفسّر ما هو الأصل الفعلي للحياة؟

ما يشهده الكون من نظام دقيق، يؤمّن بعض المتطلّبات الضرورية لوجود الحياة في أيّ مكان من الكون، لكنه لا يضمن نشوء الحياة فعلاً في الكون. وبكلام آخر، فلئن كانت هذه الظروف المرتّبة بشكل دقيق ضرورية للحياة، فإنها تبقى غير كافية. لذا، قد نسأل، إلامَ تدعو الحاجة بعد؟ وكيف نفسّر ما هو الأصل الفعلي للحياة؟

لعلنا في معظمنا كنّا قد تعلّمنا في المدرسة كيف أنّ الحياة كانت قد بدأت في الأصل داخل ما يُعرف باسم «الحساء الأساسي»، وذلك نتيجة تفاعلات كيمائية حصلت من طريق الصدفة. ففي وقت سابق يعود إلى زمن الخمسينيات من القرن العشرين، تمكّن ستانلي ميلر Stanley Miller من الحصول على بعض الأحماض الأمينية بإرساله صدمات كهربائية داخل غاز الميثاين. صحيح أنّ الأحماض الأمينية ليست حيّة، غير أنّ البروتينات تتكوّن من أحماض أمينية، مع العلم أنّ هذه البروتينات موجودة داخل الكائنات الحيّة. هذه النتيجة أحيت الآمال بأن يكون بالمستطاع، بشكل من الأشكال، تفسير ما هو أصل الحياة.

بحسب الظاهر، إنّ هذا السيناريو لأصل الحياة، بدا غير محتمل حصوله في المطلق. وبحسب تقدير الثنائي فرِد هويل Fred Hoyle وشاندرا وكراما سينغي Chandra Wickramasinghe، فإنّ حظوظ حصول معًا، من طريق الصدفة، عشرة من أصل العشرين من الأحماض الأمينية (مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه المرحلة لا تعرف أيّ شكل من أشكال الانتقاء الطبيعي، وبالتالي يغيب عنها أيّ تطوّر كيميائي) من أجل تكوين أنزيمة واحدة، هي بنسبة واحد من $١٠^{٢٠}$. ونظرًا لحجم محيطات الأرض ولتوافر بلايين السنين، ظنّا أنّه بالإمكان مواجهة أمر كهذا بعيد الاحتمال. لكنهما أشارا إلى وجود ألفي أنزيمة مختلفة مصنوعة من الأحماض الأمينية، على أن تتكوّن جميعها من طريق الصدفة. أمّا حظوظ حصول ذلك هو بنسبة نحو

واحد من $١٠^{٤٠٠٠٠}$، وهي نسبة «صغيرة جدًا بشكل خيالي»، ما يحول دون حدوثها، «حتى ولو كان الكون بأسره قوامه الحساء العضوي.»[٢٦] ولا يشكّل هذا سوى البداية إذ يبقى أن تنشأ جزيئة «الدي إن أي» DNA من البروتينات إلى جانب الوحدات الوظيفية الأخرى المعقدة داخل الخليّة. هذه المسائل، هي على درجة من التعقيد، تحول دون إمكانية تحديدها بأرقام.

إذًا، نجد كيف أنّ سيناريو الحساء الأساسي، لم يحظَ منذ البداية بالدعم اللازم. وبالنسبة إلى الشخص العادي، ما يفوته إدراكه أنّ السيناريوهات القديمة هذه عن «أصل الحياة»، قد تلاشت اليوم وتمّ التخلّي عنها. وهذه النقطة، جرى توثيقها بشكل رائع ضمن الكتاب «لغز أصل الحياة» *The Mystery of Life's Origin*.[٢٧] يشير مؤلّفو الكتاب إلى عدم وجود، على الأرجح، أي شيء من صنف الحساء الأساسي، ذلك لأنّ عمليات التخريب والتخفيف، كان من شأنها الحؤول دون حصول تلك العمليات الكيميائية المفترض فيها أن تكون قد أدّت إلى نشوء الحياة. إلى ذلك، كان الظن في البداية أنّ بلايين السنوات كانت متاحة لكي تبدأ الحياة من طريق الصدفة. لكن عندنا الآن متحجّرات لأصناف من الحياة كانت موجودة في زمن باكر جدًا يرجع إلى ٣٫٨ بليون سنة قبلاً. هذا يعني أنّ «نافذة الفرصة» حيث كان يترتّب على الحياة أن تبدأ من قبيل الصدفة، راحت توصد تدريجيًا، ولم تعدْ تتعدى اليوم سوى نحو ٢٥ مليون سنة، مع العلم أنّ هذه الفترة الزمنية هي أقصر من أن تصلح كمسرح لسيناريوهات الصدفة. إلى ذلك، فإنّ السيناريوهات الكيميائية المختصّة بأصل الحياة، تفرض أن يكون الغلاف الجوي للأرض في البداية، خاليًا تقريبًا من غاز الأكسجين؛ إلاّ أنه تتوافر أدلّة توحي بأنّ الغلاف الجوي في البدء كان غنيًا بالأكسجين. كذلك، لم يكن هناك سبيل للاحتفاظ بأيّ من نتاج التطوّر الكيميائي لصالح العملية الثانية المفترضة على صعيد التطوّر. فالعمليات التي كوّنتها، تعمل هي نفسها على تخريبها. كما أنّ الديناميكا الحرارية تعرض مشكلة يستحيل حلّها، بالنسبة إلى سيناريوهات كهذه،

coptic-books.blogspot.com

لأنه ما من سبيل لاستخراج هذه الطاقة الخام من الطبيعة، من البرق مثلاً أو من الشمس، لجعلها تدفع عملية التطوّر الكيميائي قُدُمًا.

لأجل هذه الأسباب وغيرها، كلّ الدراسات المعنيّة بأصل الحياة، هي واقعة في مأزق. فكلّ النظريات القديمة سقطت وتلاشت، وذلك في غياب أية نظرية جديدة تدور في الأفق. يبدو أنه من غير المستطاع تفسير أصل الحياة على الأرض. ففي نظر فرانسس كريك Francis Crick، إنّ أصل الحياة على الأرض، «يوشك أن يكون معجزة.»[28] هذه المعضلات دفعت بعض العلماء إلى الظنّ أن الحياة قد لا تكون قد بدأت على الأرض، لكنها نُقلت إليها في الأصل بواسطة نيازك وشُهب صادرة عن كوكب آخر. لكنّ هذا الفكر هو بمثابة قفزة ترتكز على الإيمان البحت، ولا يساهم كثيرًا في إيجاد حلّ للمشكلة، إذ تُرى، كيف بدأت الحياة في مكان آخر؟ هذا النمط من التفكير لا يُجيب عن السؤال، بل حتى يجعل من المُحال إمكانية الإجابة عنه.

أحيانًا، يدّعي بعضهم أنّ الحياة لا بدّ لها أن تبدأ، من قبيل الصدفة، في مكان ما من الكون (أو ربما الأكوان) الفسيح الذي لا حدود له، وذلك بمعزل عن طابع عدم الاحتمال الذي يلفّ ظهور الحياة. وفي الواقع، إن كان الكون غير محدود ولامتناهي، فالحياة في هذه الحال سوف توجد، من قبيل الصدفة، في كل أرجاء الكون مرات عدة وبشكل غير محدود. لكنّ المشكلة التي تبرز هنا مع هذا النمط من التفكير، هو أنه يضاعف موارد الاحتمالات من دون مسوّغ لذلك. وإن كان يحقّ لنا فعل ذلك، فسيكون بوسعنا التقليل من أهمية أيّ حدث غير محتمل، حتى يغدو التصرف العقلاني شيئًا من المحال. ومهما بدا الأمر غير محتمل حدوثه، سيكون بوسعنا الحدّ من أهميته من خلال الزعم بأنّ حصوله ممكن في مكان ما من العالم الفسيح والمترامي الأطراف. لكن، هل بوسعك تخيّل أن يدور الحوار التالي عند طاولة للعبة البوكر داخل إحدى قاعات تكساس الغربية؟

«تكس Tex، أنت رجلٌ وغدٌ، مخاتل ومنافق! كلّ مرة فيها توزّع أوراق اللعب، تحصل على أربع أوراق من فئة الآص (واحد)!»

«حسنًا يا سْليم Slim، أنا أعرف أنّ الأمر يبدو مريبًا جدًا، عندما أحصل على أوراق من فئة الآص لدى توزيعي الأوراق. لكن، عليك أن تفهم أنّ هنا في هذا الكون اللامتناهي، يوجد عدد لامتناهٍ من ألعاب البوكر الشبيهة بهذه والحاصلة في مكان ما. فالحظوظ كبيرة أن أتمكّن في بعض منها من الحصول على أربع أوراق من فئة الآص، في كلّ مرة أوزّع الورق. لذا، إطرح مسدسك جانبًا ولازم الصمت وأكمل اللعب بالورق!»

والآن، إن كنت مكان سليم العجوز، هل ستتصرف بجهل وحماقة إذ تجلس وتواصل لعب البوكر مع صديقك؟ بناءً على هذا النمط من التحليل، ويا للعجب، لم يكن بإمكاننا قط إعطاء أي دليل على لامحدودية الكون، ذلك لأنّ أي دليل على لامحدودية الكون يبقى بالإمكان التقليل من أهميته على اعتبار حصول ذلك من قبيل الصدفة داخل عالم فسيح بما فيه الكفاية (مع أنه لا يزال محدودًا)، حتى يظهر الدليل من قبيل الصدفة فقط! إذًا، الاعتراض ينقض ذاته بذاته في نهاية المطاف، ولا يمكن تثبيته منطقيًا.

والآن، لا يُفصح الكتاب المقدَّس عن الطريقة التي بها وُجدت الحياة. فهو يكتفي بالتصريح: «وقال الله لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا وشجرًا... لتفض المياه زحافات ذات نفس حية» (تكوين ١: ١١، ٢٠). فالكتاب المقدَّس ليس بكتاب علوم، وهو لا يخبرنا عن الوسائل، في حال وجودها، التي كان قد اعتمدها الله في معرض خلقه الحياة. إلا أنّ الدليل العلمي يتلاءم بكل تأكيد مع أصل وجود الحياة، والذي يُعدّ معجزة بحسب تعبير فرانسس كريك، أي حدثًا خارقًا للطبيعة، عمله الله. إذًا، لا يوجد أيّ تناقض حول هذه المسألة بين الكتاب المقدَّس والعلم. بل في الواقع، إن صحّ التعبير، يبدو الدليل العلمي أوضح من الكتاب المقدَّس،

coptic-books.blogspot.com

في تصريحه بأنّ أصل الحياة، جاء نتيجة عمل معجزي أقدم عليه الله الخالق.

كم استغرقت أيام الخلق بحسب سفر التكوين؟

لنتوقَّف قليلاً قبل استئناف بحثنا. عندنا منذ البداية عدم احتمال أن تكون الظروف الأوّلية التي سادت الكون مرتَّبة ومنظمة بشكل يسمح بأي وجود على الإطلاق للحياة في الكون. وفوق هذا، يجب إضافة عدم احتمال أن يكون الأصل الفعلي للحياة قد حصل على الأرض في بادئ عهدها. لكن حتى ولو صحّت هاتان الحالتان، لا يوجد ما يضمن تطوّر الحياة إلى كائنات معقَّدة. لذا وفوق كل عدم الاحتمالات التي بحثناها قبلاً، علينا الآن إضافة عدم احتمال أن يكون التعقيد البيولوجي قد حصل من طريق النشوء والإرتقاء.

هذه المسألة، تختلف حولها آراء المسيحيين أنفسهم. فبعض المسيحيين يعتبرون أنّ سفر التكوين يصف بشكل حرفي، أسبوع خلق يتألف من ستة أيام. لكن، يبدو لي أنّ سفر التكوين نفسه لا يخلو من بعض المؤشّرات إلى أنّ أسبوعًا من الخلق ليس ما هو مقصود هنا. مثلاً، فاليوم السابع، لا يشكّل بوضوح فترة زمنية قِوامها أربع وعشرون ساعة، إنما يشير إلى سبت الراحة الإلهية من الخلق، والمستمرة حتى يومنا هذا. نحن نعيش في اليوم السابع. أمّا بشأن اليوم الثالث فنقرأ: «لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا، وشجرًا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه، بزره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبًا وبقلاً يبزر بزرًا كجنسه، وشجرًا يعمل ثمرًا بزره فيه كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يومًا ثالثًا» (تكوين ١: ١١– ١٣). والآن نحن كلّنا نعرف كم من الوقت تحتاج إليه أشجار التفاح مثلاً لكي تنمو وتزهر ومن ثم تثمر. وما لم نتخيّل حصول هذا في إطار أسلوب التصوير الفوتوغرافي الذي

يختصر الفترات بين الحدث والآخر، كما هي الحال في فيلم والت ديزني Walt Disney «الصحراء الحية» *The Living Desert*، حيث المزروعات تنبت من الأرض لكي تنضج فورًا وتبدأ تزهر ثم تثمر. ففي هذه الحال، كان حصول ذلك قد استغرق أكثر من أربع وعشرين ساعة. وأنا أجد من الصعب الاعتقاد بأنّ كاتب التكوين أراد لقرّائه تخيّل تعاقب نشوء الأمور فجأةً وبشكل متسارع كما يحصل لدى الإسراع في تقديم الفيلم إلى الأمام. ولنلاحظْ كيف أني أبني حجّتي حول هذا الأمر من النص نفسه، وليس على أساس ما يصرّح به العلم.

تاريخيًا، لم يُقدِم معظم اليهود والمسيحيين على تفسير الفصل الأول من التكوين على اعتبار أنه يشير إلى فترات زمنية، كلّ واحدة منها قوامها أربع وعشرون ساعة. هذا ما يشير إليه البروفسور اليهودي ناثان أڤيازر Nathan Aviezer ضمن كتابه الحديث العهد تحت عنوان «في البدء» *In The Beginning*.[٢٩] يستعين أڤيازر بالعديد من الرابيين القدامى الذين كانوا قد انكبّوا على دراسة التوراة والتلمود، وذلك لدعم فكرته. كذلك، باستطاعة أحدنا اقتباس بعض آباء الكنيسة الأوّلين من أمثال إيرينايوس، وأوريجانوس، وباسيليوس، وأغسطينوس، لبرهان الأمر عينه. أنا لست أنكر شرعية تفسير الفصل الأول من التكوين بشكل حرفي، لكن من غير الممكن الادّعاء بأنه يُمثِّل التفسير الأوحد الذي يسمح به النص، كما أنه لا يمثّل المفهوم التاريخي له عند معظم اليهود والمسيحيين.

لكن، إن صحّ ذلك، لا يعود سفر التكوين يخبرنا تقريبًا أيّ شيء عن الطريقة التي بها عمل الله النباتات والحيوانات. تُرى، هل خلقها من العدم؟ أم هل خلقها انطلاقًا من أشكال من الحياة كانت موجودة قبلاً؟ وهل اعتمد نظام النشوء والارتقاء لصنعها بشكل تدريجي؟ هذه أسئلة علمية، لا يتناولها الكتاب المقدّس. فالفكرة الرئيسة وراء رواية الخلق، هو إعلامنا أنّ الله هو خالق كلّ شيء في العالم. فالشمس والقمر كما الحيوانات والنباتات ليست بآلهة،

coptic-books.blogspot.com

لكنها مجرّد مخلوقات صنعها الله. أمّا طريقة قيامه بذلك، فيبدو أنها تُركت مفتوحة.

هذا يعني أنّ المسيحي لديه الحرية للاتباع إلى حيث يقوده البرهان. ومن هذا القبيل، فإنّ حالته بكلّ تأكيد تبدو أفضل من حالة عالِم الطبيعيات. ذلك لأنه إن كان الله غير موجود، فالنشوء والارتقاء، يبقى الاحتمال الوحيد. عندئذٍ، من الضروري أن يصحّ النشوء والارتقاء، وذلك بمعزل عن مقدار عدم احتمال حصول هذا الأمر أو ذاك، أو عمّا تبيّنه الأدلة، وذلك في غياب أي شيء آخر خارج الطبيعة من شأنه إحداث تعقيد بيولوجي. إذًا، ما يخلص إليه عالِم الطبيعيات هو مقرّر مسبقًا في ضوء فلسفته التي يدين بها، لا على أساس ما تشير إليه البراهين والأدلة.

كتاب فيليب جونسون Phillip Johnson «داروين أمام المحكمة» *Darwin on Trial*، والذي ساعد على إطلاق حركة التصميم الذكي Intelligent Design movement،[30] يُظهر بوضوح الفكرة الرئيسة والتي مفادها أنّ الداروينية المستحدثة، ليست شيئًا بالإمكان استخلاصه من البرهان، لكنها تُبنى وتتأسّس على التزام فلسفي بعلم الطبيعيات. جونسون يَسرّه التسليم بأنّ الداروينية تبقى أفضل نظرية مبنية على التيّار الطبيعي لتفسير ظاهرة التعقيد البيولوجي. لكن، وبما أنّ جونسون ليس بعالم طبيعيات، فإنه يكتفي بالقول: «إذًا ماذا؟ ما أبغي معرفته ليس ما هي أفضل نظرية مبنية على التيار الطبيعي، بل بالحري، أية نظرية هي صحيحة.» حجّة جونسون هنا، هي أنه ما إن تُسقط من حساباتك فرضية أنّ كلّ ما في هذه الحياة مبنيّ على قوانين طبيعية وليست روحية، حتى ينتفي بذلك كلّ دليل قاطع على كون الداروينية المستحدثة هي صحيحة.

ما يدعمه الدليل هو التطور الخفيّ Microevolution، أي إحداث التغييرات ضمن حدود. فحتى أكثر المحافظين بين الأصوليين يُجمعون على ذلك، بما أنّ كلّ الأعراق البشرية، في اعتقادهم، كانت قد تحدّرت

من زوجين وحيدين من السلاسة البشرية، هما آدم وحواء. من هنا فإنّ التغيير الحاصل ضمن أنواع معيّنة، ليس قط بالأمر المستهجن. نظرية الداروينية المستحدثة، تشكّل قفزة عظيمة أو توسّعًا من مفهوم التطوّر الخفي المقبول عند الجميع إلى التطوّر الكبير Macroevolution. لكن حقل العلوم، يشهد على أمثلة كثيرة حيث أخفق هذا الصنف من التوسّع في المفاهيم. مثلاً، حاول اينستاين Einstein الانتقال من مبدئه الناجح الخاص بالنسبية إلى مبدإ عام للنسبية. لكنه بدا عاجزًا عن فعل ذلك. فالنظرية العامة المتعلِّقة بالنسبية، تعتمد اسمًا مغلوطًا، بما أنها في الواقع نظرية تتعلّق بالجاذبية، ولا تنجح في جعل كلّ أشكال الحركة نسبية، كما كان يأمل اينستاين. ومن هذا المنطلق عينه، يجدر بنا أن نسأل لماذا الظن بأنّ الانتقال من التطور الخفي والتوسّع منه إلى التطوّر الكبير، هو أمر مشروع؟ عندما نُسقط التزامنا المنهجي بكلّ ما هو طبيعي، لماذا نعود ونفكّر في كون الداروينية المستحدثة هي صحيحة؟

هل نظريّة الداروينية الحديثة صحيحة؟

التساؤل حول مدى صحة نظرية الداروينية المستحدثة، يطرح مسألة هي أعمق ممّا يظن معظم الناس. إنّ جزءًا من المعضلة يكمن في الغموض الذي يكتنف العبارة النشوء والإرتقاء أو التطوّر، والتي يُنظر إليها أحيانًا على أنها «تغيير في الوقت»، الأمر الذي لا يختلف عليه أحد. من هنا ضرورة تخطّي حدود اللفظة نفسها من أجل النظر إلى ما تنطوي عليه هذه النظرية فعليًا. ثمة معتقدان رئيسان تُبنى عليهما نظرية الداروينية المستحدثة حول التطوّر البيولوجي: أولاً، ما بوسعنا تسميته عقيدة سلسلة النسب المشتركة، وثانيًا، عمليات التحوّلات الجينية والانتقاء الطبيعي.

coptic-books.blogspot.com

بحسب سلسلة النسب المشتركة، فإنّ الحياة على أشكالها كانت قد تطوّرت من سلف أساسي واحد. ما يؤيد هذه العقيدة كون الكائنات الحية، في معظمها، تتشارك في الشيفرة الجينية عينها أو «الدي إن أي» DNA. وهكذا بإمكان أحدنا القول ببساطة، إن الله كان قد اعتمد خطة التصميم الأساسية عينها في معرض صنعه للأنواع المختلفة من الكائنات المتفرقة. لكن قد يبدو معقولاً أكثر أنّ هذا التشابه الجيني لكل الكائنات الحيّة، مردّه إلى كونها مرتبطة بعضها ببعض، حيث تتشارك جميعها سلفًا واحدًا.

بالمقابل، يأتي الدليل المبني على المتحجّرات لينقض بوضوح عقيدة السلف المشترك هذه. فعندما اقترح داروين نظريته، برزت من جملة ثغراتها الرئيسة غياب أية كائنات تقف في الوسط ما بين الكائنات، لكونها أشكالاً انتقالية. ردّ داروين على هذا بالقول إن هذه الحيوانات الإنتقالية كانت موجودة في الماضي، ولا بدّ من اكتشافها في نهاية المطاف. لكن عندما أقدم علماء الپليونتولوجيا على التنقيب عمّا خلّفته وراءها الكائنات الحية تحت شكل متحجّرات، لم يعثروا على أيٍّ من هذه الأشكال الإنتقالية، وكلّ ما اكتشفوه كان المزيد من الحيوانات والنباتات الميّتة والمنفصلة بعضها عن بعض. بكل تأكيد، كان هناك بعض الأشكال الانتقالية، على ما يُظن، من صنف الأركيوپتريكس Archaeopteryx، هذا الطائر الحاوي على بعض خصائص الزواحف. لكن، لو صحّت نظرية الداروينية المستحدثة، لما وُجد عدد قليل ونادر من الحلقات المفقودة، بل بالحري، كما يؤكد على ذلك مايكل دانتن Michael Denton، لا بدّ في هذه الحال من وجود ملايين الأشكال الانتقالية ضمن سجل المتحجّرات.[٣١] تفكّر مثلاً في كل الأشكال الانتقالية التي ينبغي توافرها حتى يتسنى لكل من الوطواط والحوت أن يتطوّرا من سلف مشترك! وهذه المشكلة لم يعد بالإمكان تجاهلها بالزعم أننا لم نعمّق كما يجب في حفرياتنا. إنما هذه الأشكال الانتقالية، لم يتمّ العثور عليها، لأنها غير موجودة. إذًا

الدليل المختص بعقيدة السلف المشترك، يشكّل خليطًا. فالدليل المبني على «الدي إن أي» DNA يسندها من جهة، إلاّ أنّ الدليل المستوحى من المتحجّرات، يعمل ضدّها.

والآن، ماذا عن آليات التحوّلات الجينية والانتقاء الطبيعي المفترض فيها، أن تكون هي العامل المحرّك لعملية النشوء والارتقاء؟ بحسب النظرية، يحصل التطور لأنّ التحولات العشوائية تنتج خصائص جديدة داخل الكائنات الحية. وتلك التي تظهر مفيدة للبقاء والاستمرار على قيد الحياة، هي التي يُحتفظ بها، كما أنها هي التي تتوالد.

أنا لست على علم على الإطلاق بأيّ دليل على كون هذه الآليات قادرة على إنتاج ذلك الصنف من التعقيد البيولوجي الذي نشهده في العالم اليوم، وذلك انطلاقًا من كائن يتألّف في الأصل من خليّة واحدة. بل في الواقع، تعمل الأدلة ضدّ هذا الأمر، ذلك لأنّ هذه العمليات تجري وتحصل بشكل بطيء أكثر من اللزوم. العالِمان بارّو Barrow وتپلر Tipler يلحظان في كتابهما «المبدأ الكوني الخاص بالإنسان» *The Anthropic Cosmological Principle* عشر خطوات يجب حصولها في إطار حصول النشوء والإرتقاء على الصعيد البشري: تطوّر التنفس الحيوائي Aerobic (أي حاجة الكائن البشري إلى الأكسجين للحياة)، تطوّر هيكل عظمي داخلي، وتطوّر العين، على سبيل المثال. الاحتمالات بالنسبة إلى كل واحدة منها ضئيلة جدًا لدرجة أنه قبل حصولها ستكون الشمس قد كفّت عن أن تكون النجمة الرئيسة المتعاقبة، وقد أحرقت الأرض![٣٢] ثم خلصا إلى القول: «لقد تولّد إجماع عام لدى معشر النشوئيين، ومفاده أنّ احتمالات حصول الحياة الذكية ضئيلة جدًا، ما يجعل من المستبعد حدوث ذلك على متن أيّ كوكب آخر على صعيد كلّ الكون المنظور.»[٣٣] وإن صحّ ذلك، فلماذا الظنّ بأنّ الحياة الذكية كانت قد تطوّرت، من قبيل الصدفة، على هذا الكوكب؟

coptic-books.blogspot.com

ثمة معضلة ثانية ترافق التحوّل الجيني والانتقاء الطبيعي، وتُختصر في عجزها عن تفسير أصل الأنظمة المعقّدة التي لا تقبل أي تبسيط. وهذا يشكّل الفكرة الرئيسة لكتاب مايكل بيهي Michael Behe «الصندوق الأسود لداروين» *Darwin's Black Box*.[34] بيهي المتخصّص في علم الجراثيم من جامعة لوهاي Lehigh، يشير إلى بعض الأنظمة داخل الخلية، من صنف آليات تخثير الدم أو الأشكال الأشبه بالشعرة والمعروفة بالأهداب، وهي كناية عن آلات مجهرية معقّدة فوق كل تصوّر، ويلزمها لكي تعمل، أن تكون جميع أجزائها حاضرة وجاهزة للعمل. لذا، لا يمكنها أن تتطوّر جزئيًا وتدريجيًا. بيهي، وبعد مراجعته للآلاف من المقالات العلمية المتعلّقة بهذه الأنظمة، اكتشف كيف أنّ لا شيء تقريبًا كُتب عن الطريقة التي بها كان بإمكان هذه الأنظمة المعقّدة وغير القابلة للتبسيط، أن تتطوّر بفعل التحولات العشوائية والانتقاء الطبيعي.[35] لا يوجد عندنا أيّ إدراك علمي على الإطلاق للطريقة التي بها كانت قد بدأت أنظمة كهذه، بل بالنسبة إليها، لا تملك الداروينية في المطلق أية قدرة على تفسير وجود هذه الظاهرة.

لاختصار ما سبق، وفي غياب أي التزام منهجي بالنزعة إلى تفسير الأمور من زاوية طبيعية بحتة، يبدو أنه لا يوجد أي دليل قاطع على صحة نظرية الداروينية المستحدثة. بل على نقيض ذلك، إذ تتوافر أدلة دامغة ومقنعة على أنّ رواية الداروينية المستحدثة لا يمكنها أن تختصر القصة بأكملها. ومن جديد، لا يخبرنا الكتاب المقدَّس عن الطريقة التي بها خلق الله الكائنات المعقّدة بيولوجيًا، تمامًا كسهوه عن ذكر أي شيء يتعلق بطريقة خلقه الحياة. (الرواية الخاصة بخلق الرجل والمرأة في الفصل الثاني من التكوين، يبدو عليها بوضوح أنها تحمل طابعًا رمزيًا، ذلك لأنّ الله الذي يفتقر إلى أي من الرئتين أو الفم، لم ينفخ حرفيًا في أنف آدم). كان بوسعه أن يخلق إكس نيهيلو (من العدم)، أو كان بإمكانه اعتماد كائنات حية من مراحل أدنى بمثابة المواد الخام لخلق الأشكال

الأعلى من طريق إحداث تغيّرات نظامية، غير محتمل حدوثها بالكامل على صعيد رواية لا تدين إلا بالتفسير الطبيعي البحت فقط. أما المسيحي فهو منفتح على اتّباع الدليل إلى حيثما قاده. لكن، ما يشير إليه الدليل، على ما يبدو، هو أنّ ظاهرة التعقيد البيولوجي، إنما تفترض وجود ذكاء مصمِّم كالذي يصفه الكتاب المقدَّس.

الخلاصة

ما يظهر أعلاه، لا يشكّل سوى عيّنة غير كافية عن العمل المثير والمشوّق الجاري اليوم ضمن الحوار الدائر بين العلم والدِّين. يبقى هناك الشيء الكثير لنقوله حول مسائل من صنف مثلاً نظرية الكمّ ونظرية النسبية، والانتروپولوجيا (علم الإنسان)، والجهاز العصبي. الأسئلة الصعبة باقية، إلاّ أنّ هذا يجب ألّا يحمل المسيحي المعاصر الذي يؤمن بالإنجيل على التخوف من العلم كعدو للإيمان المسيحي. لكن يجدر به أن يعتنق العلم كحليف له في فهم الحق المختصّ بالعالم الذي خلقه **الله**، وكمصدر غني في معرض الدفاع عن الإيمان المسيحي.

coptic-books.blogspot.com

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. كيف تردّ على من يدّعي عدم إمكانية وجود أي خلاف أو نزاع ما بين الدِّين والعلم، وذلك لأن العلم يجيب عن الأسئلة المصدّرة بكلمة «ماذا؟» فيما يخاطب الدِّين الأسئلة المصدّرة بكلمة «كيف؟»

٢. إذا سألك أحدهم: «أي دليل علمي لديك عن الله؟» بماذا تجيبه؟

٣. على افتراض أنّ أحد تلامذة المدرسة، ربما ابنتك أو ابنك، جاء ينقل إليك ظنّه، بأنّ الله يدعوه إلى التخصّص في أحد مجالات العلم. كيف ستكون عليه ردّة فعلك؟ وبماذا ستنصحه؟

الفصل الرابع

أسئلة صعبة عن المسيح

لي ستروبيل Lee Strobel

coptic-books.blogspot.com

مع بدء الألفية الجديدة، قام مذيع قناة «الأي بي سي» ABC بيتر جيننغز Peter Jennings بإشعال غضب الأمّة عندما قام ببثّ برنامج تلفزيوني يُعنى، حسب زعمه، بمسألة «البحث عن يسوع». ومن البداية، خفّض المعايير بقوله: «لا نستطيع أن نخبركم ما إذا كان يسوع هو ابن الله؛ فذلك أمرٌ يتعلّق بإيمانكم الشخصي.» من ثم راح يقدِّم عقائد لاهوتيي الجناح الأيسر، والتي مفادها أنّ الكتاب المقدَّس هو أحجية مليئة بالتناقضات، وأنّ جنديًا رومانيًا هو، على الأرجح، من تسبّب بحَبَل مريم، وأنّ يسوع لم يولد حقًا في بيت لحم، وأنّ شفاءاته حصلت نتيجة عوامل نفسية بحتة، وأنّه لم يقم قط من بين الأموات. هذا العرض المنحاز والذي يفتقر إلى المنطق السليم، لا عجب أن تعرّض لانتقاد واسع النطاق.

في أحد المشاهد الأولى لهذا البرنامج، نرى جيننغز يتخيّل بشأن إحدى الصخور، التي كان قد عثر عليها علماء الآثار، في ما لو كانت هي نفسها الصخرة التي استندت إليها العذراء الحامل كي تستريح في أثناء رحلتها. وحيث إنّ إيجاد الدلائل اللازمة لبرهان فرضية كهذه أمرٌ عسير، أضاف: «نرى من خلال هذا، كم يصعب على الصحافي أن ينقل الخبر الصحيح.» فما أراد هذا المذيع قوله هو إنّ إيجاد الدلائل لجوانب من حياة يسوع هي أهمّ بكثير من هذا، كقيامته مثلاً، الأمر المبني على التخمين ليس إلاّ.

لقد خاب ظني من جراء تقرير جيننغز هذا، وخصوصًا بعد أن كنت أنا نفسي قد أجريت بحثًا دام سنتين، للحصول على أدلّة تخصّ يسوع. ما يجمعني بجيننغز هو أني صحافي أيضًا مثله. بعد تدرّبي في جامعة

coptic-books.blogspot.com

ميسوري Missouri للصحافة وجامعة ييل Yale للحقوق، أصبحت أشغل منصب محرِّر الشؤون القانونية للنشرة «منبر شيكاغو» *The Chicago Tribune*، وكنت آنذاك ملحدًا عنيدًا ومتصلّبًا. في عام ١٩٨٠، جاء اعتناق زوجتي المسيحية، ليحثني على أن أبدأ بحثًا شخصيًا حول مدى مصداقية هذا الإيمان. ولكن ما يميّزني عن جيننغز، هو أنني قرأت وتعمّقت في العديد من الآراء في شخص يسوع، والصادرة عن مراجع مختصّة. سعيت لأن أبحث الأمر في العمق غير مكتفٍ بظواهر الأمور، بل بانيًا على الأساس المتين للحقائق التاريخية. كانت النتيجة أنّ خلاصاتي جاءت مختلفة تمام الاختلاف عن خُلاصاته.

بينما رأى جيننغز فرقًا شاسعًا بين يسوع الذي يُخبر عنه التاريخ والمسيح الذي ينبغي الإيمان به، أصبحت أنا مقتنعًا، رغمًا عني حينها، بأنهما بالفعل واحد ولا يختلفان إطلاقًا. حقًا، إنّ الدلائل على قيامة يسوع كانت قوية جدًا لدرجة شعرت معها بأنه لم يعد أمامي سوى خيار التسليم بصحّة حصولها، واعتبارها البرهان الحاسم والقاطع على ادّعاء يسوع بالألوهة. وهكذا بعد أن أصبحت محصورًا بهذه الحقائق التاريخية، تُبتُ عن خطيّتي وقبلت المسيح مخلّصًا وقائدًا لحياتي في الثامن من تشرين الثاني ١٩٨١. اعتقدت أنّ هذه الخطوة ستكون نهاية الرحلة، فتفاجأت بأنها لم تكن سوى الخطوة الأولى لمغامرتي كأحد أتباع يسوع، هذه المغامرة الرائعة التي تحبس الأنفاس.[١]

خدمتي اليوم، تتطلّب أن أسافر حول العالم لمقابلة العديد من الساخرين والمشكِّكين، والباحثين، الذين لدى العديد منهم معلومات خاطئة عن يسوع، ويعود ذلك جزئيًا إلى جهود أعضاء حلقة الدراسة حول يسوع أو «سمينار يسوع» Jesus Seminar المتطرِّفة والهادفة إلى نشر أفكارها المشكِّكة بين عامة الشعب، حيث الغالبية غير مؤهَّلة لتقييم هذه الأفكار.

إنّ عدد المنتسبين من عامة الشعب إلى حلقات الدراسة هذه، من تنظيم وإعداد «سمينار يسوع»، في ازدياد، متأثّرين بالتعاليم، وغير مدركين أنّ هذه الحلقات أسّسها عدد ضئيل جدًا من علماء العهد الجديد، وأنّها مهدٌ لشكوك واهنة. وخلص المنتسبون إلى اعتبار أنّ قادة حلقات الدراسة هذه (والتي تدعم مصداقية أقوال يسوع وتُنكر معجزاته) مع مَن يشابههم في التفكير من أكاديميين، يمثّلون المراجع اللاهوتية «الحقيقية»، التي تتعامل مع الحقائق التي لا جدال حولها، فيما هم يرفضون أولئك الذين يتّخذون منهجًا أكثر تحفظًا، متّهمين إياهم بنشر الإشاعات الكاذبة والداعية إلى الإيمان الخيالي.[٢]

السؤال الجوهري الذي طرحه يسوع على تلاميذه «مَن تقولون إني أنا؟» (متّى ١٦: ١٥)، لا يزال يتردّد صداه عبر التاريخ متحدّيًا كلّ فردٍ ليختار شخصيًا ما إذا كان يسوع هو مجرّد إنسان، كما هو مقترح في تقرير جيننغز، أو كونه ابن الله الفريد، كما يؤكّد ذلك الإيمان المسيحي القديم عبر القرون. وبدل أن أتبنّى، دون سابق تفكير، آراء حركة التنوير في تمييزها الزائف بين يسوع الإيمان ويسوع الحقائق، استنتجتُ أنّ حقائق التاريخ ذاتها هي التي تشير بقوة إلى منطقية الإيمان بألوهة المسيح.[٣]

وبينما أسعى دائمًا إلى تبيان حقيقة شخص المسيح للمشكّكين من خلال مواجهاتي اليومية لهم، أو من خلال عظاتي الكنسية المهيأة للباحثين عن الحق الروحي، أجد نفسي ألجأ باستمرار إلى استخدام الدلائل الخمسة نفسها، والتي تُشكّل خطةً متماسكة ومقنعة للدفاع عن الإيمان المسيحي. كلّ واحدٍ من هذه الدلائل يُجيب عن سؤال معيّن يظهر على لسان المشكّكين، أو يرتسم في ذهن أولئك الباحثين عمّا إذا كانت المسيحية تستطيع أم لا، الصمود في وجه الفحص المنطقي الدقيق لها. هذه الأدلّة تتناول أولاً المسألة الحيوية، التي تتعلّق بمدى صحة الوثائق التي تسرد سيرة حياة يسوع، ومدى إمكانية الوثوق بهذه المصادر.

coptic-books.blogspot.com

هل يمكن الوثوق بالمصادر المتعلّقة بحياة يسوع؟

كان جيننغز في برنامجه التلفزيوني، قد سارع إلى قبول آراء المشكّكين الليبراليين في أناجيل متّى، مرقس، لوقا ويوحنا، وهي الأناجيل التي تسرد حياة يسوع وتعاليمه ومعجزاته وموته وقيامته. قال: «لقد أخبرنا الباحثون منذ القدم أنهم لا يتبنّون حرفيًا كل ما يقرأونه في العهد الجديد، لأنّ في العهد الجديد أربع روايات مختلفة، وفي بعض الأحيان متناقضة، عن حياة يسوع.» ويتابع فيقول: «ما من مصدر موثوق به، يُخبرنا عن هوية الكُتّاب الحقيقية. هناك شبه إجماع على أنهم لم يكونوا شهود عيان. فبالحقيقة، كانت الأناجيل، على الأرجح، قد كُتبت بعد موت يسوع بفترة زمنية تراوحت بين الأربعين والمئة سنة.»

لا بدّ للمشكّكين أن يسعوا لدحض مصداقية الكتاب المقدَّس، سعيًا منهم لرفض ما تعلّمه هذه الأناجيل بوضوح عن أنّ يسوع هو ابن الله الوحيد. لكن، هناك بالمقابل دراسات ممتازة تركّز على مدى دقة الرواية التي تقدّمها الأناجيل وموثوقيّتها. بيتر ستلماخر Peter Stuhlmacher، البروفسور المتقاعد في كلية اللاهوت البروتستانتية في توبنجن Tubingen، صرّح مرةً لمجلة «التايم» *Time Magazine* في مقالة عن هوية يسوع: «إنّ النصوص الكتابية الحالية التي بين أيدينا، تبقى الفرضية الفضلى لحدّ الآن لتفسير حقيقة ما حصل.»[٤]

كريغ بلومبرغ Craig Blomberg، أستاذ مادة العهد الجديد في معهد اللاهوت في دانفر Denver ومؤلف كتاب «المصداقية التاريخية للأناجيل» *The Historical Reliability of the Gospels*، اعترف صراحةً بأنّ الأناجيل مجهولة الهوية من حيث الكاتب، غير أنه عاد وشدّد على أنّ الكنيسة الأولى، وبالإجماع، شهدت بأنّ متّى، جابي الضرائب وأحد الرسل الإثني عشر، هو كاتب الإنجيل الأول في العهد الجديد. كما أن يوحنا مرقس، وهو أحد مرافقي التلميذ بطرس، كتب الإنجيل المعروف لدينا بإنجيل

مرقس. ولوقا، المعروف بأنه «الطبيب الحبيب» لدى بولس، كتب إنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل.

وفي حين لا شكّ في اسم كاتب الإنجيل الرابع، وهو بالتأكيد يوحنا، غير أنّ السؤال المطروح هو ما إذا كان هذا، يوحنا الرسول أم يوحنا آخر. غير أنّ بلومبرغ قال إنه مقتنعٌ، «بأنّ الغالبية العظمى من هذا الإنجيل تُنسب إلى هذا الرسول»، مع إمكانية وجود شخص مقرّب إلى يوحنا قام بدور المحرِّر، واضعًا الآيات الأخيرة في مكانها الصحيح، وجاعلاً الوثيقة بأكملها ذات تناغم في الأسلوب.» وشدّد على أنّ هذا الإنجيل في أيّ حدث يسرده، «مبنيّ، وبشكل واضح، على مواد استقاها شهود عيان، كما هي حال الأناجيل الثلاثة الأخرى.»[٥]

تمّ حسم مسألة هوية مؤلفَي إنجيلَي مرقس ومتّى، من قِبل پاپياس Papias سنة ١٢٥ م، ومن ثمّ عاد وثبّت ذلك إيرينايوس Irenaeus سنة ١٨٠ م:

> نشرَ متّى إنجيله بين اليهود في لغتهم الأم، بينما كان بطرس وبولس يبشران بالإنجيل في روما، ويؤسّسان الكنيسة هناك. ثم بعد رحيلهما، قام مرقس، وهو تلميذ بطرس ومفسّره الخاص، بنفسه بكتابة فحوى تعاليم بطرس. لوقا، وهو أحد أتباع بولس، دوّن في كتاب، الإنجيل الذي كان يعلّمه إياه أستاذه. ثم يوحنا، تلميذ الرب يسوع، الذي اتّكأ على صدره، قام هو نفسه وكتب إنجيله بينما كان يعيش في أفسس في آسيا.[٦]

والجدير ذكره، كما لاحظ بلومبرغ أنه لا توجد دلائل من القرن الأول على أي شكل من أشكال التشكيك في هوية الذين كتبوا الأناجيل. بل في الواقع، لو كان هؤلاء الكتّاب من نسج خيال أحد المُضلِّلين، لكان استعان بالحري بأسماء رسلٍ آخرين أكثر بروزًا مثل بطرس أو يعقوب لدعم

coptic-books.blogspot.com

مصداقية الكتابات، بدلاً من أن ينسب كتابة الأناجيل إلى مرقس ولوقا، اللذين لم يكونا حتى من الرسل الإثني عشر، ناهيك بأنّ متّى، هو جابي ضرائب سابق ومكروه.

الأناجيل المُكمِّلة

تهمة الزور التي غالبًا ما تُلصق بالأناجيل، ومفادها أنها تشهد تناقضًا في ما بينها، قد جرى تناولها بشكل وافر جدًا في العديد من الكتب. «في الحقيقة، إنّ الأناجيل بعيدة كلّ البعد عن كونها متناقضة، وهي بوضوح متمّمة بعضها لبعض.» هذا ما قاله هانك هانيغراف Hank Hanegraaff أحد أعضاء مجمع الأبحاث المسيحية. ثم يضيف: «أكّد هذه الحقيقة الكثير من علماء الكتاب المقدّس والنقاد عبر العصور. لو أنّ جميع كُتّاب الأناجيل قالوا الأشياء نفسها بالأسلوب نفسه، لكان من العدل في هذه الحال اتّهامهم بالتورّط في عملية تآمر.»[٧]

عالِم الدفاعيات المسيحية نورمان جايزلر Norman Geisler، رئيس معهد اللاهوت الإنجيلي الجنوبي، قام بجمع ثماني مئة مما يُزعَمْ بأنها تناقضات في الأناجيل. «كلّ ما يمكنني قوله من خلال خبرتي، هو إنه عندما يرفع المشكّكون هذه الاعتراضات، فهُم بذلك ينتهكون، لا محالة، إحدى القواعد السبع عشرة لتفسير الكتاب المقدّس»، هذا ما أدلى به أمامي في مقابلة معه.

مثلاً، لمجرّد أنّ الأناجيل تسرد الأحداث من وجهات نظر مختلفة، لا يعني أنه يتعذّر التوفيق في ما بينها. البشير متّى ذكر أنّ ملاكًا واحدًا كان حاضرًا عند قبر يسوع، بينما صرّح يوحنا بوجود ملاكين، غير أنّ جايزلر يوضح قائلاً: «البشير متّى لم يقل إنه كان هناك ملاكٌ واحد فقط، ويوحنا كان يعطي المزيد من التفاصيل عندما قال إنهما كانا ملاكين.»[٨]

سايمون غرينليف Simon Greenleaf من جامعة هارفرد Harvard للحقوق، والذي يُعدّ أعظم خبير في الأدلّة القانونية في القرن التاسع عشر، وبعد تفحّصه مدى ما تشهده الأناجيل الأربعة من تماسك وتناغم، توصّل إلى النتيجة التالية: «هناك فوارق كافية بين الأناجيل تبيّن عدم إمكانية وجود اتّفاق مسبق بين الكُتّاب، وفي الوقت نفسه يوجد انسجام جوهري يُظهر أنهم جميعًا كانوا رواةً مستقلّين في سرد الواقعة العظيمة ذاتها.»[٩]

دلائل علم الآثار

إنّ علم الآثار أيضًا يؤيّد مصداقية العهد الجديد. فمرةً تلو المرة، عندما تُتاح فرصة لتفحّص بعض تفاصيل أحداث العهد الجديد، التي تظهر بشكل عَرَضي، يبرز مدى دقّتها. فمثلاً، يوحنا ٥: ١–١٥ يصف كيف أنّ يسوع قام بشفاء مريض عند بِركة بيت حسدا، التي يصوّرها يوحنا لنا مع أروقتها الخمسة. عالِم الآثار جون ماكراي John McRay قال إنه لطالما استشهد المشكّكون بهذه المعلومة كدليل على عدم دقة يوحنا في سرد الحقائق، لأنه لم يكن قد تمّ العثور على مكان كهذا. لكن في وقت لاحق، جرى اكتشاف هذه البِركة من طريق الحفر، ووجد العلماء الأروقة أو الشرفات الخمس مع عواميدها، تمامًا كما وصفها يوحنا.[١٠]

لوقا، وهو كاتب ما يقارب ربع العهد الجديد، اعتُبِرَ مؤرّخًا ذا دقة عالية، حتى في أدقّ التفاصيل. وقد قام أحد علماء الآثار بدراسة ما كتبه لوقا عن اثنين وثلاثين بلدًا، بالإضافة إلى أربع وخمسين مدينة وتسع جزر، من دون أن يجد خطأً واحدًا.[١١] «إن ما يتّفق عليه العلماء الليبراليون والمحافظون على حد سواء، هو أنّ لوقا مؤرّخ في غاية الدقة»، هذا ما قاله ماكراي.[١٢]

كلّ هذا يوجّهنا إلى السؤال الهام التالي : إنْ كان كُتّاب العهد الجديد في غاية الحرص على التزام أقصى درجات الدقة في سرد حتى التفاصيل

coptic-books.blogspot.com

الثانوية، أفليس من الجدير القول إنهم كانوا حريصين بنفس المقدار، أو ربما أكثر، لدى سردهم الأحداث الفائقة الأهميّة، كمعجزات يسوع مثلاً، أو تعاليمه، أو ما يتعلّق بموته وقيامته؟

استنتج عالم الآثار الأُسترالي كليفورد ولسون Clifford Wilson قائلاً: «أولئك الذين يعرفون الحقائق يدركون الآن، أنّه لا بدَّ من قبول العهد الجديد لكونه مصدرًا بالغ الدقّة.»[١٣]

تاريخ الأناجيل المبكر

يعتمد النقّاد أيضًا وسيلة أخرى للتشكيك في الأناجيل، مستعينين هذه المرة بالنظرية القائلة، إن الأناجيل قد كُتِبت بعد زمن طويل على حصول الأحداث التي تسردها، مما أدى إلى تسلُّل الأساطير والرؤى الشخصية إليها، هذه العوامل التي أفسدت الرواية الأصلية. إنه لَمِن المؤكّد أنّ مَن يرفضون كلّ ما هو خارق للطبيعة، يجدون أنفسهم مضطرين إلى نقل تاريخ كتابة الأناجيل إلى ما بعد سقوط أورشليم في السنة السبعين ميلادية، هذا لأنهم لا يؤمنون بقدرة يسوع على التنبؤ بمثل هذا الحدث كما فعل في متّى ٢٤، مرقس ١٣، ولوقا ٢١. وحتى بيتر جيننغز سعى لتأريخ الأناجيل بعد حياة يسوع بفترة تراوح بين الأربعين والمئة سنة. غير أنه توجد دلائل صلبة على أنّ الأناجيل كانت قد كُتبت في وقت أقرب بكثير إلى حادثة صلب يسوع (التي وقعت على الأرجح في عام ٣٣ م). في هذه الحال، لا يعود بإمكان الأساطير أن تغزو الأناجيل، محوّلةً إياها إلى مصدر غير جدير بالثقة.

يشير غريغ بلومبرغ إلى زمن كتابة الأناجيل بحسب عُرف الليبراليين أنفسهم. هذا حصل خلال فترةٍ ما من السبعينيات للقرن الأول بالنسبة إلى مرقس، والثمانينيات بالنسبة إلى كل من متّى ولوقا، والتسعينيات بالنسبة إلى يوحنا. ثم علّق على هذا بالقول: «فإنّ هذه التواريخ لا تزال

تقع ضمن الفترات التي عاش فيها العديد من شهود العيان لحياة يسوع، بمن فيهم أولئك المعادين له والذين كان من شأنهم التدخّل لتصحيح أية تعاليم مغلوطة كانت تنتشر عن يسوع.»[١٤]

ومع ذلك، فإنّ بلومبرغ إلى جانب العديد من خبراء العهد الجديد الآخرين، يؤمنون بوجود أسباب وجيهة تدعو إلى تأريخ الأناجيل في وقت أبكر من ذلك. عالِم الدفاعيات البارز جي. بي. مورلاند J. P. Moreland، وهو أستاذ في كلية تالبوت Talbot للعلوم اللاهوتية، يعرض أسبابًا عدة وحججًا دامغة لصالح تأريخ سفر أعمال الرسل بين العامين ٦٢ و٦٤ من الحقبة الميلادية. مثلاً، سفر أعمال الرسل لا يذكر عدة أحداث بارزة، من المؤكد أنه كان ليذكرها لو أنه كُتب بعد حدوثها. وهذه تشمل سقوط أورشليم في ٧٠ ميلادية، اضطهاد نيرون Nero للمسيحيين في منتصف الستينيات من القرن الأول، استشهاد يعقوب (٦١) وبولس (٦٤) وبطرس (٦٥) وحرب اليهود ضد الرومان ابتداءًا من ٦٦ م وما بعد. إلى ذلك، فإنّ العديد من العبارات المستخدمة في سفر الأعمال، هي عبارات بدائية بحتة، تعود إلى عصر مبكر. كما أنّ هذا السفر يعالج أمورًا كانت في غاية الأهمية قبل سقوط أورشليم.[١٥]

بما أنّ سفر أعمال الرسل هو الجزء الثاني من كتابات لوقا، فهذا يعني أنه من الضروري أن يكون إنجيل لوقا قد كُتِبَ قبل أوائل الستينيات من القرن الأول، أو خلال فترة الثلاثين سنة التالية لحياة يسوع. وبما أنّ لوقا كان قد استمدّ بعضًا من معلوماته من إنجيل مرقس، فمِن المنطقي استنتاج أنّ إنجيل مرقس قد كُتب في وقت أبكر من ذلك. وقد توصّل مورلاند إلى الإستخلاص التالي: «إنّ صورة يسوع كما تظهر في الأناجيل الإزائية (متّى، لوقا، مرقس)، لا تبعد عن زمن وقوع الأحداث عينها سوى فترة وجيزة تراوح بين الاثنتي عشرة والعشرين سنة فقط. كما أنّ هذه الأناجيل تتضمن مصادر تعود إلى زمن أبكر من ذلك بعد.»[١٦]

coptic-books.blogspot.com

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ العهد الجديد يشمل رسائل الرسول بولس، والتي يرجع تاريخها إلى العام ٤٩ ميلادي، والذي يُعدّ زمنًا باكرًا جدًا. إنّ نظرته الرفيعة الشأن إلى شخص المسيح – في اعتباره أنّ يسوع هو الله وأنه ربّ السماء والأرض – لم تتطوّر تدريجيًا عبر كتاباته المتعاقبة. إذًا، «لا بدّ أن يكون جزء كبير منها قد اكتمل قبل البدء برحلاته التبشيرية العظيمة... أي، مع حلول سنة ٤٨ م.»،[١٧] حسب قول مورلاند. وأضاف أنّ بولس يُدرج في كتاباته بعضًا من العقائد والتراتيل، التي يعود زمنها إلى ما قبل تاريخ كتاباته، والتي «تعرض صورة عن يسوع الإله، وصانع العجائب الذي قام من بين الأموات.»[١٨]

خلص مورلاند إلى القول: «باختصار، إنّ الفكرة عن يسوع، الإله بالكامل، صانع العجائب والذي قام من بين الأموات، كانت راسخة في الأذهان خلال العقد الأول من المسيحية. هذه النظرة لم تكن أسطورة ظهرت بعد مرور عقود عدة على صلب يسوع»، بل كانت جلية في القرن الأول للمسيحية.» ويضيف أنّ كتابات بولس في رسالته إلى أهل غلاطية، حيث يصف لقاءه مع الرسل في أورشليم، جاءت لتؤكد صحة رسالته المتعلّقة بألوهة المسيح، إلى جانب عقيدة مبكرة جدًا عن القيامة موجودة في ١كورنثوس ١٥، هذان الأمران يبرهنان معًا أنّ «الإيمان بيسوع الإله المُقام من بين الأموات، كان رائجًا بعد سنوات قليلة فقط على موته.»[١٩]

ما ذُكر سابقًا، يزداد أهمية في ضوء الدراسة التي قام بها أي. إن. شيروين وايت A. N. Sherwin White، وهو عالِم تاريخ محترم ومختصّ في الحقبة الإغريقية – الرومانية من جامعة أوكسفورد Oxford University. هذه الدراسة تُثبت أنّ مرور جيلين على أحداث معيّنة هو وقت غير كافٍ لنشوء أسطورة من شأنها محو حقائق تاريخية صلبة، خصوصًا في العصور القديمة.[٢٠] وفي ما يتعلّق بقضية يسوع، فإننا نملك معلومات موثوقة عن ألوهيته وقيامته، تقع بكل تأكيد ضمن هذه الفترة الزمنية.

اجتياز امتحان المخطوطات

إلى ذلك، فإنّ وفرة أدلة المخطوطات على كتابات العهد الجديد، تعطينا ثقة بأنّ هذه الكتابات التي بين أيدينا قد نُقلت إلينا بدقة عبر التاريخ. لقد اكتشف علماء الآثار ما يفوق الخمسة آلاف مخطوطة أثرية يونانية للعهد الجديد، تتضمّن أجزاء قديمة جدًا ترجع إلى القرن الثاني الميلادي. مع إضافة المخطوطات اللاتينية وغيرها إليها، فإنّ عدد المخطوطات الموجودة للكتاب المقدّس، يصبح مجموعه أربعةً وعشرين ألفًا. بعد العهد الجديد، تبقى ملحمة الإلياذة Iliad لهوميروس Homer، الكتابة الوحيدة القديمة التي تنعم بقسم وافر من المخطوطات. إلاّ أنّ عدد المخطوطات لهذه الملحمة هو أقل من ست مئة وخمسين مخطوطة، كما يرجع تاريخها إلى أكثر من ألف عام على كتابة النص الأصلي.

«المدة الزمنية الفاصلة ما بين تأليف الكتاب وتاريخ أقدم مخطوطة أصلية له، لم تكن في أي وقت من الأوقات قصيرة كما هي الحال مع كتابات العهد الجديد.» هذا ما قاله السِّير فريدريك كينيون Sir Frederic Kenyon، المدير السابق للمتحف البريطاني ومؤلف كتاب «دراسة المخطوطات الإغريقية القديمة» *The Palaeography of Greek Papyri*.[٢١] «الأساس الأخير للتشكيك في أنّ الكتاب المقدّس قد وصل إلينا كما كُتِب، يكون بذلك قد أزيل.»[٢٢]

نظرًا للأهمية الأساسية للعهد الجديد، فقد خصّصتُ سنتين من تفحّصي الإيمان المسيحي لتحليل مصداقيته، وذلك عندما كنت مشكّكًا. وقد أخضعتُ الأناجيل لامتحانات ثمانية كانت لتواجهنا لو مَثُلَت أمام القضاء: اختبار النيّة، اختبار القدرة، اختبار الشخصية، اختبار مدى التماسك، اختبار مدى الانحياز، اختبار التغطية، اختبار التوثيق، واختبار الشاهد المعاكس. وكل ذلك لأقرر ما إذا كانت هذه الأناجيل جديرة بالثقة أم لا.[٢٣] وكان قراري بأنّ مصداقيتها تفوق أيّ شك.

coptic-books.blogspot.com

هل ادّعى يسوع يومًا بأنّه الله؟

غالبًا ما أستمع إلى الاعتراض التالي: يسوع لم يدّعِ يومًا بأنه ابن الله؛ بل إنّ هذا الاعتقاد فُرِضَ على التقليد المختصّ بيسوع من قِبل بعض أتباعه من ذوي الحماسة الزائدة، وذلك بعد سنوات عدة على موته. فيسوع الحقيقي لم يعتبر نفسه أكثر من مجرّد معلّم، رجل حكيم، وخطيب ثائر يحرّك الشارع. بكلمة أخرى، أي شيء آخر ما عدا الله. أو على الأقل، هذا ما يدّعيه النقاد. ولكن ليس هذا ما تشير إليه الأدلة بوضوح. لقد اختصر اللاهوتي الاسكتلندي إيتش. آر. ماكنتوش H. R. Macintosh هذه الحقيقة بقوله: «إنّ وعي يسوع لحقيقة ذاته... هو أعظم واقع في التاريخ.»[٢٤]

كيڤين ڤانهوزر Kevin Vanhoozer، الأستاذ الباحث في علم اللاهوت النظامي في مدرسة اللاهوت الإنجيلية الثالوث Trinity Evangelical Divinity School، يشرح هذا الموضوع بالطريقة التالية: «لقد كان يسوع يعي أنه ابن الله المحبوب، والمختار من الله ليحقّق ملكوت الله وغفران الخطايا. لذلك ينبغي أن يتّفق فهمنا لهوية يسوع مع نظرته الشخصية إلى نفسه. فإن لم نعترف بأنّ يسوع هو المسيح المُرسَل، فإمّا أن يكون هو مضلِّلاً بشأن هويته، وإمّا أن نكون نحن المضلَّلين عنها.»[٢٥]

هنالك على الأقل عشرة براهين على أنّ يسوع كان مدركًا لحقيقة أنه ابن الله الوحيد. أولاً، عندنا الطريقة التي بها كان يشير إلى نفسه. فما من دارس متخصّص يشكّك في أنّ يسوع غالبًا ما كان يشير إلى نفسه بعبارة «ابن الإنسان»، والتي استخدمها أكثر من ثماني وأربعين مرة، ولا سيّما في إنجيل مرقس، الذي يُعتبر بشكل عام أنه أقدم الأناجيل. وفي حين أخطأ بعض النقاد في اعتقادهم أنّ هذا التعبير هو مجرّد اعتراف بإنسانيته، يُجمع الدارسون على أنّ هذا التعبير يرجع بنا إلى سفر دانيال ٧: ١٣ و١٤، حيث يدخل ابن الإنسان إلى محضر «الله القدير» بعد أن أُعطي «سلطانًا ومجدًا وملكوتًا»، وتتعبّد له «كل الشعوب»، وسلطانه أبدي لا يزول.

«يطلّ علينا ابن الانسان كشخصية إلهية في سفر دانيال في العهد القديم، وهو مَن سيأتي في نهاية الأزمان ليدين الجنس البشري ويحكم إلى الأبد»، هذا ما قاله عالِم اللاهوت والفيلسوف وليَم لين كريغ William Lane Craig. «لذلك فإنّ ادّعاءه بأنه ابن الإنسان، هو في الواقع ادّعاءٌ بالألوهة.»[٢٦]

ويضيف ڤانهوزر معلومة إضافية ملفتة: «إنّ ما يدعو للعجب في استخدام يسوع لهذا اللقب... هو أنه لم يقتصر على ربطه بفكرة المجد العتيد فحسب، بل ربطه أيضًا بفكرة الألم والموت. وبهذا كان يسوع يُلقّن تلاميذه درسًا جديدًا عن المسيح المنتظر، وهو، أنّ ألمه سوف يسبق مجده (مثلاً، لوقا ٩:٢٢).[٢٧]

ثانيًا، يشير ڤانهوزر إلى أنّ يسوع ادّعى ألوهيته عندما استخدم التعبيرين « أنا كائن»، و«أنا هو» في معرض الكلام عن نفسه. لقد أعلن مرةً، «الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يوحنا ٨: ٥٨). إنّ هذه الإشارة الواضحة إلى الكلمات التي سمعها موسى من الله عبر العلّيقة المشتعلة، كانت إعلانًا صريحًا عن مساواته مع الله، ما دفع السامعين إلى رفع الحجارة ليرجموه بتهمة التجديف.[٢٨]

ثالثًا، لقد ادّعى يسوع الألوهة عندما غفر خطايا المفلوج في إنجيل مرقس والأصحاح الثاني. «إنّ الشخص الوحيد الذي يملك السلطان على قول شيء كهذا بفعالية هو الله نفسه، لأنّ الخطيّة، وإن كانت موجّهة ضدّ آخرين من الناس، فهي أولاً وقبل كل شيء تحدّ لله ولوصاياه»، كما قال اللاهوتي دي. إي. كارسون D. E. Carson.[٢٩]

رابعًا، إنّ الطريقة التي بها اختار يسوع تلاميذه، تنمّ عن ادّعاء بالتعالي، حسب رأي بن وذرنغتون الثالث Ben Witherington III، مؤلف كتاب «كريستولوجية يسوع» *The Christology of Jesus* (التعليل اللاهوتي لشخص المسيح). ويسأل: «إنْ كان الاثنا عشر يمثّلون إسرائيل المتجددة،

coptic-books.blogspot.com

فما هو موقع يسوع؟ ليس هو جزءًا من إسرائيل فحسب، وليس مجرّد فرد من المجموعة المُخلَّصة، إنما هو مَن يشكّل هذه المجموعة، تمامًا كما فعل الله في العهد القديم عندما قام بتشكيل شعب إسرائيل المؤلف من اثني عشر سبطًا. ففي هذا تلميح إلى مفهوم يسوع لذاته.»[٣٠]

التلميح الخامس إلى الطريقة التي بها كان يسوع ينظر إلى ذاته، ينبع من أسلوب تعليمه: «كان يسوع يُصدّر تعاليمه بعبارة 'الحق الحق أقول لكم' التي هي بمثابة القول: 'أُقسم مسبقًا أنّ ما سوف أقوله لكم هو الحقيقة.' إنّ هذه الطريقة في الكلام كانت طريقة ثورية في المطلق»، هذا ما قاله وذرنغتون. ويشرح ذلك بقوله:

> في الديانة اليهودية، أنت بحاجة إلى شهادة اثنين... ولكن يسوع كان يشهد بنفسه عن صدق أقواله. وبدلاً من أن يبني تعاليمه على سلطان الآخرين، فقد تكلّم بسلطان نفسه. هنا شخص يعتبر نفسه ذا سلطان يفوق سلطان أنبياء العهد القديم. كان يؤمن بأنه لا يمتلك الوحي الإلهي وحسب، كما كان حال الملك داود، بل يمتلك أيضًا سلطانًا إلهيًا وقوةً للنطق مباشرةً بعبارات إلهية.[٣١]

سادسًا، لقد استخدم يسوع التعبير الآرامي أبّا Abba، أي «أبي العزيز»، وذلك في إطار ارتباطه بالله. هذا يعكس علاقةً حميمةً لم تكن مألوفة في اليهودية القديمة، حيث كان اليهود الأتقياء يتجنّبون استخدام اسم الجلالة الشخصي مباشرةً خوفًا من أن يُخطئوا في لفظه. وقد علّق الدكتور وذرنغتون على ذلك بما يلي:

> إنّ أهمية العبارة «أبّا» Abba، تكمن في كون يسوع هو الذي ابتكر علاقة حميمة لم تكن متوافرة سابقًا. ويبقى السؤال: من هو الشخص الذي يتجرّأ على ابتكار علاقة ميثاق جديد بالله؟

> وبذلك فإنّ يسوع يقول إنه عبر تكوين علاقة شخصية به فقط، يصبح بمقدورنا استخدام لغة الصلاة هذه، مع التمتّع بدالة «الأبا» الرائعة مع الله. هذا الأمر يعبق بالمعاني عمّا كان يسوع يعتبر نفسه.[٣٢]

المؤشر السابع إلى حقيقة وعي يسوع لذاته، يمكن لمسه من خلال مقابلته بعد قيامته، مع التلميذ توما، كما هو مذكور في إنجيل يوحنا ٢٠. فتوما، وردًا على دعوة يسوع له بأن يتحقق من دلائل قيامته من الموت، قال في العدد ٢٨: «ربي وإلهي.» كان ردّ يسوع ذات دلالة. لو لم يكن يسوع الله، لكان يُعدّ من قمة الهرطقة أن يتقبّل تعبّد توما له. ولكنه وبدلاً من أن ينتهره، قال له في العدد ٢٩: «لأنك رأيتني يا توما آمنت. طوبى للذين آمنوا ولم يروا.» إنّ تقبّل يسوع لتعبّد توما له، هو دليل واضح على أنه كان يؤمن بأنه هو الله، وبالتالي مستحقّ كل ذلك الإجلال. وبصورة مشابهة، عندما أجاب سمعان بطرس عن سؤال يسوع، «مَن يقول الناس إني أنا؟» بقوله: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، لم يأتِ ردّ يسوع ردًا مصحِّحًا لقول بطرس، بل تأكيدًا على أنّ مصدر علمه هذا هو من عند الآب ذاته (انظر متّى ١٦: ١٥-١٧).

ثامنًا، لقد كان يسوع يعي تمامًا حقيقة أنّ مصير الناس الأبدي متعلّق بما إذا كانوا سيؤمنون به أم لا. لذا صرّح في يوحنا ٨: ٢٤، «إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم.» هذا إلى جانب قوله في لوقا ١٢: ٨-٩، «وأقول لكم: كلّ مَن اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومَن أنكرني قدام الناس، يُنكَر قدام ملائكة الله.» وقد أوضح وليَم لين كريغ مضمون هذه العبارة على الشكل التالي: «حذارِ من الخطإ، لو لم يكن يسوع هو ابن الله الإلهي، لكان هذا مجرّد ادّعاء متغطرس مثير للاعتراض. ذلك لأنّ يسوع يقول هنا إنّ خلاص الناس يعتمد على اعترافهم بيسوع بالذات.»[٣٣]

coptic-books.blogspot.com

يمكننا أن نجد إعلانًا صريحًا آخر للألوهة كهذا، في يوحنا ١٠: ٣٠، عندما أعلن يسوع بصراحة تامة: «أنا والآب واحد.» ما من شكّ أنّ السامعين فهموا أنّ يسوع كان يعتبر أنه متساوٍ مع الله في الجوهر. لذلك، ومن دون تردّد، أمسكوا حجارة ليرجموه، «لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» (عدد ٣٣).

والاعتبار العاشر الذي لا بدّ من ذكره في معرض تقييمنا لنظرة يسوع إلى هويته، هو معجزاته، والتي سيتمّ مناقشتها في الفصل التالي. لقد أكّد يسوع على أنّ أعماله هي علامة على مجيء ملكوت الله: «إن كنتُ بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (لوقا ١١: ٢٠). هذا القول استوقف بِن وذرنغتون Ben Witherington. فعلى الرغم من أنّ آخرين في الكتاب المقدّس كانوا قد صنعوا المعجزات، فإنّ هذه العبارة التي تفوّه بها يسوع، تُظهر أنه لم يرَ نفسه على أنه مجرّد صانع عجائب ليس إلا: «إنه يرى نفسه على أنه ذاك الذي به ومن خلاله تتحقّق وعود الله. وهو ادّعاء صريح له بتساميه.»[٣٤]

قال الدارس البريطاني جيمس دي. جي. دان James D. G. Dunn: «بغضّ النظر عما حصل فعلاً، فمِن الواضح أنّ يسوع كان مؤمنًا بأنه شفى حالاتٍ من العمى، والعرج، والصمم. حقًا، ما من سبب يدعونا إلى التشكيك في أنه كان مؤمنًا بأنّ بُرصًا قد طَهروا وأمواتًا قد قاموا خلال سنوات خدمته.»[٣٥]

إتمام صفات الله

بالطبع، يمكن لأي شخص أن يؤمن بأنه هو الله. يسوع لم يعتبر نفسه أنه ابن الله فحسب، ولكنه تمّم الصفات التي تعود لله وحده. إنّ الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل فيلبي، يصف كيف أنّ يسوع قد أخلى نفسه من استقلاليته في استخدام صفاته، عندما تجسّد، وهي ظاهرة تُعرف

بـ «كينوسن» Kenosis. هذا يفسّر لماذا لم يختر دائمًا أن يُظهر «صفاته المطلقة» كعلمه المطلق، وقدرته المطلقة، وحضوره المطلق، خلال وجوده على الأرض. ومع ذلك، فإنّ العهد الجديد يؤكّد على أنّ كل هذه الصفات كانت تصحّ فيه. مثلاً، أكّد يوحنا عن المسيح في يوحنّا ١٦: ٣٠ قائلاً: «الآن نعلم أنك عالم بكل شيء»، وهذا ما يُعرف بالكلّي المعرفة. وفي متّى ٢٨: ٢٠ يقول يسوع: «وها أنا معكم كلّ الأيام إلى انقضاء الدهر»، وفي هذا إشارة إلى الكلّي الوجود. وقد أعلن أيضًا: «دُفع إليَّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض» (متّى ٢٨: ١٨)، وهذا ما كان يُعرف بالكلّي القدرة.

حقًا نقرأ في كولوسي ٢: ٩، «فإنّه فيه (أي في المسيح) يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًا.» أزليّته مؤكّدة في يوحنا ١: ١، حيث الكلام عن يسوع، جاء على النحو التالي: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.» كما أنّ عدم قابليته للتغيير أو التحوّل ظاهرة في الرسالة إلى العبرانيين ١٣: ٨، «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد.» وعصمته عن الخطيّة واضحة في يوحنا ٨: ٢٩، «والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه.» وفي عبرانيين ١: ٣ الإعلان أنّ يسوع هو «بهاء مجده (الله) ورسمُ جوهره.» وتقول الرسالة إلى أهل كولوسي ١: ١٧، «وفيه يقوم الكل.» وفي متّى ٢٥: ٣١-٣٢ التأكيد على أنه هو مَن سيقوم بدينونة العالم. وفي عبرانيين ١: ٨، الآب بذاته يُعلن أنّ يسوع هو الله.

في الواقع، نجد أنّ الأسماء عينها التي استُخدمت لرسم صورة عن الله في العهد القديم –أسماء مثل البداية والنهاية، الخالق، معطي الحياة، غافر الخطايا، والناطق بسلطان إلهي– تنطبق هي أيضًا على يسوع في العهد الجديد.

مَن كان يسوع يؤمن بأنه هو؟ في الكتاب، «أساليب جديدة لفهم يسوع والأناجيل» *New Approaches to Jesus and the Gospels*، يتوصّل

coptic-books.blogspot.com

رويس غرونلير Royce Gruenler وهو أستاذ مادة العهد الجديد في كلية اللاهوت غوردن كونويل Gordon-Conwell، إلى الاستنتاج التالي: «إنّ الحقيقة المدهشة التي توصّلت إليها الدراسات الحديثة للعهد الجديد، هي أنّ الأدلة الأساسية والضرورية لفهم وعي يسوع لذاته بشكل صحيح، متوافرة بشكل كبير وواضح.»

يسوع، وبالإضافة إلى إيمانه بأنه هو الله، قد قام ببرهان ذلك من خلال أعماله العجائبية وتحقيقه للنبوّات التاريخية، التي تتحدى جميع الفَرَضيات، وأخيرًا من خلال قهره للقبر. هذه هي المواضيع الثلاثة البالغة الأهمية، التي سوف نتناولها في الفصل التالي.

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. لقد سأل يسوع تلاميذه: «مَن تقولون إني أنا هو؟» كيف تجيب أنت عن هذا السؤال؟ ما هي الأدلة التي تستخدمها لدعم إجابتك؟

٢. برأيك، ما هو الدليل الأكثر إقناعًا على صحة الأناجيل؟ لماذا؟

٣. إنْ كان يسوع يؤمن بأنه هو الله وبأنه أتمّ صفات الله، فماذا يعني ذلك أولاً، بالنسبة إلى الديانات الأخرى، وثانيًا، بالنسبة إليك شخصيًا؟ أذكر ثلاثة انعكاسات لذلك.

الفصل الخامس

المزيد من الأسئلة الصعبة عن المسيح

لي ستروبيل Lee Strobel

coptic-books.blogspot.com

لقد أشار القس البريطاني جون ستوت John Stott إلى أنّ يسوع قد أكّد وبوضوح أنّ «بمعرفته يُعرَف الله، ومَن رآه فقد رأى الله، والإيمان به يعني الإيمان بالله، وقبولَه يعني قبول الله، وكُرهه يعني كُره الله، كما أنّ إكرامه يعني إكرام الله.»[1] غير أنّ السؤال الحاسم هنا هو: كيف نعلم أنّ يسوع كان يقول الحقيقة؟

بطبيعة عملي كصحافي في النشرة «منبر شيكاغو» *The Chicago tribune*، التقيتُ العديد من الناس الغريبي الأطوار الذين يدَّعون بأنهم الله، ولكن ذلك لم يدفعني أن أنحني وأتعبّد لهم. كنت في حاجة إلى أكثر من مجرّد تصريح جريء كهذا، فأين الدليل على ذلك؟ هذا ينطبق أيضًا على ما قمتُ به من تقصٍّ للأمور الروحية الخاصة بيسوع. من الممكن أنه ادّعى بأنه ابن الله الوحيد، لكنه، هل فَعَل شيئًا ليدعم هذا الادّعاء؟

يقودني هذا الأمر إلى ثلاثة أسئلة صعبة إضافية غالبًا ما تُطرح حول يسوع وترتكز على: قدرته على صنع المعجزات، تحقيقه للنبوّات التاريخية المتعلّقة بالمسيح المنتظر، وعودته من الموت. هذه الإنجازات، إنْ تحقّقنا من صحة حدوثها، توفِّر دلائل حاسمة لدعم ادّعائه بأنه ابن الله الوحيد.

هل حقًا اجترح يسوع المعجزات؟

في القرن الواحد والعشرين، عندما قام العلماء بوضع خارطة للمورّثات الجينية لدى الإنسان، وبعد أن جزّؤوا الذرة، وحدّقوا عبر

coptic-books.blogspot.com

تلسكوب هابل Hubble Telescope للنظر إلى أقاصي حدود الكون، اعتقد الكثيرون أنّ منطق العلم كافٍ لينفي المعتقدات الساذجة التي تؤمن بما هو فوق الطبيعة.

علّم عالِم الفلك اللاأدري الراحل كارل ساغان Carl Sagan التالي: «الكون هو كلّ ما هو موجود، وكل ما كان موجودًا، وكل ما سيكون موجودا.»[٢] كما أصرّ المبشر المتحوّل إلى اللاأدرية، تشارلز تيمبلتون Charles Templeton على أنه «قد حان وقت التخلّص من الأفكار البدائية والخرافات للنظر إلى الحياة بمنظار عقلاني.»[٣] وقام الملحد النشوئي ريتشارد دوكنز Richard Dawkins بالاستهزاء من معجزات العهدين القديم والجديد عندما قال: «إنها فعّالة جدًا بين جمهور من السذج والأطفال.»[٤] كما عبّر البروفسور الليبرالي جون دومنيك كروسان John Dominic Crossan عن رأيه شامتًا: «لا أعتقد أنه بإمكان أي شخص في أي مكان وأي زمان أن يُعيد الأموات إلى الحياة.»[٥]

كتاب «الأناجيل الخمسة» *The Five Gospels* لجماعة «سمينار يسوع»، وانطلاقًا من تفضيله «حقائق» العلم المادية والمحسوسة على الدلائل فوق الطبيعية للكتاب المقدَّس، يُصرّح بما يلي: «إنّ مسيح العقائد والمبادئ، والذي كان يحتلّ مكانه الصحيح في العصور الوسطى، لا يمكنه في ما بعد أن يطلب موافقة الذين رأوا السماوات عبر تليسكوب غاليليو Galileo Telescope. فآلهة وشياطين العصور القديمة، قد تمّ مسحها من السماوات من قِبَل قطعة الزجاج المذهلة هذه.»[٦]

هذه الآراء متعارضة وبشدة مع ما يدّعيه الكتاب المقدَّس بأنّ الله قد صنع معجزاتٍ عبر التاريخ. ففي الحقيقة، إنّ سفر التكوين يُصرّ على أن التاريخ بأكمله، كان قد ابتدأ بالمعجزة الصاعقة التي قام بها الله حين خلق كلّ شيء مِن لا شيء. كذلك في ما يتعلّق بيسوع، تكتسب المعجزات أهمية بالغة لجهة إثبات هويّته الإلهية، وهو الذي صرّح وبجرأة:

«إن كنتُ لست أعمل أعمال أبي (تحديدًا، المعجزات) فلا تؤمنوا بي» (يوحنا ١٠: ٣٧). وقد أشار إشعياء النبي إلى أنّ المعجزات سوف تشكّل إحدى الوسائل التي سيستخدمها المسيح المنتظر ليثبّت صحة هويته (انظر إشعياء ٣٥: ٥ و٦). كذلك، يؤكد العهد الجديد أنّ يسوع قد قام بأعمال خارقة تفوق الطبيعة كشفاء المرضى، وتحويل الماء إلى خمر، وإكثار السمك وأرغفة الخبز، والمشي على المياه، وحتى إقامة الأموات.

من المهم أن نضع أساسًا نرتكز عليه. فإنْ كان الله موجودًا، يجب ألاّ يكون من الصعب علينا تصديق فكرة كونه قادرًا على أن يتدخّل في مخلوقاته بطريقة عجائبية. فلطالما استخدم المسيحيون الحجج والبراهين الكوزمولوجية والغائية والوجودية، بالإضافة إلى الحجج الأخلاقية وحاجة الإنسان الروحية وغيرها من الدلائل والبراهين المنطقية، لبناء حجّة مقنعة على أن الله موجود فعلاً.[٧]

قام نورمان جايزلر Norman Geisler بإدلاء الملاحظة التالية: «إنّ الطريقة الوحيدة لإثبات استحالة اجتراح المعجزات هي من خلال إثبات عدم وجود الله.»[٨] ولم يتمكّن أحد من فعل ذلك على الإطلاق.

يمكن إثبات أنّ يسوع كان قد أثبت صحة ادّعائه بأنه الله عن طريق اجتراحه للمعجزات بواسطة ست نقاط:

١ ‹ مصداقية العهد الجديد

لقد رأينا في الفصل السابق كيف أنّ الأناجيل التي تصف معجزات يسوع، يمكن ردّها رجوعًا إلى مواد كان قد جمعها شهود عيان. ثم يأتي علم الآثار ليثبت لنا صحة هذه الأناجيل التي جرى تناقلها عبر الأجيال بأمانة. بالإضافة إلى ذلك، أقدم المؤرّخ غاري هابيرماس Gary Habermas، وهو مؤلّف كتاب «يسوع التاريخي» *The Historical Jesus*، على ذكر تسعة وثلاثين مصدرًا تاريخيًا قديمًا، وبالتفصيل خارج الكتاب

coptic-books.blogspot.com

المقدَّس، تقدِّم المزيد من التأييد لأكثر من مئة حقيقة تخصّ حياة يسوع وتعاليمه وموته وقيامته.[9]

في ضوء الافتراضات المسبقة المناهضة لكلّ ما هو خارق وفوق الطبيعة والخاصة بجماعة «سمينار يسوع» وغيرهم، فإنّ تقييم دارس العهد الجديد البريطاني أر . تي . فرانس R .T. France للأناجيل ذو صلة وثيقة بالموضوع:

> إذا نظرنا إلى المستوى الأدبي والتاريخي للأناجيل، نجد أنّ لدينا أسبابًا جيدة لأخذها بمنتهى الجدية كمصدر للمعلومات عن حياة يسوع، وبالتالي كمصدر عن منشإ المسيحية التاريخي... أما بالنسبة إلى قرار الدارس لجهة قبوله ما تقدّمه هذه المصادر أم لا، فهو أمرٌ متعلّق بمدى انفتاحه على فكرة احتمال حصول أمور خارقة وفوق الطبيعة، متخطيًا بذلك المعطيات التاريخية وحدها.[10]

المعجزات متواجدة في سائر طبقات الأناجيل. مثلاً، يفترض العديد من الدارسين أنّ مصدرًا قديمًا لأقوال يسوع، والذي يُطلقون عليه اسم «كيو» Q، كان كلّ من متّى ولوقا قد استخدماه كمصدر. إذًا، من المتوقّع أن يحوي هذا المصدر معلومات أوّلية لم تتأثّر مصداقيتها بالتطور الأسطوري. كريغ بلومبرغ، كاتب «المصداقية التاريخية للأناجيل»، صرّح بما يلي: «نجد، حتى في الـ «Q»، وعيًا وإدراكًا كاملين للمعجزات التي صنعها يسوع خلال خدمته.»[11] مثلاً، عندما سأل تلاميذ يوحنا المعمدان يسوع إن كان هو المسيح المنتظر، دعاهم إلى اتخاذ معجزاته الشفائية وإقامته للموتى دليلاً على أنه هو المسيح (انظر متّى ١١: ٢-٦؛ لوقا ٧: ١٨-٢٣).

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ معجزة إطعام الخمسة آلاف، ورد ذكرها في الأناجيل الأربعة. «إذًا لدينا شهادات منفردة ومتعدّدة لهذه الأحداث»،

هذا ما قاله وليَم لين كريغ أستاذ الفلسفة والباحث في مدرسة اللاهوت تالبوت. وقد شدّد على أننا «لا نجد أثرًا ليسوع الناصري غيرَ الصانع للمعجزات، في أيٍّ من المصادر.»[12] هذا ينطبق حتى على المصادر الأربعة المستقلة التي تُقرّ بها جماعة «سمينار يسوع» المشكّكة، كمصادر لمتّى ومرقس ولوقا.[13]

بناءً على ذلك، فإنّ معظم نُقّاد العهد الجديد - بمن فيهم الأكثر تشكيكًا - قد وجدوا أنفسهم مضطرّين إلى التسليم بأنّ يسوع قد قام فعلاً بالمعجزات. يعلّق وليَم لين كريغ على هذا بالقول: «بغضّ النظر عما إذا كانوا يؤمنون بأنها معجزات حقيقية أم زائفة، فإنّ فكرة يسوع الناصري كصانع معجزاتٍ وطاردٍ للأرواح الشريرة، هي جزء من شخصية يسوع التاريخية، وهي فكرة مقبولة بشكل عام لدى النقّاد في يومنا هذا.»[14]

٢ . تضمين تفاصيل تاريخية يعطي مصداقية

لقد لاحظ الدارسون كيف أنّ بعض المعجزات تسرد أحداثًا تاريخية بالتفصيل، وهذا يعطي مصداقية للرواية. مثلاً، ذِكرُ اسم لعازر بالتحديد على أنه الشخص المُقام من الأموات، يتيح فرصةً لمشكّكي القرن الواحد والعشرين بأن يتحقّقوا من الأمر بأنفسهم. كما أنّ روايات الأناجيل جليلة وبسيطة، تكاد تتشابه مع كتابات الصحافة في أسلوبها، وذلك خلافًا للأحداث فوق الطبيعية والوهمية الموصوفة في الأناجيل المنحولة التي ظهرت لاحقًا.[15]

وقد رأى الدارس ستيفن دايفس Stephen Davis في قصة تحويل يسوع الماء إلى خمر، كيف ذُكِرَت فيها تفاصيل ليست في صالح يسوع. فمثلاً، من الصعب تفسير اللغةَ القاسية التي استخدمها يسوع مع أمِّه. حتى إنّ سرد القصة بأكملها، يمكن أن يشجّع على اتهام يسوع بأنه كان شخصًا سكّيرًا ونهمًا، كما ادّعى ذلك بعضهم (انظر متّى ١١: ١٩). إذًا، من المستبعد أن تكون الكنيسة قد ألّفت قصة كهذه في عصور لاحقة.[16]

coptic-books.blogspot.com

٣ ◄ القادة اليهود وأخصام يسوع أقرّوا بأنه اجترح المعجزات

يذكر الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا شخصًا فريسيًا اسمه نيقوديموس، وهو عضو في المجلس اليهودي الحاكم، وكيف قال ليسوع: «يا معلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله معلِّمًا، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إنْ لم يكن الله معه» (يوحنا ٣: ٢). هذا توكيد من خارج أتباع يسوع أنه كان معروفًا باجتراح المعجزات. كذلك دوّن بولس في ١كورنثوس ١٥: ٧ و٨ حقيقة أنه، وهو الذي كان مُضطَّهدًا للمسيحيين، مع يعقوب، الذي كان مشكّكًا في هوية يسوع، قد التقيا يسوع المُقام عجائبيًا من الأموات، وأصبحا على إثر ذلك مقتنعَين بألوهيته.

٤ ◄ مصادر معادية من خارج الكتاب المقدّس تؤكّد أنّ يسوع اجترح المعجزات

الكتابات اليهودية القديمة والمعروفة بالتلمود، تحوي بعض التعليقات الساخرة حول يسوع. ومع ذلك، فإنها تؤكِّد بعض الحقائق التاريخية الخاصة به، بما فيها أنه صنع أمورًا خارقة وفوق طبيعية (مع أنّ التلمود يسعى لتشويه سمعة يسوع من خلال نسب قوَّته هذه إلى «السحر»).[١٧]

كذلك أشار نورمان جايزلر Norman Geisler أنّ محمدًا آمن بيسوع على أنه نبيّ وصانع معجزات بما في ذلك إقامة الموتى. ويضيف جايزلر: «هذا أمرٌ مثير للاهتمام جدًا، لأنه في القرآن عندما تحدّى قوم من غير المؤمنين محمدًا بأن يصنع معجزة، رفض، واكتفى بأن أمرهم بضرورة قراءة سورة من القرآن.»[١٨]

وهناك حتى بعض الإشارات إلى أنّ جلّاد يسوع نفسه ربما قد شهد على قدرات يسوع الخارقة فوق الطبيعية. إن عالِم الدفاع المسيحي يوستينوس الشهيد Justin Martyr يروي حوالى العام ١٥٠م عن «أعمال

بيلاطس»، وهي وثيقة رسمية يُقال إنها أُرسلت إلى روما، تشهد للصلب، بالإضافة إلى معجزات شفاء عديدة كان قد قام بها يسوع.[١٩] ومع أنّ القيمة الدفاعية لتأكيدات يوستينوس هذه تبدو ضئيلة في أيامنا، بما أنّ التقرير الأصلي الذي كان قد أرسله بيلاطس، إن كان موجودًا حقًا، لم يعد في المتناول حاليًا، غير أنه لأمر رائع أن يقوم يوستينوس Justin بتشجيع قرّائه على مراجعة وثيقة أعمال بيلاطس هذه بأنفسهم للتحقّق من صحة أقواله. فلماذا يفعل ذلك لو لم يكن متأكّدًا بأنّ كتابات بيلاطس ستدعم أقواله؟[٢٠]

٥ ◄ القيامة المعجزية هي إحدى الأحداث من العالم القديم الأفضل دعمًا ببراهين

بلغت عجائب يسوع ذروتها من خلال قيامته من بين الأموات بعدما أعدمه الرومان بطريقة وحشية. وكما تذكر الفقرة الأخيرة من هذا الفصل، عندنا أدلّة تاريخية جازمة للتأكيد على أنّ قيامة المسيح هي حدث حقيقيّ.

٦ ◄ التفاسير البديلة لا تفي بالغرض

لقد حاول بعض النقّاد بافتراض بعض النظريات لدحض معجزات يسوع، ولكنها جميعها تنهار عند التدقيق فيها. مثلاً، اقترح تشارلز تيمپلتون Charles Templeton، أنّ معجزات يسوع الشفائية يمكن أن تكون مجرّد فعل تأثيرات سيكوسوماتية.[٢١] قال غاري كولنز Gary Collins، وهو أستاذ جامعي في علم النفس لأكثر من عشرين سنة، إنه لا يمكنه نفي فكرة أنّ يسوع قد يكون قد شفى البعض، من طريق بث فكرة ما في أذهانهم خلال ربطها بأفكار أخرى، إلا أنّ هذا الاحتمال لا يمكن تطبيقه على جميع معجزاته. وفي مقابلة معه، قال:

coptic-books.blogspot.com

> إنّ حالات الشفاء السيكوسوماتية، تستغرق عادةً وقتًا، أما شفاءات يسوع فكانت فورية. كما أنّ الذين شفوا من مرض نفسي، غالبًا ما تعود وتظهر عليهم أعراض المرض بعد أيام قليلة، ولكننا لا نرى أي دليل لحصول ذلك مع الشفاءات التي قام بها يسوع. كذلك، شفى يسوع حالات مرضية مزمنة، كالعمى والبرص، وهي أمراض يصعب تفسير الشفاء منها بفعل نفسي. وفوق كل هذا، فقد أعاد الموتى إلى الحياة، والموت ليس بحالة تتأثر بالعوامل النفسية! ويُضاف إلى ذلك معجزاته المتعلِّقة بالطبيعة، كتهدئته البحر الهائج، وتحويله الماء إلى خمر. إنها معجزات تتحدّى التفاسير الطبيعية.[٢٢]

كولنز على حقّ، إن تفاسير المذهب الطبيعي تعجز عن تفسير أبعاد معجزات يسوع مع طبيعتها وظروفها. إلى ذلك، فإنّ الادِّعاءات القائلة إنّ معجزات يسوع ما هي إلا أساطير مستوحاة من قصص رجال الآلهة الإغريق، أو قصص بعض الأتقياء من اليهود الأقدمين، هي ادّعاءات لا يمكنها الصمود حين يتمّ التدقيق بها. بعد دراسة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين هذه القصص والأناجيل، قال غاري هابيرماس Gary Habermas: «لا يوجد برهان على أنّ القصص القديمة هي مصادر لِما ترويه الأناجيل.»[٢٣]

استنتاجي هو أنّ الروايات التاريخية المتعلِّقة بأعمال يسوع الشفائية الخارقة لجهة شفاء الأمراض، وطرده الأرواح الشريرة، وسلطانه المدهش على الطبيعة، هي روايات أصليَّة وموثوق بها، كما أنها تأكيد إضافي على هويَّته كابن الله. يقول هابيرماس: «كلّ هذه الأدلة مجتمعةً، تشير إلى أنّ الأناجيل صادقة في ما ترويه عن اجتراح يسوع للمعجزات.»[٢٤]

هل أتمّ يسوع النبوّات المسيانية؟

في مقابلة لي مع نورمان جايزلر Norman Geisler، ومن مجموعة الاقتباسات الوافرة التي لديه والصادرة عن المشكِّكين، أخبرني عن إجابة العالِم اللاأدري بيرتراند راسّل Bertrand Russell عندما سُئِل عما يحتاج من براهين لكي يؤمن بوجود الله، أجاب:

> أعتقد أنني لو سمعت صوتًا من السماء يتنبّأ بما سيحدث لي خلال الساعات الأربع والعشرين القادمة، بما فيها أحداث غير مرجَّح أن تحدث على الإطلاق، وإنْ حدثت فعلاً هذه الأشياء، فعندها من الممكن أن أبدأ بالاقتناع بوجود، على الأقل، نوع من الذكاء الفائق للبشرية. يمكنني أن أتخيّل المزيد من البراهين المشابهة لهذه، والتي قد تقنعني، ولكن على حدّ علمي، هذه البراهين غير موجودة.[٢٥]

وعندما طُلب من جايزلر الردّ على ما قاله راسّل، ابتسم وقال: «كنت سأقول له، 'يا سيد راسّل، لقد حدث أن جاء صوت من السماء، وتنبّأ هذا الصوت بالعديد من الأمور، وقد شاهدناها تتحقّق من دون أدنى شك.'»[٢٦]

كان جايزلر يتكلّم عن الطريقة العجائبية التي تنبّأ بها الأنبياء عن أحداث معيّنة وظروف تحققت بعد مئات السنين، في شخص المسيّا («الممسوح»)، الذي سوف يخلّص إسرائيل والعالم. فحتى مشكّك متصلّب كراسّل يعلم أنّ التنبّؤ الواضح بحدوث أمور غير مرجّحة الحدوث، ومن ثم تتميم هذه النبوّات في المستقبل، وبشكل غير متوقّع، ما هو إلا أمر يحتاج تفسيره إلى وجود الله. وبالتالي فإنّ النبوّات المتعلِّقة بالمسيا والتي تحقّقت في شخص يسوع الناصري، ما هي إلا براهين قوية على هويّته.

يحتوي العهد القديم على كمية كبيرة من النبوّات الخاصة بمجيء المسيح. كما أنّ موسوعة «بارتون پاين للنبوّات الكتابية» *Barton Payne's Encyclopedia of Biblical Prophecy* تلحظ مئة وإحدى وتسعين نبوّة من هذه النبوّات، في حين يذكر الدارس في جامعة أوكسفورد ألفريد إدرشايم Alfred Edersheim أربع مئة نبوّة. ويرى إدرشايم «أنّ النقطة الأهمّ هنا هي أن نُبقي نصب عيوننا الوحدة العضوية للعهد القديم، فنبوّاته ليست منعزلة بعضها عن بعض، بل تُظهر ملامح صورة نبوية كبرى.»[٢٧]

كانت هذه النبوّات، ومن دون شك، قد كُتبت قبل مئات السنين من ميلاد يسوع في بيت لحم. ويقول جايزلر في هذا الإطار: «حتى أكبر النقّاد الليبراليين يعترفون بأنّ الأسفار المتعلّقة بالنبوّات كانت قد اكتملت حوالى الأربع مئة سنة قبل المسيح، وسفر دانيال في نحو عام ١٦٧ قبل الميلاد.» وتحدّث أيضًا عن وجود براهين قوية تشير إلى أنّ زمن كتابة معظم الأسفار يرجع إلى فترة أقدم بكثير من هذه، حتى إنّ بعض المزامير والنبوّات المبكرة ترجع إلى القرن الثامن والتاسع قبل المسيح.[٢٨]

وأشار جايزلر إلى أنّ مقطعًا واحدًا فقط، وهو إشعياء ٥٣: ٢-١٢، يتنبأ عن اثني عشر مظهرًا من مظاهر آلام المسيح، والتي تمّت بحذافيرها جميعها: فهو سيتعرّض للرفض ويكون رجل أوجاع، ويحيا حياة بؤس، وسوف يحتقره الناس، ويحمل أحزاننا. كذلك سيكون مضروبًا من الله، وسيُجرح من أجل معاصينا، ويُسحق من أجل آثامنا، ويتألّم كشاة، ويموت مع الأشرار، ويكون بارًا، ويُصلّي من أجل الآخرين.

إنّ معظم رجال الدِّين اليهود في يومنا هذا، يرفضون التفسير القائل إنّ إشعياء ٥٣ يرمز إلى المسيّا المنتظر، بل يُصرّون على أنه يرمز إلى الأمة اليهودية. غير أنّ جايزلر قال في هذا الإطار: «كان من الشائع بين المفسّرين اليهود قبل المسيح، أن يعلّموا أنّ إشعياء يتكلّم هنا عن المسيّا اليهودي. ولم يبدأ رجال الدِّين اليهود بتفسيره على أنه رمز لعذاب

الشعب اليهودي، إلا بعد أن شرع المسيحيون الأوّلون في استخدام هذا النصّ كدليل قاطع في معرض الدفاع عن إيمانهم. النظرة القائلة إنّ كلام إشعياء يشير هنا إلى الشعب اليهودي، هي نظرة غير صائبة استنادًا إلى قرينة النصّ.»[٢٩]

ومن جملة النبوّات البارزة الأخرى المتعلّقة بالمسيح، والتي تحقّقت جميعًا في شخص يسوع، هي أنه سيولد من امرأة (تكوين ٣: ١٥) تكون عذراء (إشعياء ٧: ١٤)، من نسل ابراهيم (تكوين ١٢: ١-٣؛ ٢٢: ١٨)، من سبط يهوذا (تكوين ٤٩: ١٠)، من بيت داود (٢صموئيل ٧: ١٢-١٦)، في بيت لحم (ميخا ٥: ٢). سيُرسل الله شخصًا أمامه يمهّد له السبيل (إشعياء ٤٠: ٣)، سيُطهّر الهيكل (ملاخي ٣: ١)، «سيُقطع» بعد ٤٨٣ سنة من إعلان إعادة بناء أورشليم عام ٤٤٤ ق م (دانيال ٩: ٢٤-٢٧)، سيُرفض (المزمور ١١٨: ٢٢)، ستُثقب يداه ورجلاه (المزمور ٢٢: ١٦)، سيُطعن في جنبه (زكريا ١٢: ١٠)، سيقوم من بين الأموات (المزمور ١٦: ١٠)، سيرتفع إلى السماء (المزمور ٦٨: ١٨)، وسيجلس عن يمين الله (المزمور ١١٠: ١).[٣٠]

إنّ التتميم الدقيق والحرفي لكلّ هذا العدد الكبير من النبوّات المحدّدة، يشكّل حجّة دفاعية قوية ومقنعة في وجه النقّاد الذين لطالما أثاروا مختلف الإعتراضات لمحاولة إنكارها. أكثر هذه الاعتراضات شيوعًا هي التالية:

لقد تحقّقت هذه النبوّات في يسوع من طريق الصدفة. إنّ احتمالات تحقّق النبوّات في شخص يسوع من طريق الصدفة ضئيلة لدرجة تدعو إلى الدهشة. ففي الحقيقة، البروفسور بيتر ستونر Peter Stoner، الذي كان رئيس دائرة قسم العلوم في كلية ويستمونت Westmont College في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين، قام بالعمل مع ست مئة طالب على إيجاد أفضل تخمين حسابي لديهم، لاحتمال تحقّق ثماني نبوّات فقط من العهد الجديد، في أي شخص عاش في التاريخ حتى وقتنا الحالي. بعد

جمع النبوّات الثماني معًا، قام ستونر باحتساب الاحتمال ليجده واحدًا في مئة مليون بليون.[٣١] هذا الرقم يعادل عدد قِطع الآجر المربّعة، ذات بُعد إنش ونصف اللازمة، إن إردنا رصف كلّ اليابسة على وجه الأرض.

قد لا يوافق بعض الناس على التقديرات التي توصّل إليها طلاب ستونر في حساباتهم، حيث قد يصعب إدراج النبوّات تحت شكل كمّ محدّد، كما أنه قد تختلف أساليب التقييم المعتمدة. لذا قام ستونر بتحدّي المشكّكين بالإتيان بتقييماتهم الخاصة والتأكد من الأرقام بأنفسهم. ولكن عندما قمتُ بتفحّص النبوّات بنفسي، كان لا بدّ لي أن أتّفق مع استنتاجات ستونر: إن احتمال تحقّق هذه النبوّات التاريخية في شخص ما من طريق الصدفة، هو أمر بعيد المنال ويتعذّر حدوثه.

«الاحتمالات تقول إنه من المستحيل على أيّ كان أن يحقّق نبوّات العهد القديم في شخصه. مع ذلك، فإنّ يسوع - ويسوع وحده عبر التاريخ بأكمله- نجح في تحقيق هذه النبوّات.» هذا ما قاله لويس لاپيدس Louis Lapides، الذي كان قد ترعرع في عائلة يهودية محافظة، وأصبح مسيحيًا، ومن ثمّ قسيسًا بعد أن درس النبوّات.[٣٢]

لقد حقّق يسوع النبوّات عن قصد. ولئن كان بإمكان يسوع أن يُسيِّر حياته في خطّ تحقيق بعض النبوّات، يبقى أنّ تحقيق الكثير منها كان سيفوق قدرته على السيطرة على الأمور كتحديد مكان ولادته، وسلسلة نَسبه، وإقدام أحدهم على خيانته بثلاثين قطعة من الفضة، وطريقة إعدامه، وعدم كسر ساقيه على الصليب، وإقدام الجند على إلقاء قرعة على لباسه.

التفاصيل كان قد لفّقها مَنْ كَتَبوا الأناجيل. يحتجّ بعض النقاد قائلين إنّ الأناجيل غيّرت التفاصيل لإظهار أنّ يسوع حقّق النبوّات، في حين أنه لم يفعل ذلك. ويقدّم لويس لاپيدس دفاعه عن هذا الأمر قائلاً: «عندما كان يتمّ تناقل الأناجيل، كان لا يزال العديد من شهود العيان على هذه

الأحداث أحياء. وكان بوسع أحدهم أن يقول لمتّى: «أنت تعلم جيدًا أنّ ذلك لم يحدث بهذه الطريقة. نحن نحاول أن نوصل رسالة حياة برٍّ وأمانة، فلا تلوّثها بأكذوبة.» إلى ذلك، سأل لاپيدس: «ما الذي قد يجعل متّى يلفّق قصة تحقّق النبوّات، ثم يرضى طوعًا أن يموت في سبيل إنسان يعلَم يقينًا أنه ليس المسيح المنتظر؟ وفوق هذا كلّه، فمع أنّ التلمود يشير إلى يسوع بطريقة تحطّ من قدره، غير أنه لا يدّعِ أبدًا أنّ تحقّق النبوّات هو أمر قد جرى تلفيقه زورًا.»[٣٣]

الأناجيل تخطئ في تفسيرها للنبوّات. يُخبرنا متّى أنّ والدَي يسوع أخذاه إلى مصر، ومن ثمّ إلى الناصرة بعد موت هيرودس، «لكي يتمّ ما قيل من الرب بالنبي القائل: ’مِن مصر دعوت ابني‘» (متّى ٢: ١٥). ولكنّ النقّاد يدّعون بأنّ نبوّة العهد القديم هذه، تخصّ أولاد إسرائيل عندما خرجوا من مصر في مرحلة الخروج. إنهم يرون في هذا، مثالاً على الخطإ في تفسير هدف الأنبياء، وذلك بقصد تلفيق كون النبوّات قد تحقّقت في شخص يسوع.

يقول نورمان جايزلر: «إنّ العهد الجديد قام فعلاً بنَسب مقاطع معيّنة من العهد القديم ليسوع، في حين أنها لم تكن بالضرورة تتنبّأ عنه مباشرة. يرى العديد من الدارسين أنّ هذه الإشارات قد تحقّقت ’رمزيًا‘ في شخص المسيح... بعبارة أخرى، بعض الحقائق في المقطع يمكن أن تنطبق على شخص المسيح، حتى وإن لم تكن تتنبّأ عنه على وجه الخصوص. ويعتبر دارسون آخرون أنّ هناك معاني عامة في بعض مقاطع العهد القديم والتي تنطبق على إسرائيل والمسيح في آن، حيث كان لقب ’ابن‘ الله يُطلق عليهما كليهما. وهذا ما يُعرف أحيانًا باسم ’النظرة المرجعية المزدوجة‘ للنبوّة.»[٣٤]

لقد استطاع العديد من الوسطاء وبنجاحٍ التنبّؤ بأمور المستقبل. إنّ دراسات متعمّقة للسجلات المتسلسلة للوسطاء الروحيين، والممتدّة من

coptic-books.blogspot.com

نوستراداموس Nostradamus إلى جين ديكسون Jeane Dixon، تُظهِرُ، وعلى عكس النبوّات الكتابية، أنها في غاية الغموض وأحيانًا متناقضة، وغالبًا ما تكون كاذبة. يُذكَر عن ديكسون أنها تنبّأت عن انتخاب جون كينيدي John Kennedy رئيسًا عام ١٩٦٠، ولكنّ الناس نسوا أنها لاحقًا تنبّأت أن ريتشارد نيكسون Richard Nixon سيفوز هو أيضًا! وقد أظهرت إحدى الدراسات الخاصة بنبوّات خمسة وعشرين وسيطًا روحيًا أنّ ٩٢٪ من نبوّاتهم جاءت خاطئة تمامًا، وذلك على عكس أنبياء الكتاب المقدَّس الذين هم أبدًا على حق.[٣٥]

إنّ التتميم المعجزي للنبوّات القديمة في شخص يسوع، يبقى واحدًا من أقوى الحجج فعالية في إثبات هويّته. ومَن يدقّق في تفحّص هذا السجل، يجد أنه لا يمكن تجاهل هذه التنبّؤات ببساطة. إنّ أحد الأمثلة المفضّلة لديّ يتعلّق بالدكتور بيتر غرينسبان Dr. Peter Greenspan، وهو طبيب توليد نسائي يهودي، ومدرّس في إحدى كليات الطب. فكلما ازدادت قراءاته للنقّاد الذين يحاولون مهاجمة النبوّات، ازداد من جراء ذلك إدراكه للعيوب التي تشوب حُجَجهم. استنتج غرينسبان بتهكّم: «أعتقد أنني آمنت بـ«يشُوا» (يسوع) من خلال قراءتي لما كتبه النقّاد عنه.»[٣٦]

هل قام يسوع من بين الأموات؟

عندما يُطلب من المسيحيين أن يقدّموا برهانًا على أنّ إيمانهم مبنيّ على الحقائق بدلاً من الأساطير أو الأمنيات، يشيرون فورًا إلى قيامة يسوع. جي. أي پاكر J.I.Paker، البروفسور المتقاعد في كلية ريجينت Regent College، يرى أنّ الأسباب وراء ذلك هي عديدة وفي غاية الأهمية:

> إنّ حدث القيامة، كما يؤكّدون، يبرهن ألوهة يسوع، ويصادق على تعاليمه، ويشهد على إتمام عمله الكفاري

> عن الخطايا، ويُثبت سيطرته الحالية على الكون، ورجوعه ثانية كديّان. كما أنه يؤكّد لنا أنّ عفوه الشخصي وحضوره وسلطانه على حياة الناس اليوم واقعٌ وأمرٌ حقيقي، ويضمن لكلّ مؤمن الحصول على جسد جديد ممجّد عند القيامة في العالم العتيد.[٣٧]

في ضوء كلّ ما يتوقّف على حقيقة قيامة يسوع من الأموات، فإنه لَمِن المشجِّع معرفة أنّ هذا الحدث الفوق- طبيعي هو موثّق وبشكل كامل في السجلات التاريخية. فحتى المشكّك سابقًا، السِّير ليونيل لاكهو Sir Lionel Luckhoo، صاحب لقب المحامي الأكثر نجاحًا في العالم، بحسب كتاب غينيس للأرقام القياسية، فقد أُجبر على استخلاص ما يلي بعد دراسة معمّقة للدلائل: «أنا أصرّح، بما لا يرقى إليه أي شكّ، بأنّ الأدلّة على قيامة يسوع المسيح هي ساحقة، لدرجة أنها تفرض علينا قبولها بحجّة البرهان والدليل. وهذا لا يترك أي مجال للشكّ إطلاقًا.»[٣٨]

تبدأ الأدلّة بموت يسوع من طريق جَلده الوحشي وصَلبه. والأدلّة تُكَذِّب النظريات القائلة إنه لربما كان قد أُغمي عليه على الصليب، ثم أنعشه لاحقًا هواء القبر البارد. «إنه لَمِن الواضح أنّ الأدلّة التاريخية والطبية تشير إلى أنّ يسوع كان قد مات حتى قبل أن يُطعَن في جنبه»، هذا ما أشارت إليه إحدى مقالات المجلة المرموقة، «مجلة جمعية الطب الأمريكية» *Journal of the American Medical Association* ثم يضيف المقال: «وبناءً على ذلك، فإنّ التفاسير القائمة على افتراض عدم موت يسوع على الصليب، تُعارض علم الطب الحديث.»[٣٩]

وعلى الرغم من الاقتراح الذي يقدّمه جون دومينيك كروسان John Dominic Crossan ضمن وثيقة جيننغز (انظر الصفحة ١٦٦) والذي مفاده أنّ جسد يسوع كان على الأرجح قد تُرِكَ على الصليب «ليَفسد وتأكله الغربان والكلاب»، فإنّ الدارس الليبرالي الراحل جون أي تي

روبنسون John A.T. Robinson من جامعة كامبردج، رأى أنّ حدث دفن يسوع يُعتبر واحدًا من أبكر الحقائق المتعلّقة بيسوع وأكثرها توثيقًا.»[٤٠]

لقد تمّ شرح القضية المؤيّدة لقيامة يسوع من الأموات، وبالتفصيل، في العديد من الكتب والمجلات العلمية. غير أنّ النقاط الأربع التالية تعطي لمحة شاملة كما قال وليَم لين كريغ عن «السبب الذي يجعل صنف التشكيك الذي يُعرب عنه أعضاء جمعية «سمينار يسوع»... لا يُخفق في تمثيل الرأي الذي يُجمع عليه الدارسون فحسب، بل حتى يبدو غير مبرّر، إلى حدّ كبير.»[٤١]

قصص مبكرة: شهادة التاريخ الجديرة بالثقة

يرجع تاريخ أقدم تقرير عن قيامة يسوع إلى وقت قريب جدًا من الحدث نفسه، بحيث لا يمكن أن يكون قد تأثّر سلبًا، وبالتالي فَقَدَ موثوقيّته بفعل دخول الأساطير إليه. وفي ١كورنثوس ١٥: ٣-٨، يدوّن بولس الرسول عقيدةً في غاية الأهمية، والتي كانت تُتلى بين أوساط جماعة المسيحيين الأوّلين. هذه العقيدة تؤكّد على:

> أنّ المسيح مات من أجل خطايا حسب الكُتب. وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر. وبعد ذلك، ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثم للرُسل أجمعين. وآخر الكل كأنه للسِّقط ظهر لي أنا.

يعتقد دارسون كُثر ينتمون إلى تيارات لاهوتية مختلفة، أنّ تاريخ هذه العقيدة ينحصر بين فترة السنتين إلى الثماني سنوات، التي تلت قيامة يسوع، عندما استلمها بولس إمّا في دمشق أو في أورشليم. وقد قال الخبير في حدث القيامة غاري هيبرماس Gary Habermas:

«أؤيد العلماء القائلين إن بولس تسلّم هذه العقيدة بعد ثلاث سنوات من تحوّله إلى المسيحية، عندما كان في رحلة إلى أورشليم و... حصل عليها مباشرةً من شاهدَي العيان بطرس ويعقوب بالذات.»[٤٢]

إنّ العديد من الروايات في أعمال الرسل ١-٥؛ ١٠ و١٣ تتضمّن أيضًا بعض العقائد التي تقدّم معلومات باكرة جدًا عن موت المسيح وقيامته. ويشير الدارس جون دراين John Drane إلى أنّ «الدليل الأكثر قِدمًا الذي في حوزتنا عن القيامة يعود، وبالتأكيد، إلى الزمن الذي تلى الحدث مباشرة.» ويتابع: «وهو الدليل المتضمّن في أولى عظات سفر أعمال الرسل... فممّا لا شك فيه أنّ كاتب الأصحاحات الأولى من أعمال الرسل قد احتفظ بمعلوماتٍ استقاها من مصادر مبكرة جدًا.»[٤٣]

إلى ذلك، هناك دلائل تشير إلى أنّ البشير مرقس أتى بقصة آلام المسيح من مصدر مبكر جدًا، كُتِبَ قبل السنة السابعة والثلاثين الميلادية، أي بعد أربع سنوات فقط على قيامة يسوع.[٤٤] إنّ هذه التقارير مِن الصفوف الأمامية للتاريخ، مقرونةً بروايات الأناجيل الأخرى والموثوق بها، تقضي على الجدال القائل إنّ قصة قيامة يسوع ما هي سوى أسطورة تطوّرت بفعل مرور عقود على حياته.

قبرٌ فارغ: بالإجماع. الجسد مفقود

حقيقة القبر الشاغر، المبلّغ عنها صراحةً أو ضمنًا في المصادر المبكرة لإنجيل مرقس، وفي عقيدة الأصحاح الخامس عشر لرسالة كورنثوس الأولى، هي حقيقةٌ يُسلِّم بها الجميع. ولا حتى السلطات الرومانية أو القادة اليهود ادّعوا بأنّ القبر كان ما زال يحوي جسد يسوع. بل كانوا مجبَرين على اختلاق القصة السخيفة القائلة إن التلاميذ، وعلى الرغم من عدم توفّر الدافع أو الفرصة، قد سرقوا الجسد، وهي نظرية لا يعتقد بها حتى أكثر النقّاد تشكيكًا في يومنا هذا.

coptic-books.blogspot.com

مصداقية القبر الفارغ، تأتي لتعزّزها حقيقة أنه اكتُشف فارغًا من قبل مجموعة نساء، واللواتي كانت تُعتبر شهادتهنّ غير جديرة بالثقة في عُرف الثقافة اليهودية للقرن الأول، حتى إنهنَّ لا يستطعنَ أن يشهدنَ في محكمة قانونية. «الإقرار بهذا الأمر، لا بدّ أنه شكّل إرباكًا للتلاميذ»، هذا ما لحظه وليَم لين كريغ. ثم تابع يقول: «ولو كانت هذه القصة أسطورة لَعَمد التلاميذ، بكل تأكيد إلى طمسها.» وقد استشهد كريغ بحقيقة مقنعة أخرى: «كان موقع قبر يسوع معروفًا لدى المسيحيين واليهود على حدّ سواء. فإنْ لم يكن القبر فارغًا، لبات من المستحيل على حركة قائمة على الإيمان بالقيامة، أن تتواجد في المدينة نفسها التي أُعدم فيها هذا الرجل علانيةً ودُفن.»[٤٥]

شهادة شهود عيان: أن أرى، يعني أن أؤمن

الأمر لا يقتصر فقط على حقيقة القبر الفارغ، ولكنّ العهد الجديد يدوّن لنا أنّ يسوع، وعلى امتداد أربعين يومًا، ظهر حيًّا أكثر من عشر مرات مختلفة ولأكثر من خمسمئة وخمسة عشر فردًا: لرجال ونساء، لمؤمنين ومشكّكين، لأناس ذوي عقول صلبة ولآخرين من أصحاب القلوب الرقيقة، لجماعات ولأفراد، تارةً في أماكن مغلقة وطورًا في العراء وفي وضح النهار.

تدوّن لنا الأناجيل أنّ يسوع بعد قيامته تكلّم مع الناس، أكل معهم، حتى إنه دعا أيضًا أحد المشكّكين إلى وضع إصبعه في المكان الذي أحدثه ثقب المسمار في يديه، وإلى جعل يده داخل مكان طعنة الحربة في جنبه، ليتأكّد من أنه هو يسوع نفسه. لقد كانت هذه التجربة مغيّرةً لحياة توما، حتى إنه ظلّ ينادي بحقيقة قيامة المسيح إلى حين مماته بشكل عنيف في جنوب الهند، كما نفهم من سجلات تاريخ الكنيسة.

قام الدارس سي. إتش دوود C.H. Dodd من جامعة كامبردج Cambridge بتحليل دقيق للمراجع التاريخية. وهكذا خلص إلى القول إنّ العديد من هذه الظهورات مبنيّ على مصادر مبكرة جدًا، بما في ذلك لقاء يسوع مع النسوة في متّى ٢٨: ٨–١٠، ولقاؤه مع الرسل الأحد عشر في متّى ٢٨: ١٦–٢٠، ولقاؤه مع التلاميذ في يوحنا ٢٠: ١٩–٢٣.[٤٦]

ادّعى النقاد بأنّ هذه الظهورات هي من نتاج هلوسة أو «تفكير جَماعي»، حيث يُقنع أناس بعضهم بعضًا برؤية أمور غير موجودة. غير أنّ علماء النفس صرفوا النظر عن هذا الاحتمال من خلال تبيان حقيقة أنّ الهلوسة هي حدث فردي، ولا يمكن أن يختبره مجموعة من الناس معًا، كما أنّ الظروف حينها لم تكن مؤاتية لحدوث نظرية «الفكر الجَماعي.»[٤٧] إلى ذلك، إنْ كان الرسل والتلاميذ قد تخيّلوا فقط ظهور يسوع لهم حيًا، فأين ذهبت الجثة؟

أمّا الاقتراحات القائلة إنّ فكرة يسوع المُقام من بين الأموات مأخوذة من الأساطير التاريخية عن آلهة يموتون ويقومون، فتُمنى بالفشل بدورها حين يُنظر إلى هذه القصص الأسطورية ضمن قرينتها الصحيحة كونها تعبّر عن دورة الطبيعة، حيث تموت المحاصيل في الخريف وتعود إلى الحياة في الربيع. «فإنْ قمنا بمقارنة هذا مع وصف يسوع المسيح في الأناجيل، نجد أننا نقف هنا أمام أمور تاريخية بحتة. وما من أوجه شبه بينها وبين ما يُفترض أنه قصص 'كان يا ما كان'»[٤٨]، هذا ما يقوله غريغوري بويد Gregory Boyd مؤلّف كتاب «فيلسوف حكيم يشكّك في نوايا الناس أم ابن الله؟» *Cynic Sage or Son of God?*.

ويقدّم اللاهوتي والمؤرّخ كارل براتين Carl Braaten الملاحظة التالية: «حتى أكثر المؤرّخين تشكيكًا يوافقون على أنّ قيامة يسوع من بين الأموات كانت حدثًا تاريخيًا حقيقيًا في نظر المسيحيين الأوّلين، وأساسًا لإيمانهم، وهذا الحدث ليس بفكرة خرافية من نسج خيال المؤمنين آنذاك.»[٤٩]

coptic-books.blogspot.com

نشوء الكنيسة: ملء فراغ في التاريخ

لقد لاحظ جي بي مورلاند J.P. Moreland أنّ تحويل يوم العبادة لدى يهود القرن الأول، مِن يوم السبت إلى يوم الأحد، كان يحتاج إلى حدث عظيم كقيامة يسوع من بين الأموات، بالإضافة أيضًا إلى تخلّيهم عن نظام تقديم الذبائح لمغفرة الخطايا والتزامهم قوانين موسى كوسيلة لإرضاء الله، واعتناقهم مبدأ الثالوث الأقدس. فالذين كانوا قد أبدؤوا الكنيسة الأولى، خاطروا بفعلهم كل هذا إذ عرّضوا أنفسهم ليصبحوا منبوذين اجتماعيًا، وبحسب اللاهوت اليهودي، تُطرح أرواحهم في جهنم.

«كيف يمكن لشيء مثل هذا أن يحدث؟» يسأل مورلاند. ثم يضيف: «إنّ حدث القيامة يقدّم التفسير العقلاني الوحيد.»[٥٠]

وهذا يصل بنا إلى الاقتباس الشهير من سي . إف. دي. مول C.F.D. Moule، وهو دارس في العهد الجديد من جامعة كامبردج: «إنْ كان ظهور الكنيسة، وهي ظاهرة غير قابلة للإنكار ويشهد لها العهد الجديد، ينشئ فجوة في التاريخ، فجوة بحجم وبشكل القيامة، فبماذا يقترح المؤرّخون العلمانيون أن نملأ هذه الفجوة؟»[٥١]

لنتأمّلْ في بعض من أكثر الأمثلة تطرّفًا، والذي يشهد على التغيير الجذري الذي طرأ على حياة أحدهم بعد حدث القيامة. يعقوب كان ميالاً إلى التشكيك في يسوع عندما كان لا يزال على قيد الحياة؛ كذلك شاول الطرسوسي كان مضطهدًا للمسيحيين. فما الذي كان بإمكانه، غير التقائهما المسيح المُقام من بين الأموات، أن يغيّر حياتهما ليصبحا من قادة الكنيسة الأولى، ومستعدَين أن يقدّما حياتهما فداء إيمانهما بأنّ يسوع هو ابن الله؟ أما بالنسبة إلى تلاميذ يسوع، فتحوّلوا من الانكماش خوفًا بعد موت يسوع، إلى التبشير فجأةً بجرأة وبسلطان بأنّ يسوع برهن أنه الله بنصرته على القبر.

«إن التغيير الجذري في سلوك التلاميذ بعد القيامة، هو خير دليل على القيامة»، يقول توماس سي أودن Thomas C. Oden من جامعة درو Drew University. ويضيف: «لا بدّ من وضع بعض الفرضيات لإيجاد تفسير عقلاني لتحوّل التلاميذ هذا، من أتباع ينوحون على المسيح المصلوب، إلى أولئك الذين قلبت عظاتهم عن القيامة كيان العالم رأسًا على عقب. لم يكن ليحدث هذا التغيير، حسب شهادة الكنيسة، من دون الرب المُقام من بين الأموات.»[٥٢]

عندما أتأمّل أنا شخصيًا في سؤال يسوع، «مَن تقولون إني أنا؟» (متّى ١٦: ١٥)، سرعان ما تتبادر إلى ذهني هذه الخطوط العريضة الخمسة من الأدلّة: مصداقية العهد الجديد، فهمُ يسوع وإدراكه الكامل لحقيقة ذاته، عجائبه، إتمامه للنبوّات، وقيامته من الموت. ما حدث واضح بالنسبة لي. يسوع هو شخصٌ حقيقيٌ من التاريخ، شخصٌ قد حفظت لنا الأناجيل بكل أمانة كلماته المبكّتة والمعزّية وأعماله المدهشة والرقيقة. وهو شخص لم يرَ نفسه من منظار سامٍ، إلهي ومسيّاني فحسب، ولكنه أيضًا حقّق جميع الصفات التي تجعل منَ الله أن يكون هو الله.

يسوع هو صانع معجزات، وشافٍ محبّ للعمي والعُرج، هو مَن جاءت أعماله الخارقة للطبيعة لتنذر بقدوم ملكوت الله. إنه المسيح الذي طال انتظاره، والذي قدّم الله من خلاله الخلاص والرجاء لشعبه وللعالم بأسره. وهو الرب المُقام من بين الأموات، مَن قبرُه الفارغ أعطى أتباعه الثقة الراسخة بأنه كما انتصر هو على القبر، سينتصرون هم أيضًا.

إن كنت تبحث عن الحقّ الروحي، فرجائي هو أن تتفحّص بإمعان هذه الأدلة بنفسك، ومن ثمّ أن تتحلّى بالشجاعة الكافية لتتّخذ موقفًا منها بقبولك يسوع كغافر لخطاياك وقائد لحياتك. وإن كنت مسيحيًا، فأنت أيضًا لديك مهمة في انتظارك: أن تُعلن ما هو حق في يسوع، وأن تدافع عنه، وأن تشارك الآخرين فيه، وأن تحافظ على هذا الحق، وأن تنقله

coptic-books.blogspot.com

إلى الأجيال القادمة. وكما صاغ جي بي. فيلبس J. B. Phillips كلمات ٢كورنثوس ٤: ٦ ضمن ترجمته الخاصة به، التي تُبرز بقوة مدى غنى معانيها: «الله، الذي كان أولاً قد أمر النور بأن يُشرق في الظلمة، قد غمر قلوبنا بنوره، حتى نتمكّن من إنارة الناس بمعرفة مجد الله، كما نراه في وجه المسيح.»

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. إن ادّعى أحدهم بأنه ابن الله، فما هي الأدلة التي تطلبها لتتمكّن من الوثوق بما يزعم به؟ برأيك، ما مدى فعالية معجزات يسوع، إتمامه للنبوّات، وقيامته من الأموات كدليل لإثبات هويته؟ أيّ من هذه الدلائل الثلاثة تجدها الأكثر إقناعًا؟ لماذا؟

٢. كان التلاميذ في موقع فريد يخوّلهم معرفة إن كان يسوع قد قام حقًا من الأموات أم لا، وكانوا على استعداد أن يموتوا من أجل اقتناعهم بأنه قام. هل تستطيع أن تفكّر في شخص ما في التاريخ كان مستعدًا أن يموت، بمحض إرادته واقتناعه، من أجل كذبة؟ كم يجب أن تتيقن من معتقد ما لتصبح على استعداد أن تقدم حياتك من أجل هذا المعتقد؟ إلى أي حدّ ستتحقّق من صحة أمر ما إن كنت ستبني حياتك عليه؟ ماذا يخبرك هذا عن مدى اقتناع التلاميذ بصحة شهادتهم؟

٣. أيّ سبب آخر، غير قيامة يسوع، بإمكانه تفسير حقيقة القبر الفارغ، والمشاهدات العديدة ليسوع الذي كان ميتًا، والتغيير الجذري في سلوك التلاميذ؟ كيف سيردّ على نظريتك الدارسون الذين تمّ اقتباسهم في هذا الفصل؟ إن كانت القيامة حدثًا حقيقيًا، فماذا يعني ذلك لك أنت شخصيًا؟

coptic-books.blogspot.com

الفصل السادس

أسئلة صعبة عن الكتاب المقدَّس

نورمان جايزلر Norman Geisler

coptic-books.blogspot.com

معظم أعضاء الكنائس (وحتى العديد من الرعاة) لم يتم تدريبهم بشكل رسمي ومنظّم على الدفاع عن الإيمان، وبالتالي ليس باستطاعتهم دائمًا الإجابة عن بعض الأسئلة الصعبة التي تُطرح عليهم. غير أنّ الكتاب المقدَّس يوصينا بالقول: «ليكن كلامكم كلّ حين بنعمة، مصلحًا بملح لتعلموا كيف تجاوبوا كل واحد» (كولوسي ٤: ٦). وقد حثّنا بطرس على أن نكون «مستعدّين دائمًا لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم» (١بطرس ٣: ١٥). هاتان الوصيّتان موجّهتان إلى جميع المؤمنين، وليس فقط إلى القادة المسيحيين. وقد أصرّ الرسول بولس على أن يكون قائد الكنيسة «ملازمًا للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم، لكي يكون قادرًا أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبّخ المناقضين» (تيطس ١: ٩).

في عصر يتزايد فيه التشكيك واللاأدرية والانتماءات الطائفية، تدعو الحاجة أكثر فأكثر إلى إيجاد أجوبة عن الأسئلة المطروحة. وهذا ينطبق ليس على الذين هم من خارج ونحن شهود لهم فحسب، بل أيضًا على إخوتنا وشركائنا في الإيمان الذين لديهم هم أيضًا أسئلة غير مجاب عنها تخصّ الإيمان. إنّ إحدى النواحي الأكثر عرضة للهجوم، هي إيماننا بالكتاب المقدَّس على أنه كلمة الله. في ما يلي مجموعة مختارة من الأسئلة التي غالبًا ما تُطرح في هذ المجال.

أسئلة عن أصل الكتاب المقدَّس

يؤمن الإنجيليون أنّ الكتاب المقدَّس أتى من الله عبر رجال الله الذين قاموا بتدوين كلمات الله بالذات.[1] أي إنّ الكتاب المقدَّس ذو مصدر

coptic-books.blogspot.com

إلهي على الرغم من الوسيلة البشرية التي استُخدمَت في إنتاجه. ولكن هذا الاعتقاد يثير مسائل كثيرة من وحي ثقافتنا. في ما يلي مجموعة مختارة من هذه الأسئلة.

مِن أين أتى الكتاب المقدَّس؟

يدّعي الكتاب المقدَّس بأنه جاء من عند الله. بولس، وفي معرض إشارته إلى العهد القديم بأكمله، كتب ما يلي: «كلّ الكتاب هو موحًى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ» (٢تيموثاوس٣: ١٦). وحتى العهد الجديد، يُطلَقُ عليه أيضًا اسم «الكتاب» أي الكتاب المقدَّس. فقد استشهد بولس بالأناجيل على أنها جزء من «الكتاب»، في ١تيموثاوس ٥: ١٨. وكذلك بطرس أشار إلى رسائل بولس على أنها جزء من «الكتاب» في ٢بطرس ٣: ١٥ و١٦. إذًا، كلا العهدين القديم والجديد بأكملهما، مع الأناجيل والرسائل مذكورٌ عنها أنها كتابات، كان قد «تنفّسها» الله. لقد استخدم يسوع عبارة مماثلة لدى إشارته إلى كلمة الله الخارجة من «فم الله»، عندما قال للمجرِّب: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (متّى ٤: ٤).

مَن كتب الكتاب المقدَّس؟

الكتاب المقدَّس لا يكتفي بالإدّعاء بأنه كلمة الله التي تَنفّسها الله فحسب، بل هو أيضًا ثمرة عمل كُتّابٍ منقادين بالروح القدس. يشير بطرس إلى أنبياء العهد القديم على أنهم رجال مسوقون من الروح القدس: «لأنه لم تأتِ نبوة قطّ بمشيئة إنسان بل تكلّم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بطرس ١: ٢١). ويضيف داود: «روح الرب تكلّم بي وكلمته على لساني» (٢صموئيل ٢٣: ٢). إذًا، فالكتاب المقدَّس يدّعي بأنه أتى من عند الله بواسطة رجال الله.

الكتاب المقدَّس، كتبه أنبياء الله. الله هو المصدر النهائي والمطلق للكتاب المقدَّس، ولكنّ رجال الله الذين يُطلق عليهم لقب الأنبياء، كانوا الأدوات التي استخدمها الله لتدوين كلماته. كان لأنبياء الكتاب المقدَّس دور فريد. لقد كانوا الناطقين بلسان الله المفوّضين من قبله للتفوّه بكلماته، من دون نقصان أو زيادة (أمثال ٣٠: ٦؛ رؤيا ٢٢: ١٨ و١٩). أخبر الله بلعام ما يلي: «تكلّمْ بالكلام الذي أخبرك به فقط» (عدد ٢٢: ٣٥). فأجاب بلعام: «ألعلّي الآن أستطيع أن أتكلم بشيء؟ الكلام الذي يضعه الله في فمي به أتكلّم» (ع ٣٨). وكما عبّر عن ذلك عاموس بقوله: «السيد الرب قد تكلّم فمَن لا يتنبّأ؟» (عاموس٣: ٨).

العهد القديم بأكمله، كتبه أنبياء. بعض كُتَّاب العهد القديم كانوا أنبياء بحُكم منصبهم. فموسى كان نبيًا (تثنية ١٨: ١٥). وقد كتب الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدَّس، والمسمّاة «كتاب موسى» (مرقس ١٢: ٢٦)، أو «موسى» (لوقا ٢٤: ٢٧). وأُطلِقَ على جميع الكتب التي أتت من بعده اسم «الأنبياء» (متّى ٥: ١٧؛ لوقا ٢٤: ٢٧). ويشير العهد الجديد إلى العهد القديم بأكمله على أنه «الأنبياء» (٢بطرس ١: ٢٠ و٢١؛ عبرانيين ١: ١). ثم ابتداءً من صموئيل (١صموئيل ١٠: ١٠-١٢)، تشكّلت مجموعة الأنبياء (١صموئيل ١٩: ٢٠). وقد كان يعُرَف بعض الرجال كإيليا (١ملوك ١٨: ٣٦؛ ملاخي ٤: ٥)، وأليشع (٢ملوك ٩: ١) بأنهم أنبياء.

أما البعض الآخر من كُتَّاب العهد القديم فكانوا أنبياء بحُكم موهبتهم. أي إنهم لم ينتموا إلى المجموعة السابقة من الأنبياء، ومع ذلك فإنّ الله تكلّم معهم وأعطاهم رسالة ليوصلوها إلى الشعب (عاموس ٧: ١٤ و١٥). لقد كان دانيال أميرًا (دانيال ١: ٣-٦)، غير أنه أصبح نبيًا من خلال دعوة الله إياه والهبة المعطاة له. وقد أطلق عليه يسوع لقب «دانيال النبي» (متّى ٢٤: ١٥). وداود بدوره كان راعيًا للخراف، ولكنّ الله تكلّم معه. فكتب داود: «روح الرب تكلّم بي وكلمته على لساني» (٢صموئيل ٢٣: ٢). وحتى سليمان، كاتب أسفار الأمثال

والجامعة ونشيد الأنشاد، كان قد أخذ إعلانات من عند الله كما هي حال النبي (١ملوك ٣: ٥). ويندرج باقي كُتَّاب العهد القديم ضمن هذه الفئة، بما أنّ كتاباتهم تتبع القسم الذي يُطلق عليه اسم «الأنبياء» (متّى ٥: ١٧؛ لوقا ٢٤: ٢٧)، وأيضًا حيث إنّ العهد القديم بأكمله، يُعرف بـ «الأنبياء» (عبرانيين ١: ١؛ ٢بطرس ١: ٢٠و٢١).

وكذلك، فإنّ جميع كُتَّاب العهد الجديد هم «رسل وأنبياء»، ذلك لأنّ الكنيسة كانت قد بُنيت على هذا الأساس (أفسس ٢: ٢٠). وهم أيضًا ادّعوا بأنهم قد تسلّموا رسالتهم من الله. فبولس، وهو كاتب ما يقارب نصف أسفار العهد الجديد، اعتُبرت كتاباته من صنف الأسفار المقدَّسة الموحى بها، تمامًا كما هي حال أسفار العهد القديم (٢بطرس ٣: ١٥و١٦). وقد كان متّى ويوحنا من الذين وعدهم يسوع بأنّ الروح سيُرشدهم إلى «جميع الحق» ويذكّرهم بكل ما علّمهم إياه (يوحنا ١٦: ١٣؛ ١٤: ٢٦). بطرس، وهو واحد من أبرز الرسل، كتب سفرَين لكونه رسولاً وشاهد عيانٍ لحياة يسوع (انظر ١بطرس ١: ١؛ ٢بطرس ١: ١، ١٦). أما كُتَّاب أسفار العهد الجديد الآخرون، فكانوا زملاء الرسل وأنبياءَ بحكم موهبتهم، حيث إنّ الله تكلّم من خلال خدّام يسوع هؤلاء أيضًا (انظر يعقوب ١: ١؛ يهوذا ١ – ٣).

هل كان كُتَّاب الكتاب المقدّس مجرّد موظفي سكرتاريا يعملون لحساب الروح القدس؟

لم يكن كُتَّاب الكتاب المقدَّس مجرّد أشخاص يتلقّون الإملاءات من الله ليكتبوها. فهم ليسوا موظفي سكرتاريا أو آلات أوتوماتيكية، بل كانوا أشخاصًا أمناء في إيصال رسالة الله كاملة من دون أن يضيفوا عليها شيئًا أو ينقصوا منها شيئًا (أمثال ٣٠: ٦؛ رؤيا ٢٢: ١٨ و١٩). استخدم الله الميزات الشخصية التي ينفرد بها كلّ واحد من الكتّاب، مع مفرداته وأسلوبه الأدبي ورغباته الواعية، ليُنتِجَ من خلالهم كلمته.

وبالتالي فإنّ كلمات الكتاب المقدَّس، ومع كونها كلام الله بالكامل، فهي أيضًا كلمات بشرية مصوغة في لغات بشرية معيّنة (العبرية واليونانية والآرامية) ومُعَبَّر عنها بأساليب أدبية بشرية. هذه الأساليب تشمل أسلوب السرد (صموئيل)، والشعر (المزامير) والأمثال (الأناجيل)، بالإضافة إلى أسلوب المجاز والاستعارة (يوحنا ١٥: ١–٨)، واعتماد الرموز (غلاطية ٤: ٢١ – ٥: ١) وحتى المبالغة (المزمور ٦: ٦؛ لوقا ١٤: ٢٦). غير أنّ النتاج الأخير مطابق تمامًا لما عيّنه الله وأشرف عليه بعنايته الإلهية: كلمة الله ذات السلطان الإلهي والمعصومة عن الخطإ. كلمة الله «لا تَنقض» (يوحنا ١٠: ٣٥)، كما أنها لا «تزول» (متّى ٥: ١٨). إنها «الحق» (يوحنا ١٧: ١٧) الصادر عن الله الذي «لا يمكن... أن يكذب» (عبرانيين ٦: ١٨). وباختصار، إنها كلمة غير مخطِئة في أي شيء تُقرّه، ليس في الأمور الروحية فحسب، بل في الأمور العلمية (انظر متّى ١٩: ١٢؛ يوحنا ٣: ١٢) والأمور التاريخية أيضًا (انظر متّى ١٢: ٤٠–٤٢؛ ٢٤: ٣٧).[٢] إذًا، كُتَّاب الكتاب المقدَّس كانوا بشرًا اختارهم الله ليكونوا الناطقين باسمه من خلال لغاتهم البشرية وأساليبهم الأدبية.[٣]

مَن كان النبي خلال أزمنة الكتاب المقدَّس؟

كان كُتَّاب الكتاب المقدَّس أنبياء ورسلاً لله. العديد من أوصاف الأنبياء، تزوّدنا بمعلومات عن دورهم في إنتاج الكتاب المقدَّس. وبعض هذه الأدوار، نُدرجها هنا:

- رجل الله (١ملوك ١٢: ٢٢)، أي إنّ الله كان قد اختاره.
- عبد الرب (١ملوك ١٤: ١٨)، أي إنه كان أمينًا لله.
- رسول الرب (إشعياء ٤٢: ١٩)، أي إن الله هو الذي أرسله.
- الرائي أو الناظر (إشعياء ٣٠: ١٠)، أي إنّ تبصراته وإعلاناته مصدرها الله.

- إنسان الروح (هوشع ٩: ٧؛ ميخا ٣: ٨)، أي إنه كان يتكلّم بروح الله.
- الرقيب (حزقيال ٣: ١٧)، أي اليقظ والمتنبّه في سبيل الله.
- النبي (وهو التعبير الأكثر استخدامًا)، أي الناطق بلسان الله.

وباختصار، النبي هو الناطق بلسان الله. وهو شخص يختاره الله ويُعِدّه ويستخدمه كأداة لينقل كلمته إلى الناس.

هل كان بإمكان الأنبياء أن يضيفوا آراءهم الخاصة إلى رسالة الله؟

لا، فقد كان محظورًا عليهم أن يفعلوا ذلك. قال الله: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تُنقصوا منه» (تثنية ٤: ٢). وقد أُمرَ إرميا على الشكل التالي: «هكذا قال الرب: قِف في دار بيت الرب وتكلّم... بكلّ الكلام الذي أوصيتك أن تتكلّم به إليهم، لا تنقّص كلمة» (إرميا ٢٦: ٢).

كانت طبيعة عمل نبيّ الكتاب المقدَّس، تَضْمَنُ عدم إضافة أفكاره الخاصة على رسالة الله، لأنه الشخص الذي يتكلّم «بجميع الكلام» الذي يتكلّم به الرب (خروج ٤: ٣٠). قال الله لموسى عن نبيّ: «وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكل ما أوصيه به» (تثنية ١٨: ١٨). وكتب عاموس أيضًا «السيد الرب قد تكلّم، فمَن لا يتنبّأ؟» (عاموس ٣: ٨) باختصار، النبي شخص يتكلّم بما كلّمه الله به، من دون زيادة أو نقصان.

طبيعة النبوّة بحدّ ذاتها، تتطلّب من النبي أن تأتي كتاباته مطابقة تمامًا لما يريد الله أن يبلّغه للجنس البشري، وبما أنّ الكتاب المقدَّس مقدّم لنا على أنه كتابة نبوية من بدايته إلى نهايته (متّى ٥: ١٧ و١٨؛ ٢بطرس ١: ٢٠ و٢١؛ رؤيا ٢٢: ٩)، فهذا يعني أنّ ما دوّنه الأنبياء يُعتبر موحًى به من الله. وهذا بالذات ما أكّده النبي زكريا عندما كتب: «بل جعلوا قلبهم ماسًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود

بروحه عن يد الأنبياء الأوّلين فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود» (زكريا ٧: ١٢).

كيف كان الأنبياء يتلقّون رسائلهم من الله؟

لقد كان الأنبياء يتلقّون الرسائل من عند الله بطرائق عدة. بعضهم تسلّمها من طريق الأحلام (تكوين ٣٧: ١-١١)، وآخرون في رؤى (دانيال ٧)، وآخرون حتى من خلال صوت مسموع (١صموئيل ٣)، أو صوت داخلي (هوشع ١؛ يوئيل ١). بعضهم حصل على إعلانات من ملائكة (تكوين ١٩: ١-٢٩)، وبعضهم الآخر من طريق المعجزات (خروج ٣)، وآخرون بواسطة إلقاء القرعة (أمثال ١٦: ٣٣). كان رئيس الكهنة يستخدم بعض المجوهرات التي عُرفت بالأوريم والتمّيم (خروج ٢٨: ٣٠). وقد كلّم الله آخرين من خلال تأمّلهم في ما تُعلنه الطبيعة عنه (المزمور ٨؛ ١٩: ١ – ٦). مهما كانت الوسيلة، وكما صرّح كاتب العبرانيين، يبقى أنّ «الله... كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة» (عبرانيين ١: ١).

هل كان مسموحًا للأنبياء أن يغيّروا الكلام الذي أعطاه الله؟

كان من المحرّم على كُتّاب الكتاب المقدَّس أن يتلاعبوا في النص المقدّس. أنزل الله عقابه الشديد بكلّ مَن حاول تغيير كلماته. فبعد أن شقَّ الملك يهوياقيم كلام الرب إلى أجزاء قبل حرقه، جاء الأمر لإرميا: «عُدْ فخذ لنفسك درجًا آخر واكتب فيه كلّ الكلام الأول الذي كان في الدرج الأول» (إرميا ٣٦: ٢٨). فلم يكن لأحد سلطان أن يضيف إلى ما كان قد نطق به الله أو يحذف منه. كَتَبَ أجور في هذا السياق: «كل كلمة من الله نقية... لا تزدْ على كلماته لئلا يوبّخك فتُكذَّب» (أمثال ٣٠: ٥ و٦). كذلك، كتب يوحنا عن كلمات نبوءته ما يلي: «إنْ كان

أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدَّسة» (رؤيا ٢٢: ١٨ و١٩). هذا لا يعني أنه لم يعد باستطاعتهم تلقّي نبوّات جديدة، ولكنه يعني شلّ قدرتهم على العبث في النبوّات السابقة.

أسئلة عن طبيعة الكتاب المقدَّس

بما أنّ الكتاب المقدَّس يدّعي بأنّ مصدره الله، فهو بالتالي يجزم بأنّ له سلطانًا إلهيًا. فالكتاب يدّعي بأنه كلمة الله بالذات (يوحنا ١٠: ٣٤ و٣٥). ولكن، بما أنّ الكتاب المقدَّس كتبه بشر أيضًا، فما المقصود بقولنا إنه «كلمة الله»؟

ماذا تعني بقولك «الكتاب المقدَّس هو كلمة الله»؟

بما أنّ الله هو مصدر الكتاب المقدَّس، فمن الملائم أن نسمّي الكتاب كلمته. لكن، بما أنّ كُتّابًا بشرًا قاموا بصياغة كل كلمة في الكتاب المقدَّس، ففي هذه الحالة يصحّ القولُ إنه كلامهم هم أيضًا. إذًا، فإدّعاء الكتاب المقدَّس بأنه «موحًى به من الله» (٢تيموثاوس ٣: ١٦) قد نفهمه على الشكل التالي: «ما يقوله الكتاب المقدَّس هو ما يقوله الله.» وهذا جليّ في العهد القديم حيث غالبًا ما يدّعي مقطعٌ ما، أنّ الله قد قاله. وبعد ذلك حين يُصار إلى اقتباس المقطع ذاته في العهد الجديد يُذكر كيف أنّ «الكتاب» هو الذي صرّح به. وأحيانًا، يحصل ما هو عكس ذلك. أي العهد القديم يصرّح بأمر ما، أنّ الكتاب المقدَّس دوّنه فيما يشير العهد الجديد إليه على أنه من أقوال الله. لنتأمّل الآن في مضمون المقارنتين التاليتين:

ما يقوله الله	ما يقوله الكتاب المقدَّس
تكوين ١٢: ٣	غلاطية ٣: ٨
خروج ٩: ١٣، ١٦	رومية ٩: ١٧

يتكلّم الله في سفر التكوين قائلاً: «وقال الرب لأبرام ’اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك... وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض‘» (تكوين ١٢: ١-٣). ولكن حين يُقتبس هذا المقطع في غلاطية ٣: ٨، نقرأ: «والكتاب... سبق فبشّر ابرهيم أنّ فيك تتبارك جميع الأمم.»

وكذلك الأمر في سفر الخروج ٩: ١٣، ١٦: «ثم قال الرب لموسى، بَكّر في الصباح وقِف أمام فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين: أطلقْ شعبي ليعبدوني... ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوّتي، ولكي يُخبَر باسمي في كلّ الأرض.» غير أنّ العهد الجديد يقتبس هذا المقطع بالطريقة التالية: «لأنه يقول الكتاب لفرعون: ’إني لهذا بعينه أقمتك لكي أظهر فيك قوّتي، ولكي يُنادى باسمي في كل الأرض‘ (رومية ٩: ١٧).

ما يقوله الكتاب المقدَّس	ما يقوله الله
تكوين ٢: ٢٤	متّى ١٩: ٤ و٥
المزمور ٢: ١	أعمال الرسل ٤: ٢٤ و٢٥
إشعياء ٥٥: ٣	أعمال الرسل ١٣: ٣٤
المزمور ١٦: ١٠	أعمال الرسل ١٣: ٣٥
المزمور ٢: ٧	عبرانيين ١: ٥

نقرأ في سفر التكوين ما يلي: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدًا واحدًا» (تكوين ٢: ٢٤). ولكن عندما يقتبس يسوع

 coptic-books.blogspot.com

هذا المقطع عينه في العهد الجديد، يقول: «أما قرأتم أنّ الذي خلق من البدء (الله)... قال، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا؟» (متّى ١٩: ٤ و٥).

هذا الأمر عينه ينطبق على المزمور ٢: ١ في العهد القديم عندما كتب داود: «لماذا ارتجّت الأمم وتفكّر الشعوب بالباطل؟» ولكن عند اقتباس المقطع ذاته في العهد الجديد، نقرأ: «فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتًا إلى الله وقالوا أيها السيد... القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجّت الأمم وتفكّر الشعوب بالباطل؟» (أعمال الرسل ٤: ٢٤ و٢٥).

أدلى اللاهوتي الشهير بي. بي. وارفيلد B. B. Warfield بالملاحظة التالية: «في مقاطع كهذه، تُرى الأسفار المقدَّسة على أنّ الله هو الذي نطق بها، وفي مقاطع أخرى، يوصف الله وكأنه هو الأسفار المقدَّسة... وإذا ما أخذنا هاتين الحالتين معًا، نجد تجانسًا عظيمًا بين الله والكتاب المقدَّس، ما ينفي إمكانية إجراء أيّ تمييز بينهما من حيث سلطان كلّ واحد منهما.»[٤]

كيف يَدّعي الكتاب المقدَّس أيضًا بأنه كلمة الله؟

بذكره عبارات كالتالية: «يقول الرب» (مثلاً، إشعياء ١: ١١، ١٨)، «يُعلن (يقول) الرب» (مثلاً، إرميا ٢: ٣، ٩)، «قال الله» (مثلاً، تكوين ١: ٣، ٦)، «الكلمة التي صارت إلى إرميا من قبل الرب» (إرميا ٣٤: ١) «وكان إليّ كلام الرب قائلاً» (حزقيال ٣٠: ١). نجد عبارات كهذه تتكرّر مئات المرات على صفحات الكتاب المقدَّس، وهي تُبيّن، ومن دون شك، أنّ الكاتب يجزم لنا أنّ ما يكتبه هو كلام الله بعينه. كما أنّ سفر اللاويين وحده يذكر ما يقارب الست والستين مرة عبارات مثل: «قال الرب لموسى» (٤: ١؛ ٥: ١٤؛ ٦: ١، ٨، ١٩؛ ٧: ٢٢). ويدوّن سفر حزقيال عددًا لا حصر له من العبارات من صنف «رأيت رؤى» أو «كان إليّ كلام الرب قائلاً.»

وهذه العبارة الأخيرة، تكرّرت خمس مرات ضمن ثمانية وعشرين عددًا من حزقيال ١٢: ١، ٨، ١٧، ٢١، ٢٦). وفي هذا الفصل عينه، تتكرّر أربع مرات العبارة: «هكذا قال السيد الرب» (١٠، ١٩، ٢٣، ٢٨). كما أنّ العدد ٢٨، يمزج هاتين العبارتين معًا: «هكذا قال السيد الرب»، و«يقول السيد الرب» (راجع أيضًا ٢٠: ٣). ويعتمد أنبياء آخرون عبارات مماثلة لهذه مثل إشعياء (١: ١، ١١، ١٨، ٢٤؛ ٢: ١)، وإرميا (١: ٢، ١٣؛ ٢: ١، ٣، ٥). فالانطباع العام هو أنّ عبارات كهذه لا تترك مجالاً للشك في أنّ مصدر ما تنبّأ به الأنبياء هو الله نفسه.

هل فعلاً يدّعي الكتاب المقدَّس صراحةً بأنه «كلمة الله»؟

نعم، فالكتاب المقدَّس يصرّح في الكثير من الأحيان بأنه «كلمة الله» معتمدًا في ذلك هذه العبارة حرفيًا أو ما يعادلها. قال يسوع للقادة اليهود المعاصرين له: «لقد أبطلتم وصية الله (كلام الله) بسبب تقليدكم» (متّى ١٥: ٦). كذلك يتكلّم بولس الرسول عن الكتاب المقدَّس على أنه «أقوال الله» (رومية ٣: ٢). ويُعلن بطرس الحق التالي: «مولودين ثانيةً لا من زرع يفنى، بل ممّا لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بطرس ١: ٢٣). ويؤكّد كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «أنّ كلمة الله حيّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميّزة أفكار القلب ونيّاته» (عبرانيين ٤: ١٢). وقد استخدم يسوع «كلمة الله» كعبارة معادلة للناموس (توراة)، والكتاب، أي الأسفار المقدَّسة، عندما صرّح بالقول «أليس مكتوبًا في ناموسكم... الذين صارت إليهم كلمة الله. ولا يمكن أن يُنقض المكتوب...» (يوحنا ١٠: ٣٤ و٣٥).

coptic-books.blogspot.com

هل يدّعي الكتاب المقدَّس بأنه ذو سلطة إلهية؟

يستخدم الكتاب المقدَّس العديد من الكلمات والعبارات الأخرى، التي من خلالها يثبّت سلطانه الإلهي. قال يسوع إنّ الكتاب المقدَّس لا يمكن إفناؤه: «فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس» (متّى ٥: ١٨). فهو كتاب معصوم عن الخطإ (كامل في سلطانه ومصداقيته) و«غير قابل للنقض» (انظر يوحنا ١٠: ٣٥)، له سلطانٌ حاسمٌ ونهائي (متّى ٤: ٤، ٧، ١٠). وهو كافٍ للإيمان النظري وللحياة العملية. تكلّم يسوع عن كفاية الأسفار الكتابية اليهودية قائلاً: «إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحد من الأموات يُصدّقون» (لوقا ١٦: ٣١)، وأضاف بولس الرسول: «كلّ الكتاب هو موحًى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهِّبًا لكل عمل صالح» (٢تيموثاوس ٣: ١٦ و١٧).

إلى أي حدّ يمتدّ سلطانه الإلهي هذا؟

تمتدّ السلطة الإلهية للكتاب المقدَّس لتشمل كلّ ما هو مكتوب (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، حتى كلماته ومفرداته بالتحديد (متّى ٢٢: ٤٣؛ ١كورنثوس ٢: ١٣)، بما في ذلك حتى أصغر الأجزاء من الكلمات (متّى ٥: ١٧ و١٨)، مع صيغة الأفعال أيضًا (متّى ٢٢: ٣٢). ومع أنّ الكتاب المقدَّس لم يُمليه الله شفويًا على الإنسان، غير أنّ النتاج جاء في غاية الكمال كما لو كان الله قد أملاه شفويًا. لذا نجد كيف أنّ كُتَّاب الكتاب المقدَّس يدّعون بأنّ الله هو مصدر كلمات هذا الكتاب، بما أنه هو هو أشرف بطريقة خارقة ومعجزية على هذه العملية لدى استخدامهم مفرداتهم وأساليبهم الشخصية في الكتابة، لتدوين الرسالة الإلهية (٢بطرس ١: ٢٠ و٢١).

ماذا تعني بقولك إن الكتاب المقدَّس موحًى به؟

تعلن رسالة تيموثاوس الثانية ٣: ١٦ أنّ الكتاب المقدَّس «هو موحًى به من الله»، أي إنّ الله قد تنفّسه: «كلّ الكتاب هو موحًى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهّبًا لكلّ عمل صالح.» قال يسوع أيضًا: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلّ كلمة تخرج من فم الله» (متّى ٤: ٤، الخط المائل آرتآه الكاتب بقصد التركيز). إن جمعنا هذه الحقيقة مع ما يورده بطرس في رسالته الثانية ١: ٢٠ و٢١ حيث التأكيد على أنّ الكتاب المقدَّس قد أُعطِيَ لأناس «مسوقين من الروح القدس»، نرى أنّ الوحي هو العملية التي من خلالها قام كُتَّاب مسوقون بالروح القدس بإنتاج كتاباتٍ كان قد تنفسَّها الله.

هل ألفاظ الكتاب المقدَّس بالذات موحًى بها من الله، أم الأفكار فقط؟

العديد من مقاطع الكتاب المقدَّس تُظهر، وبكل وضوح، أنّ موضع الوحي هو جليّ في الكلمة الإلهية المكتوبة نفسها، الأسفار المقدَّسة (grapha باليونانية). فالأمر لا يتعلّق بالفكرة ولا حتى بالكاتب، بل بالحريّ في كتاباته. لنلاحظ الإشارة الصريحة إلى «الكتاب» الموحى به (٢تيموثاوس ٣: ١٦؛ ٢بطرس ١: ٢٠ و٢١)، وإلى « أقوال... يعلّمها الروح القدس» (١كورنثوس ٢: ١٣)، وإلى «شريعة الرب» (٢أخبار الأيام ٣٤: ١٤) وإلى « كلمته (الله)» (٢صموئيل ٢٣: ٢)، وإلى «كلامي» [والضمير هنا يعود إلى الله] (إشعياء ٥٩: ٢١)، «والكلام الذي أرسله رب الجنود» (زكريا ٧: ١٢).

وعندما يشير العهد الجديد إلى العهد القديم على أنه كلمة الله ذات السلطان، غالبًا ما يستخدم العبارة «مكتوب» (وقد تكرّرت أكثر من

تسعين مرة)، (مثلاً متّى ٤: ٤، ٧، ١٠). ويصف يسوع الكلمة المكتوبة هذه على أنها هي التي «تخرج من فم الله» (متّى ٤: ٤). فكلمات الله حرفيًا هي في غاية الأهمية لدرجة أنه قيل لإرميا: «هكذا قال الرب: قف في دار بيت الرب، وتكلّم عن كل مدن يهوذا القادمة للسجود في بيت الرب بكلّ الكلام الذي أوصيتك أن تتكلّم به إليهم. لا تُنقصْ كلمة» (إرميا ٢٦: ٢). إذًا، لم تكن لدى الكاتب الحرية بأن يصوغ كلمة الله على هواه معتمدًا في ذلك تعابيره الخاصة، بل كان عليه أن ينطق بكلمات الله عينها. فاختيار الكلمات كان من صلاحية الله وحده. يدوّن سفر الخروج ٢٤: ٤ كيف أنّ «موسى كتب جميع أقوال الرب.» وفي سفر التثنية، يكتب موسى: «أقيم (أي يقيم الله) لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به» (تثنية ١٨: ١٨).

وفي بعض الأحيان ارتأى الله التركيز حتى على صيغة الأفعال. قال يسوع: «وأمّا من جهة قيامة الأموات، أفما قرأتم ما قيل لكم من قِبَل الله القائل، أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب [وليس أنا كنت إله إبراهيم...] ليس الله إله أموات، بل إله أحياء» (متّى ٢٢: ٣١ و٣٢). وقد بنى بولس الرسول حجّته في غلاطية ٣: ١٦، على أنّ لفظة معيّنة أوردها الكتاب في المفرد، وليس في صيغة الجمع: «لا يقول في الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك الذي هو المسيح.»

كما أنّ حرفًا واحدًا كحرف السين مثلاً، يمكنه أن يُحدثَ فرقًا شاسعًا. وقد ذهب يسوع إلى بُعدٍ أعمق بعد في تشديده على أن أجزاء الأحرف هي أيضًا موحًى بها. ففي اللغة العربية مثلاً، نعرف جيدًا كيف أنّ الفرق بين حروف الحاء والجيم والخاء، يتوقّف على نقطة واحدة، سواء حذفناها أو وضعناها في هذا المكان أو فوق أو تحت ذاك الحرف... ولذلك قال يسوع: «فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكلّ» (متّى ٥: ١٨).

هل يدّعي الكتاب المقدّس الوحي في جميع مواضيعه، أم هل يقتصر ذلك على المسائل الروحية فقط؟

يضمن الوحي حقًا مصداقية كلّ ما يعلّمه الكتاب المقدّس أو يتضمّنه أو يدلّ عليه (روحيًا كان أم زمنيًا). وقد أكّد بولس أنّ كلّ الكتاب، وليس جزءًا منه، هو موحًى به من الله (٢تيموثاوس ٣: ١٦). كذلك صرّح بطرس بأنّ ما من نبوّة أتت من إرادة بشر، بل من عند الله (٢بطرس ١: ٢٠ و٢١). قال يسوع لتلاميذه: «وأمّا المعزي الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلّمكم كل شيء، ويذكّركم بكلّ ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦). ويضيف في إطار هذا الحديث ذاته: «وأمّا متّى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يوحنا ١٦: ١٣).

الكنيسة وأعضاؤها يجب أن يكونوا «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أفسس ٢: ٢٠). ونقرأ عن المؤمنين في الكنيسة الأولى أنهم «كانوا يواظبون على تعليم الرسل» (أعمال ٢: ٤٢)، تلك التعاليم المدوّنة لنا على صفحات العهد الجديد. اعتُبرت هذه التعاليم من صنف الأسفار المقدَّسة، وتمامًا كأسفار العهد القديم (١تيموثاوس ٥: ١٨، حيث اقتُبسَ العهدان الجديد والقديم معًا؛ ٢بطرس ٣: ١٥ و١٦).

وحيُ الله إذًا يمتدّ ليشمل كل أجزاء الكتاب المقدَّس. ويتضمّن كلّ ما أكدّه الله (أو نفاه) عن أيّ موضوع ورد في الكتاب المقدّس. لا يشمل هذا فقط ما يريد أن يعلّمنا إياه الكتاب المقدّس صراحةً، بل أيضًا ضِمنًا. وهو لا ينطبق على الأمور الروحية فحسب، بل أيضًا على سائر التصريحات الأخرى، ذلك لأنّ الله العالِم بكل شيء لا يمكنه أن يكون على خطإٍ في أي شيء يعلّمه. فحقًا، أكّد يسوع صحة مسائل تاريخية وعلمية، بما في ذلك خلق آدم وحواء (متّى ١٩: ٤ و٥)، والفيضان الذي حصل في أيام نوح (متّى ٢٤: ٣٧-٣٩)، وحتى حادثة ابتلاع الحوت ليونان

coptic-books.blogspot.com

(متّى ١٢: ٤٠– ٤٢). فقد قال يسوع: «إنْ كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إنْ قلت لكم السماويات» (يوحنا ٣: ١٢).

كيف يُسيء بعض الأشخاص فهمَ ما هو المقصود بالوحي الإلهي للكتاب المقدَّس؟

الكتاب المقدَّس موحًى به من الله في كلّ ما يعلّمه. لكن، يبقى هناك عدد من الإلتباسات المألوفة:

- يترتّب على كلّ جزء من أجزاء مَثَلٍ ما، أن ينقل حقيقةً ما، بدل أن يكون مساعدًا على توضيح فكرة المثل (انظر لوقا ١٨: ٢).
- كلّ ما يدوّنه الكتاب المقدَّس هو حق، وليس مجرّد تعليم صادر عن جهة معيّنة أو مشار إليها ضمنًا (تكوين ٣: ٤).
- لم يلجأ الكتاب إلى استخدام أيّ نوع من المبالغات (المزمور ٦: ٦؛ لوقا ١٤: ٢٦).
- كل عبارة عن الله أو الخليقة يترتّب علينا أن نفهمها حرفيًا (أيوب ٣٨: ٧؛ عبرانيين ٤: ١٣).
- كل التأكيدات المتعلّقة بوقائع هي دقيقة من الزاوية التقنية بالمعايير الحديثة، بدلاً من كونها دقيقة بالمعايير القديمة (٢أخبار الأيام ٤: ٢).
- كلّ التصريحات المتعلِّقة بالكون ينبغي أن تكون من منطلق فلكي حديث، بدلاً من كونها وجهة نظر مألوفة مبنية على المراقبة (يشوع ١٠: ١٢).
- جميع الاقتباسات الكتابية، يجب أن تكون حرفية، بدلاً من كونها مخلصة للمعنى (المزمور ٢: ١؛ أعمال الرسل ٤: ٢٥).

- اقتباسات الكتاب المقدَّس، يجب أن يكون لها التطبيق نفسه كما في الأصل (هوشع ١١: ١؛ ومتّى ٢: ١٥)، بدلاً من الاكتفاء بمراعاة التفسير نفسه (المعنى).
- الحقيقة عينها، لا يمكن أن تُقال إلا بطريقةٍ واحدة، بدلاً من إمكانية قولها بطرق عدّة، كما هي الحال في الأناجيل.
- كلّ ما يؤمن به الكاتب شخصيًا هو حق، بدلاً من اعتبار أنّ ما يؤكّده فعلاً في الكتاب المقدَّس هو الحق (متّى ١٥: ٢٦).
- الحق معلن أو مطروح بإسهاب في الكتاب المقدَّس عوضًا عن عرضه بالطريقة المناسبة (١كورنثوس ١٣: ١٢).
- الإقتباسات المستخدمة تعني أنّ المصدر المأخوذة منه هو حق بأكمله، فلا يعود الحق محصورًا فقط بالقسم المُقتَبس وحده (تيطس ١: ١٢).
- إنّ بنية لغوية محدَّدة، ستكون هي المألوفة دائمًا، بدلاً من اعتماد تلك البنية المناسبة والملائمة لتوصيل الحق. [٥]

كيف لنا أن نتأكّد من أنّ هذه المسائل التي يُساء فهمها، لا تشكّل جزءًا ممّا يشمله الوحي؟

ينبغي فهمُ ما يقوله الكتاب المقدَّس في ضوء ما يُظهره الكتاب المقدَّس. كذلك ينبغي فهمُ ما يعلّمه في ضوء الممارسات المذكورة على صفحاته. عقائد الكتاب المقدَّس يجب أن تُفهم في ضوء بعض المعلومات والمعطيات الهامة، التي تتعلّق به. كل الإلتباسات التي ذُكرت ضمن السؤال السابق هي جزء من هذه المعطيات الكتابية. مثلاً، يستخدم الكتاب المقدَّس أعدادًا تامة (المقرّبة لتُصبح تامة). لذلك، عندما يدّعي الكتاب المقدَّس بأنه الحق، هذا لا ينفي إمكانية استخدام الأعداد التامة (٢أخبار

coptic-books.blogspot.com

الأيام ٤). هذا الأمر ينطبق أيضًا على المبالغات، والصور الكلامية، ولغة الملاحظة، والأنماط الأدبية (كالشعر، والأمثال وما شابه). وباختصار، كلّ ما يؤكّده الكتاب المقدَّس هو حقّ، ولكن ما نقصده بالحق، يجب فهمه في ضوء الظواهر والمعطيات المتعلّقة به.

أليس الكتاب المقدَّس كتابًا بشريًا أيضًا؟

نعم، هو كذلك. ففي الحقيقة، هو مئة في المئة بشري. لقد كُتب الكتاب المقدَّس على يد كُتّاب بشر (بمن فيهم موسى، يشوع، صموئيل، داود، إشعياء، إرميا، حزقيال، إلى جانب عدد من الأنبياء الآخرين أمثال عزرا، نحميا، متّى، مرقس، لوقا، يوحنا، بولس، بطرس وغيرهم وغيرهم).

لقد كُتب الكتاب المقدَّس بلغات بشرية (العبرية للعهد القديم واليونانية للعهد الجديد). والكتاب المقدَّس مُعَبّر عنه بأساليب أدبية بشرية (بما فيها شعر إشعياء الرفيع الشأن، ومراثي إرميا العابقة بالحزن والنوح، أمثال يسوع في الأناجيل وعرض بولس التعليمي.

يستخدم الكتاب المقدَّس أساليبَ أدبيةً بشرية عديدة، بما فيها الأسلوب السردي في أسفار صموئيل والملوك، والأسلوب الشعري في أيوب والمزامير. وعندنا أيضًا أسلوب الأمثال في الأناجيل الإزائية وقليل من التشبيه الرمزي في غلاطية ٤، واستخدام للرموز في رؤيا يوحنا، وللاستعارات والتشابيه في رسالة يعقوب، التهكّم (متّى ١٩: ٢٤)، والمبالغة (المزمور ٦: ٦؛ لوقا ١٤: ٢٦). إذًا، الكتاب المقدَّس، وعلى غرار الكتابات البشرية الأخرى، يعتمد أساليب أدبية كثيرة لينقل لنا قصده.

يعكس الكتاب المقدَّس وجهات نظر بشرية مختلفة. وهذه تتضمّن منظور راعي خراف (داود في المزمور ٢٣)، ووجهة نظر نبوية في أسفار الملوك، ومنظور كهنوتي في سفرَي الأخبار. والاهتمام بالبُعد التاريخي

في إنجيل لوقا وسفر الأعمال (انظر لوقا ١: ١-٤؛ أعمال ١: ١)، وهموم بولس الرعوية (في ١ و٢تيموثاوس، وفي تيطس). وخلافًا لكتاب حديث في علم الفلك، يتكلّم كُتّاب الكتاب المقدَّس من منطلق المُراقب، عندما يكتبون عن شروق الشمس وغروبها (يشوع ١: ١٥؛ وأيضًا ١٠: ١٣).

يعكس الكتاب المقدَّس أنماطًا مختلفة من الفكر الإنساني. وهي تتضمّن تقريبًا جميع أبعاد أنماط الفكر البشري المحدود، من الأطروحة المنطقية المحبوكة بإحكام كالتي في رومية، إلى الجدليات في غلاطية، إلى التعبير عن هفوات على صعيد الذاكرة أو سهوات في ١كورنثوس ١: ١٤-١٦.

يكشف الكتاب المقدَّس عن مشاعر بشرية مختلفة. يعبّر الرسول بولس عن مشاعر أسى شديدة على إسرائيل (رومية ٩: ٢)، وعن مشاعر غضب شديد على الخطإ الفادح الذي وقع فيه أهل غلاطية (غلاطية ٣: ١)، وعن مشاعر حزن ووحدة بسبب أسره (٢تيموثاوس ٤: ٩-١٦)، وعن مشاعر اكتئاب بسبب الضيقات (٢كورنثوس ١: ٨)، وعن مشاعر فرح بالإنتصارات (فيلبّي ١: ٤)، والكثير غيرها.

يُظهر الكتاب المقدَّس إهتمامات بشرية معيّنة. كان للوقا إهتمام طبّي، كما هو واضح من خلال استخدامه لمصطلحات طبّية. أما هوشع فكانت له اهتمامات ريفية معيّنة كالتي كانت لعاموس، الراعي من تقوع (عاموس ١: ١). بالمقابل، تُبدي كتابات يعقوب اهتمامًا بالطبيعة (انظر يعقوب ١: ٦، ١٠ و١١). كما يعكس الكتاب المقدَّس على صفحاته إهتمامات كل من الرعاة (يوحنا ١٠: ١-١٦)، والرياضيين (١كورنثوس ٩: ٢٤-٢٧)، والمزارعين (متّى ١٣: ١-٤٣).

يعبّر الكتاب المقدَّس عن ثقافات بشرية. الكتاب المقدَّس لكونه كتابًا ساميًّا، نجده مملوءًا بتعابير الثقافة العبرية وممارساتها، كأسلوب إلقاء التحية بالتقبيل مثلاً (١تسالونيكي ٥: ٢٦)، واستخدام المرأة

للبرقع كعلامة احترام لزوجها (١كورنثوس ١١: ٥). عندنا أيضًا غسل أرجل الضيف عند دخوله المنزل (انظر يوحنا ١٣)، ونفض الغبار عن الأرجل كعلامة للإستنكار (لوقا ١٠: ١١)، والإتّكاء (وليس الجلوس) لتناول الطعام (يوحنا ١٣: ٢٣). وهذه مجرّد أمثلة قليلة على الثقافة والعادات البشرية.

يستخدم الكتاب المقدّس مصادر بشرية أخرى. كتاب ياشر (يشوع ١٠: ١٣)، وكتب حروب الرب (عدد ٢١: ١٤) هي أمثلة على ذلك. «أخبار صموئيل الرائي، وأخبار ناثان النبي، وأخبار جاد الرائي»، يمكن أن تندرج أيضًا تحت هذه القائمة (١أخبار الأيام ٢٩: ٢٩). أشار لوقا إلى مصادر مكتوبة عن يسوع كانت متوافرة لديه (لوقا ١: ١-٤).[٦] كما استشهد بولس بشعراء غير مسيحيين ثلاث مرات (أعمال الرسل ١٧: ٢٨؛ ١كورنثوس ١٥: ٣٣؛ تيطس ١: ١٢). كذلك اقتبس يهوذا مواد من بعض الأسفار غير القانونية مثل شهادة موسى وكتاب أخنوخ (يهوذا ٩، ١٤). هذه الاقتباسات لا تضمن بالضرورة صحة المصدر الذي أُخذت منه بأكمله. بل يقتصر ذلك على ما جرى اقتباسه فقط. ففي نهاية المطاف، كلّ ما هو حق، هو من عند الله مهما كان المصدر المباشر له.

هل في الكتاب المقدّس أخطاءً؟

النص الأصلي للكتاب المقدّس لا يُعلِّم أي خطإ. أما المنطق وراء عصمة الكتاب المقدّس فهو صريح ومباشر. (١) الله غير قادر أن يُخطئ (تيطس ١: ٢؛ عبرانيين ٦: ١٨). (٢) الكتاب المقدّس هو كلمة الله (يوحنا ١٠: ٣٤ و٣٥). (٣) إذًا، لا يُمكن للكتاب المقدّس أن يحتوي على أي خطإ. وبما أنّ الكتاب المقدّس موحًى به من الله، بمعنى أنّ الله تنفّسه (٢تيموثاوس ٣: ١٦ و١٧)، والله لا يستطيع أن يوحي بالخطإ، فهذا يعني أنّ الكتاب المقدّس لا يمكن أن يحتوي على أي بهتان.

هل تحتوي مخطوطات وترجمات الكتاب المقدّس على أخطاء؟

مخطوطات الكتاب المقدّس تشوبها بعض الأخطاء الطفيفة الناتجة من عملية النسخ. يكفي أن نأتي على ذكر مثلين لإيضاح الفكرة. يقول النص الماسوري في ٢أخبار الأيام ٢٢: ٢ أنّ أخزيا كان في الثانية والأربعين من العمر، غير أنّ ٢ملوك ٨: ٢٦ يؤكّد أنّ أخزيا كان في الثانية والعشرين من العمر. لا يمكن أن يكون في الثانية والأربعين من العمر (خطأ في النسخ) لأنه سيكون في هذه الحال أكبر من أبيه. أيضًا، ٢أخبار الأيام ٩: ٢٥ يؤكد أنّ سليمان كان يمتلك أربعة آلاف مذود (إسطبل) للأحصنة، فيما النص الماسوري يذكر أربعين ألف إسطبل للأحصنة، وهو عدد يفوق بنسبة عالية حاجة الاثني عشر ألف فارس الذين كانوا تحت إمرته.

من المهم أن نُبقي الأمور التالية في الحسبان في أثناء دراستنا لهذه الأخطاء في النسخ:

- ما من مخطوطة أصلية وُجد فيها أيّ خطإ.
- هذه الأخطاء نادرة نسبيًا.
- في معظم الحالات، يمكننا استنتاج أيّ منها هو الخطأ من سياق النص أو من نصوص أخرى موازية للنص الأول.
- لم تتأثّر عقيدة الكتاب المقدّس بأي شكل من الأشكال، من جرّاء هذه الأخطاء.
- تشهد هذه الأخطاء لمدى الدقّة التي تُراعى بها عملية النسخ، ذلك لأنّ الكتبة الذين نسخوها، كانوا على علم بوجود أخطاء في المخطوطات، ولكنهم شعروا بأنّ واجبهم يقتضي نقل ما كان مكتوبًا.

 coptic-books.blogspot.com

- لا تؤثّر هذه الأخطاء في فحوى رسالة الكتاب المقدَّس.

يمكن لأحد ما أن يستلم رسالةً محتوية أخطاءً، ومع ذلك يفهم فحوى الرسالة بوضوح مئة في المئة. مثلاً، لنفترض أنّ رسالة وصلتك من ويسترن يونيون Western Union وفحواها ما يلي: «تهانينا، لقد ربـ#ت ٢٠ مليون دولار.»

من دون شك، ستذهب وبكل سرور، لاستلام جائزتك المالية. حتى وإن كُتبت الرسالة بأيّ شكل من الأشكال الآتية، لن يكون لديك أي شك على الإطلاق:

- «لقد ر#حت ٢٠ مليون دولار.»
- «لقـ# ربحت ٢٠ مليون دولار.»
- «لـ#د ربحت ٢٠ مليون دولار.»

لماذا نزداد تأكّدًا مع إزدياد الأخطاء؟ ذلك لأنّ كلّ خطإ يقع في مكان مختلف عن الآخر، وهذا يعمل على تثبيت صحة كل حرف في النسخة الأصلية.

هناك ثلاثة أمور هامة يجب ملاحظتها. أولاً، حتى وإن كان لدينا سطر واحدٌ فقط وفيه خطأ، نجد من المثل أعلاه عن المال أنّ الرسالة قد فُهِمَت مئة في المئة. ثانيًا، مع ازدياد السطور تزداد الأخطاء، ولكن مع ازدياد الأخطاء تزداد معرفتنا بقصد الرسالة الفعلي. وأخيرًا، إنّ عدد المخطوطات الكتابية الموجودة يفوق بمئات المرات عدد الأسطر في المثال السابق. ونسبة الخطإ الموجودة في المثال السابق تفوق نسبة الأخطاء الموجودة في جميع المخطوطات الكتابية مجموعة.

كيف يمكن للكتاب المقدَّس أن يكون كلام الله وكلام الإنسان في آن؟

الكتاب المقدَّس هو كلام الله وكلام الإنسان في آن، لأنّ الله (المصدر) يستخدم الإنسان لينقل كلمته. إذًا، يوجد توافق بين ما كتبه الكُتّاب البشر وبين ما دفعهم الله إلى كتابته.

الكتاب المقدَّس إلهي وبشري في آن، وذلك بشكل شبيه بالطريقة التي بها يؤمن المسيحيون، أنّ يسوع المسيح هو الله وإنسان في آن. إذًا، المسيح والكتاب المقدَّس كلاهما theanthropic (باليوناني theos = الله، anthrōpos = إنسان). ويتضمّن هذا عوامل هامة:

- كلاهما يُطلق عليهما التعبير كلمة الله. فيسوع المسيح هو الكلمة الحية (يوحنا ١:١)، والكتاب المقدَّس هو الكلمة المكتوبة (يوحنا ١٠: ٣٤ و٣٥).
- كلاهما يملكان طبيعتين: واحدة إلهية والأخرى بشرية.
- إنّ طبيعتي كليهما مرتبطتان بوسيط واحد. وباستعارة مصطلح من علم دراسة شخص المسيح، يشهدان «اتحادًا أقنوميًا». طبيعتا المسيح متّحدتان في شخص واحد. كذلك، طبيعتا المسيح وكلمة الله، متّحدتان ضمن مجموعةٍ واحدةٍ من العبارات (أي، الجُمَل).
- كذلك، المسيح والكتاب المقدَّس يخلوان من أي عيب. المسيح هو من دون خطيّة (٢كورنثوس ٥: ٢١؛ عبرانيين ٤: ١٥) والكتاب المقدَّس خالٍ من الخطإ (يوحنا ١٠: ٣٥؛ وانظر ١٧: ١٧).

بالطبع، كما هي الحال في أيّ تشابه جزئي، توجد بعض الإختلافات. المسيح هو الله، لكنّ الكتاب المقدَّس ليس الله، ولذلك لا تجوز عبادته. الفرق هو أنّ الوسيط الذي يجمع بين طبيعتي المسيح هو الله، الأقنوم الثاني من اللاهوت، فيما العنصر الذي يوحّد الكتاب المقدَّس هو الكلمات

البشرية، حيث تحدث الموافقة بين الجانبين الإلهي والبشري. ففي المسيح نجد الإتحاد في الشخص الواحد الذي هو الله وإنسان في آن. وبالتالي، ينبغي أن يحظى الله على التبجيل (العبادة)، ولكنّ الكتاب المقدَّس ينبغي احترامه فقط وليس عبادته.

أسئلة عن مدى موثوقية الكتاب المقدَّس

يؤكِّد الإنجيليون على موثوقية النص الكتابي الذي وصل إلينا من الله. هل نستطيع أن نثق بالكتاب المقدَّس تاريخيًا؟ هل هو حقًا سجلّ يمكن الوثوق به؟[٧] وبما أنّ موثوقية الكتاب المقدَّس هي الحلقة الهامة للتأكد من أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله، من الأهمية بمكان أن نتناول الأسئلة التالية. إنّ موثوقية نصّ الكتاب المقدَّس تعتمد على عاملين هامين: (١) موثوقية الذين كتبوه و(٢) موثوقية الذين قاموا بنسخه.

هل كان بالإمكان الوثوق بشهود الكتاب المقدَّس؟

كان كُتَّاب الكتاب المقدَّس أصحاب مصداقية، وذلك لأسباب عدّة. أولاً، لأنهم كانوا في معظمهم، معاصرين للأحداث. كان موسى شاهدًا على الأحداث التي جرت في سفرَي الخروج والعدد (انظر خروج ٢٤: ٤؛ عدد ٣١: ٢٤). كان يشوع أيضًا شاهدًا على ما جرى في كتابه (يشوع ٢٤: ٢٦)، كذلك صموئيل أيضًا (١صموئيل ١٠: ٢٥)، وإشعياء، وإرميا، ودانيال، وعزرا، ونحميا من بعده. وينطبق هذا الأمر عينه على العهد الجديد أيضًا. متَّى كان تلميذًا ليسوع. ومرقس كان معاصرًا للأحداث ومساعدًا للرسول بطرس (١بطرس ٥: ١٣). لوقا كان معاصرًا، وعلى معرفة وطيدة بشهود العيان (لوقا ١: ١-٤). ويوحنا كان بدوره تلميذًا ليسوع وشاهد عيان على الأحداث (١يوحنا ١: ١ و٢).

ثانيًا، بالنسبة إلى كتّاب العهد الجديد الثمانية (أو التسعة)[٨]، جميعهم كانوا رسلاً أو مرتبطين برسل كشهود عيان و/أو معاصرين: متّى، مرقس، لوقا، يوحنا، بولس، يعقوب، بطرس، ويهوذا. جميعهم رجال اتّصفوا بأسمى معايير الأخلاق، وكانوا على استعداد أن يموتوا من أجل إيمانهم، كما حصل مع معظمهم.

ثالثًا، كان هؤلاء الكتّاب موضوع ثقة كما يظهر من خلال: (١) ميلهم إلى الشك في كون يسوع قد قام من بين الأموات (متّى ٢٨: ١٧؛ مرقس ١٦: ٣؛ لوقا ٢٤: ١١؛ يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩). (٢) تضمينهم كتاباتهم معلومات مسيئة لهم شخصيًا (متّى ١٦: ٢٣؛ مرقس ١٤: ٤٧). (٣) الروايات المتعدّدة (متّى، مرقس، لوقا، يوحنا، بولس، إلخ.) والمدعومة بشهادة شاهدين أو ثلاثة بحسب القانون (تثنية ١٧: ٦). (٤) الاختلاف في الروايات، والذي يُظهر أنهم لم يكونوا متواطئين (متّى ٢٨: ٥؛ ويوحنا ٢٠: ١٢). (٥) إثباتات المئات من الإكتشافات الأثرية والتي تدعم الأحداث التاريخية.[٩] (٦) الدليل على كون المادة الأساسية حول موت يسوع وقيامته، تعود إلى زمن باكر ضمن الفترة ٥٥-٦٠ م. يؤكِّد المؤرِّخ الشهير كولن هيمر Colin Hemer أنّ لوقا كتب سفر الأعمال مع حلول العام ٦٢م،[١٠] ولكنّ لوقا كان قد كتب إنجيل لوقا الذي يُخبر بالأمور الأساسية نفسها التي يخبرها متّى ومرقس عن يسوع، وذلك قبل أن يكتب أعمال الرسل (حوالى ٦٠م). إلى ذلك، يعترف النقّاد بأنّ بولس كتب ١كورنثوس ١٥: ١-٦، والذي يُخبر عن موت يسوع وقيامته حوالى العام ٥٥م، وقد حصل ذلك بعد اثنتين وعشرين سنة فقط على موت يسوع عندما كان أكثر من مئتين وخمسين شاهدًا على القيامة لا يزالون على قيد الحياة.

coptic-books.blogspot.com

لماذا يرفض أعضاء جماعة «سمينار يسوع» الوثوق بشهود العهد الجديد؟

هذه المجموعة التي نصّبت نفسها بنفسها والمؤلفة من أكثر من سبعين دارسًا، أقدمت بواسطة إفتراضاتها واستنتاجاتها الخاطئة، على الإدلاء بمزاعم غريبة تتعلق بالعهد الجديد، مشكّكين في ما يقارب الإثنين والثمانين في المئة من التعاليم التي ينسبها العهد الجديد إلى يسوع، ضاربين بها عرض الحائط. وتمادى جون دومينيك كروسان John Dominic Crossan، وهو من أحد المؤسِّسين لهذه المجموعة، في نكرانه لحادثة قيامة المسيح، حيث ادّعى بأنّ يسوع تمّ دفنه في قبر قريب من سطح الأرض، نبشه الكلاب ثم أكلوا الجثمان.[11] إنّ إدعاءات هذه المجموعة غير مدعومة بالدلائل لأسباب عدة.

لديهم الدافع المغلوط. إنّ هدف هذه الجماعة، باعترافهم الشخصي، هو أن يكوّنوا يسوعًا جديدًا «من نسج الخيال»،[12] والذي يتضمّن تفكيك الصورة القديمة ليسوع والممثلة في الأناجيل، وتركيب صورة جديدة ملائمة للإنسان العصري. في ضوء هذا، على كل راغب في البحث عن يسوع الحقيقي، ألّا ينظر إلى أعمالهم. عملهم ملطّخ بسعيهم للشهرة وهم يعترفون بذلك. التالي هو كلامهم الخاص: «سوف نقوم بعملنا على مرأى من الناس، لن نحترم حرية مشاركة المعلومات فحسب، بل سنُصرّ على كَشف عملنا للملإ.»[13] وباعترافٍ صريح، أكّدوا أيضًا طبيعة عملهم المتطرّف. قال أحد مؤسِّسي هذه الجمعية روبرت فانك Robert Funk: «نحن نتفحّص أمرًا يُعدّ من أهم المقدّسات في نظر الملايين من الناس، وبالتالي سنلامس باستمرار حافة التجديف.»[14]

يستخدمون الأساليب الخاطئة والكتب المغلوطة. أسلوب جماعة «سمينار يسوع»، أسلوبٌ متحيّز، يحاول أن يتوصّل إلى الحقيقة من طريق التصويت بالإجماع. لا يختلف هذا المنهج في يومنا هذا عن الأيام التي

كان يؤمن بها الناس أنّ الأرض مسطحة. وهذا التصويت مبنيّ جزئيًا على أساس إنجيلٍ افتراضي يُدعى «كيو» Q (من الكلمة الألمانية Quelle، والتي تعني مصدر)، وعلى إنجيل من القرن الثاني يُعرف بإنجيل توما، الصادر عن بعض الهراطقة الغنوسطيين. إلى ذلك، هم يستندون إلى إنجيل غير موجود اسمه مرقس السري. والنتيجة هي أنّ إنجيل توما المنحول، بات له مصداقية أكثر من أيّ من إنجيلَي مرقس أو يوحنا.

يبنون على إفتراضات خاطئة. إنّ استنتاجات جماعة «سمينار يسوع» مبنية على افتراضات متطرّفة، كرفضهم للمعجزات مثلاً. ولكن إن كان الله موجودًا، فالمعجزات ممكنة الحدوث. إذًا، أيّ رفض للمعجزات هو رفض لوجود الله. إلى ذلك، إستنتاجاتهم مبنيّة على افتراض لا أساس له، أنّ المسيحية كانت قد تأثّرت بالديانات السرية. إدوين ياماوشي Edwin Yamauchi، وهو عالم مشهور في التاريخ القديم، رفض هذا الإفتراض على أساس أنّ الكتّاب اليهود المؤمنين بإله واحد، لا يمكن أن يكونوا قد اعتمدوا على مصادر وثنية فيها اعتقاد بتعدّد الآلهة، كما لا يمكن أن يكونوا قد اعتمدوا على مصادر ظهرت بعد عصرهم.[15]

يستخدمون التواريخ الخاطئة. يطرح جماعة «سمينار يسوع» تواريخَ متأخرة للأناجيل الأربعة (تقريبًا ما بين ٧٠ إلى ١٠٠م). وعليه يعتقدون أنّ بإمكانهم استنتاج أنّ العهد الجديد مبنيّ على أساطير لاحقة عن يسوع. لكنّ هذا يخالف الدليل المبنيّ على المخطوطات، والذي يعرض نسخة عن أجزاء من إنجيل يوحنا، يرجع تاريخها إلى بدايات القرن الثاني في مصر، والذي يدعم فكرة أصله الآسيوي ومن القرن الأول. إلى ذلك، فإنّ أناجيل العهد الجديد مقتبسة في كتابات أخرى عائدة إلى القرن الأول بما فيها رسالة برنابا، والديداخي (تعليم الرسل)، رسالة اقليمندوس إلى كورنثوس، والرسائل السبع لإغناطيوس. كما أنّ المؤرّخ كولن هيمر برهن أنّ إنجيل لوقا كان قد كُتبَ قبل سفر أعمال الرسل (لوقا ١: ١؛ وأعمال الرسل ١: ١) لذا، يُمكن تأريخه، وبناءً على أدلّة قوية، ما بين ٦٠-٦٢ م،

coptic-books.blogspot.com

أي خلال الجيل نفسه الذي شهد موت يسوع.[١٦] إلى ذلك، فالعلماء النقاد أنفسهم يوافقون على أنّ ١كورنثوس كانت قد كُتبت حوالى ٥٥–٥٦م، وهو تاريخ يجعل هذه الكتابة بعد اثنين وعشرين أو ثلاثة وعشرين عامًا فقط على موت يسوع (في ٣٣م). ولكن لم يكن بإمكان الأساطير الهامة أن تنشأ وتتطور في غضون هذه الفترة الزمنية القصيرة، لا سيما عندما كان شهود العيان لا يزالون على قيد الحياة لتكذيب هذه الأساطير. وأخيرًا، بعض من العلماء النقاد على استعداد للاعتراف بتاريخ مبكر لأناجيل العهد الجديد. بحث الأسقف الراحل جون أي تي روبنسون John A. T. Robinson في كتابه «إعادة تأريخ العهد الجديد» *Redating the New Testament* واستنتج بذلك أنّ الأناجيل كُتبت ما بين ٤٠–٦٠ م وما فوق.[١٧] هذا من شأنه جعل الفترة الفاصلة بين تاريخ كتابة أول وثيقة مكتوبة، وموت المسيح، لا تتعدى السبع سنوات فقط!

يصلون إلى الإستنتاجات الخاطئة. في أعقاب تدمير الأساس ليسوع الحقيقي كما تعلنه لنا الأناجيل، ليس لدى جماعة «سمينار يسوع» أي اتّفاق فعلي على هوية يسوع الحقّة: تُرى هل هو شخصٌ ساخر، أم رجل حكيم، أم مُصلح يهودي، أم شخص ينادي بمساواة المرأة بالرجل، أم نبيّ ومعلم، أم نبي إجتماعي، أم نبي يكشف خفايا ما سيحصل في نهاية الأزمان. إنْ كانت مجموعة ما تستخدم أساليب خاطئة، وتبني على كتب مغلوطة، وتنطلق من افتراضات خاطئة، وتعتمد تواريخ خاطئة، فلا غرابة إذًا إن أتت استنتاجاتها خاطئة.

إن المهتمّين بدراسة الدلائل على مصداقية الأناجيل الأربعة، يمكنهم قراءة مصادر أخرى ككتاب كريغ بلومبرغ Craig Blomberg «مصداقية الأناجيل تاريخيًا». *The Historical Reliability of the Gospels*[١٨] وكتاب غاري هابرماس «يسوع التاريخي» *The Historical Jesus*.[١٩] والأفضل من ذلك، يمكنهم أن يتناولوا الأناجيل الأربعة لقراءتها من جديد.

هل كان من الممكن لشهود العهد الجديد أن يصمدوا في شهادتهم أمام محكمة للقانون؟

قام أحد أعظم المفكّرين القانونيين في التاريخ، سايمون غرينليف Simon Greenleaf وهو بروفسور سابق في جامعة هارفرد Harvard للحقوق ومؤلف كتاب عن الأدلة القانونية،[٢٠] بتطبيق قواعد الأدلة القانونية بدقة على ما تسرده الأناجيل، وذلك في كتابه «شهادة البشيرين» *The Testimony of the Evangelists*. اعتبر أنه لو أجرت محكمة قانونية فحصًا دقيقًا للأناجيل، «يُعتقد أنّ كلّ رجل صادق ونزيه سوف يتصرّف بما يتماشى مع هذه النتيجة، من خلال قبول شهادة هؤلاء البشيرين في جميع ما أوردوه.»[٢١] وأضاف: «ليقم الطرف الخصم بتعريض الشاهد لاستجواب دقيق من طريق مقارنة الشهود مع أنفسهم، مع بعضهم بعضًا ومع الظروف والحقائق المتعلّقة بالمسألة، وذلك قبل الإقدام على غربلة شهادتهم كما لو كانت ستُعرض أمام محكمةٍ. ستكون النتيجة، وبكل ثقة، الإقتناع الذي لا ريب فيه بنزاهة وكفاءة وصحة شهادة هؤلاء الشهود.»[٢٢]

هل يمكن الوثوق بنسَخ الكتاب المقدَّس؟

كان الكتبة دقيقين إلى أقصى حدّ في معرض نسخهم للكتاب المقدَّس. وقد تمّ قياس هذه الموثوقية، بشكل إجمالي، بطرق متعددة. أولاً، لم يحصل أي فقدان على الإطلاق لأي من العقائد الأساسية في الكتاب المقدَّس. لقد تمّ حفظ كل الحقائق الهامة وصونها في العهد القديم العبري والعهد الجديد اليوناني.

ثانيًا، إنّ الأخطاء الموجودة في النسخ هي أخطاء ثانوية وغير هامة، كالخطإ في الأرقام الذي ليس له تأثير من قريب أم من بعيد في أيّ من العقائد الكتابية (انظر «هل تحتوي مخطوطات وترجمات الكتاب المقدَّس على أخطاء؟» صفحة ١٦١). ففي الواقع، وفي معظم حالات هذه

coptic-books.blogspot.com

الاخطاء، يمكننا أن نعرف من سياق النص أو من قرينته أو من مقاطع أخرى أي منها هي الصحيحة.

ثالثًا، الحقائق الأساسية وبنسبة مئة في المئة، كما غالبية ساحقة من الحقائق الكتابية الثانوية، هي محفوظة في المخطوطات (والترجمات المبنيّة عليها) التي في حوزتنا. أكثر من تسعة وتسعين في المئة من النص الأصلي يمكن إعادة تركيبه بفضل المخطوطات التي لدينا. والسبب وراء ذلك مزدوج: (١) لدينا الآلاف من المخطوطات. (٢) لدينا مخطوطات مبكرة. إنّ التشابه مع النص الأصلي مع تعدد المخطوطات يمكّنان علماء النصوص من إعادة بناء النص الأصلي بدقة تبلغ تسعة وتسعين في المئة. أكّد العالم اليوناني الشهير السّير فريدريك كينيون Sir Frederic Kenyon أنّ جميع المخطوطات تتّفق على الدقة الجوهرية لتسعة وتسعين في المئة من آيات العهد الجديد. كما قال عالم يوناني شهير آخر، أي تي روبرتسون A. T. Robertson إنّ الإنشغال الفعلي للنقد النصّي ينحصر بنسبة «واحد من ألف فقط من النص بأكمله»[٢٣] (وهذا يجعل العهد الجديد نقيًا بنسبة تسعة وتسعين في المئة).

الخلاصة

يدّعي الكتاب المقدَّس بأنه كلمة الله، كما أنه يُثبت إدّعاءه هذا. تبرهن الدلائل الخارجية والداخلية بشكل هائل مدى دقة الكتاب المقدَّس، وفرادته، كما سنرى في الفصل اللاحق. بعد فحص أصل الكتاب المقدَّس، طبيعته، وموثوقيته، يمكننا أن نؤكِّد بثقة أنّ الكتاب المقدَّس أتى من عند الله بواسطة رجال الله الذين دوّنوه في كلمة الله.

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. هل أملى الله ما أراد أن يقوله لكتبة الكتاب المقدَّس؟ إن لم يفعل هذا، اشرح كيف يمكن للإنسان أن يتبنّى في الوقت نفسه مبدأ عصمة الكتاب المقدَّس ودور الإنسان الفريد في كتابته.

٢. ناقش معنى هذه العبارة التوكيديّة: «الكتاب المقدَّس هو كلمة الله». وكيف تختلف عن هذه العبارة: «يحتوي الكتاب المقدَّس على كلمة الله»؟

٣. كيف تجيب شخصًا يقترح بأنه لا يمكن الوثوق بالكتاب المقدَّس تاريخيًا؟ ما هو البرهان الذي يمكن أن تقدّمه لتدعم موثوقيّة الكتاب المقدَّس؟

coptic-books.blogspot.com

الجزء الثاني

أسئلة حول
أديان أخرى

coptic-books.blogspot.com

الفصل السابع

أسئلة صعبة عن الكتاب المقدَّس، الأنبياء الكذبة والكتب المقدَّسة لدى الديانات الأخرى

نورمان جايزلر Norman Geisler

coptic-books.blogspot.com

يدّعي الكتاب المقدَّس ويُثبت بأنّه كلمة الله. أي إن الكتاب المقدَّس لا يكتفي بالإعلان عن نفسه أنه كلمة الله ذات السلطان فحسب، بل يبرهن ذلك عن نفسه بأدلّة وافرة من داخله وخارجه. غير أنّ العديد من الكتب الأخرى تدّعي أيضًا بأنها إعلانات مقدسة من الله. إذًا، الأسئلة التي نواجهنا هي: «هل الكتاب المقدَّس فريد في نوعه؟» و«هل تبرهن الإعلانات الأخرى صفتها الإلهية أيضًا؟» سوف أسعى لأثبت أنّ الكتاب الوحيد الذي يدّعي ويُثبت صحة إدّعائه بكونه كلمة الله، هو الكتاب المقدَّس.

أسئلة عن توكيد الكتاب المقدَّس بأنّه هو كلمة الله

يطالب العديد من المشكِّكين، وهو مطلب شرعي، بأن تُقدّم لهم أدلّة تبرهن ما يدّعيه الكتاب المقدَّس عن نفسه بأنه كلمة الله.[1] ففي الواقع، هناك العديد من الكتب الأخرى، إلى جانب الكتاب المقدَّس، التي تدّعي بأنها من عند الله أيضًا. ولكن، كيف نعرف أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله وأن الكتب الأخرى ليست كذلك؟ ولماذا لا يمكنها جميعها أن تكون من عند الله؟

ما هي الأدلة المتوافرة والتي تُثبت ما يدّعيه الكتاب المقدَّس بأنه موحًى به من الله؟

الكتاب المقدَّس، وعلى خلاف الكتب الدِّينية الأخرى، هو الكتاب الوحيد الذي ثَبُتَ أنه كلمة الله ببراهين خارقة للطبيعة. فهو الكتاب

coptic-books.blogspot.com

الوحيد الذي كتبه أنبياء أُثبتت مصداقيتهم بآيات وعجائب. عندما سأل موسى كيف عسى رسالته أن تحظى بالقبول، قام الله باجتراح آيات من خلاله «أي لكي يصدّقوا (العبرانيون) أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خروج ٥: ٤). ولاحقًا، عندما تحدّى قورح موسى، تدخّل الله مجدَّدًا بطريقةٍ عجائبية ليؤيّد نَبيَّهُ (إقرأ سفر العدد ١٦). كذلك الأمر بالنسبة إلى إيليا الذي تمّ تثبيت حقيقة كونه نبيًا لله بتدخّل عجائبي على جبل الكرمل (انظر ١ملوك ١٨).

في الأناجيل، قال المعلّم اليهودي نيقوديموس ليسوع: «يا معلِّم، نعلم أنك أتيت من الله معلّمًا، لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل، إن لم يكن الله معه» (يوحنا ٣:٢؛ واقرأ أيضًا لوقا ٧: ٢٢). كما أعلن بطرس أنّ «يسوع الناصري قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات، صنعها الله بيده في وسطكم» (أعمال الرسل ٢: ٢٢). كذلك يؤكّد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنّ الله كان «شاهدًا معهم (أنّ الخلاص هو بيسوع المسيح) بآيات وعجائب وقوات متنوّعة ومواهب الروح القدس، حسب إرادته» (عبرانيين ٢: ٩). كما أثبت بولس الرسول رسوليّته بتأكيده أنّ «علامات الرسول صُنعت بينكم في كل صبر، بآيات وعجائب وقوّات» (٢كورنثوس ١٢: ١٢).

ما من كتاب آخر في العالم تمّ تمييز كُتّابِهِ وتأييد صفتهم الفريدة بأسلوب عجائبي كهذا. فإنّه لم يتمّ من بين جميع قادة الأديان في العالم تأييد صفتهم بعجائب يؤكد صحّتها شهود عيانٍ موثوق بهم. الكتاب المقدّس وحده يُثبت أنه كلمة الله المكتوبة من قبل أنبياء ورُسُلٍ لله، تمّ تأييد صفتهم بآيات عجائبية خاصة من الله.

هل من أدلّة أخرى تُثبت أنّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله؟

أدلة كثيرة تؤكّد أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله،[٢] ولكنّ إحدى أهمّ الأدلّة على الطابع العجائبي للكتاب المقدَّس، هي قدرته على إعطاء نبوّات واضحة ومتكرِّرة عن المستقبل البعيد. يحتوي العهد القديم على ما يُقارب المئتي نبوّة التي تتعلَّق بمجيء المسيح، وقد وردت هذه النبوّات قبل مئات السنين من وقوع الحدث. وفي ما يلي مثال بسيط يوضح دقّة النبوّات المختصّة بولادة المسيّا:

- من امرأة (تكوين ٣: ١٥).
- من نسل إبراهيم (تكوين ١٢: ١– ٣؛ ٢٢: ١٨).
- من سبط يهوذا (تكوين ٤٩: ١٠).
- كابنٍ لداود (٢صموئيل ٧: ١٢ و١٣).
- في مدينة بيت لحم (ميخا ٥: ٢).
- من عذراء (إشعياء ٧: ١٤).
- سيتألَّم ويموت من أجل خطايانا (إشعياء ٥٣) في نحو العام ٣٣ م (دانيال ٩: ٢٤ – ٢٦).[٣]
- وسيقوم من بين الأموات (المزمور ١٦: ١١؛ أيضًا المزمور ٢: ٧ و٨).

حتى نُقّاد الكتاب المقدَّس أنفسهم يُقرّون بأنّ هذه النبوّات قد أُعطيت قبل زمن المسيح بفترة تراوح بين مئتي سنة وعدّة مئات من السنين، ما ينفي إمكانية أن يكون الكاتب قد قام بتخمين هذه المعلومات أو تأثّر بما توحي به الأزمنة والأوقات آنذاك. إلى ذلك، تتمتّع هذه النبوّات بالدقة والتفصيل. فهي تحدّد وبدقّة، السلالة (داود)، والمكان (بيت لحم)، والوقت (دانيال ٩) المخصّص لمجيء المسيح. ما مِن كتاب ديني آخر يقدّم أي شيء يمكن مقارنته مع هذه النبوّات الخارقة للطبيعة.

ألم تتحقّق العديد من نبوّات الوسطاء الروحيين مثل أنبياء الكتاب المقدَّس؟

هناك فرق شاسع بين المتنبّئين البشر المعرَّضين للخطإ وأنبياء الكتاب المقدَّس المعصومين. كان الأنبياء الكذبة ينكشف أمرهم ويظهرون على حقيقتهم لدى عدم تحقّق نبوّة كانوا قد نطقوا بها (تثنية ١٨: ٢٢). وقد كان يتمّ رجم أولئك الذين لم تتحقّق نبوّاتهم (الآية ٢٠). لا بدّ أن هذه العقوبة قد زرعت الرعب في قلوب مَن لم يكونوا متأكّدين من أنّ رسالتهم هي من عند الله. مئات النبوّات، كان قد نطق بها أنبياء الكتاب المقدَّس، ولم يُخطئوا أو يضلّوا في أية واحدة منها.

وبالمقارنة، أظهرت دراسات أُجريت على تنبوّات أشهر الوسطاء الروحيين أنهم يخطئون بنسبة اثنين وتسعين في المئة.[4] فمثلاً، جين دكسون Jeane Dixon، كانت على خطإٍ في الغالبية الساحقة من المرات. حتى إن كاتبة سيرتها الذاتية، روث مونتغمري Ruth Montgomery اعترفت بأنّ دكسون نطقت بنبوّات خاطئة. «تنبّأت بأنّ الصين الحمراء ستُقحم العالم في حرب من أجل كيمُوي Quemoy وماتسو Matsu في تشرين الأول ١٩٥٨، كما اعتقدت أنّ القائد في حرب العمّال والتر رويثر Walter Reuther سيسعى للفوز بالرئاسة سنة ١٩٦٤.»[5] في ١٩ تشرين الأول ١٩٦٨، أكّدت لنا دكسون أنّ جاكلين كينيدي Jacqueline Kennedy غير راغبة في الزواج. وفي اليوم التالي مباشرةً، تمّ عقد قران السيدة جاكلين كينيدي على أرستوتل أوناسيس Aristotle Onassis. كما قالت إن الحرب العالمية الثالثة سوف تبدأ سنة ١٩٥٤، على أن تنتهي سنة ١٩٦٦. كذلك، سيتمّ نَفي كاسترو Castro من كوبا Cuba سنة ١٩٧٠.

إنّ دراسة لنبوّات كان قد نطق بها الوسطاء الروحيون سنة ١٩٧٥ مع متابعة مدى تتميمها حتى سنة ١٩٨١ بما في ذلك تصوّرات دكسن، أظهرت أنّ سِتًا فقط قد تحقّقت من بين اثنين وسبعين نبوّة. اثنتان منهما

كانتا مبهمتين، واثنتان أخريان لم تشكّلا أية مفاجأة: أي إنّ الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ستظلان تشكّلان القوّتين العظميين في العالم، ولن يكون هناك حروب عالمية في ما بعد. إنّ دقة نبوّةٍ بنسبة ثمانٍ في المئة يمكن تفسيرها وبسهولةٍ، على أنها مجرّد صدفة ممزوجة بشيء من حُسن الإطّلاع على الأوضاع العامة.

ألم يتنبّأ نوستراداموس بتنبّؤات خارقة؟

كلا. فإنّ «نبوّات» نوستراداموس Nostradamus الشهيرة لم تكن مذهلة على الإطلاق.[6] لنتأمّل في واحدة من أشهرها:

النبوّة المزعومة بزلزال سيضرب كاليفورنيا. يُقال إنّ نوستراداموس تنبّأ بزلزال عظيم سوف يضرب كاليفورنيا بتاريخ ١٠ أيار ١٩٨١. وهي نبوّة صدرت في ٦ أيار ١٩٨١، في جريدة الـ *USA Today*. غير أنّ زلزالاً كهذا لم يحدث. ففي الحقيقة لم يذكر نوستراداموس البلد ولا المدينة ولا السنة التي سيقع فيها الزلزال. غير أنه اكتفى بالحديث فقط عن «أرض متقعقعة» في «مدينة جديدة» و«هزة عظيمة» في ١٠ أيار. نظرًا إلى آلاف الزلازل التي تحدث، فإنّ أمرًا كهذا يغلب عليه الطابع العام، لا بدّ من حصوله في مكان ما، وفي وقت ما.

هل تُخفق تنبّؤات نوستراداموس في اجتياز امتحان النبي الحقيقي؟

إنّ نبوّات نوستراداموس بعيدة أشدّ البعد عن أن توصف بالخارقة وفوق الطبيعة. فهي عامة، مبهمة، وقابلة للتفسير بناء على أسس طبيعية بحتة.

نبوّات كاذبة. إحدى العلامات الواضحة للأنبياء الكذبة هي أنهم ينطقون بنبوّات كاذبة (راجع «ما هي الامتحانات لكشف النبي الكذاب» في الصفحتين ١٧٩-١٨٠). لو أُخذت نبوّات نوستراداموس بحرفيّتها

لثبت كونها مغلوطة في معظمها. وإنْ لم تكن مغلوطة فهي ذات طابع عام، ويمكن أن يكون لها العديد من «التتميمات». عبّر عن ذلك الخبير في علم الدفاعيات المسيحية جون آنكربرغ john Ankerberg بقوله: «إنها لحقيقة لا يمكن إنكارها كون نوستراداموس قد نطق بعدد كبير من النبوّات المغلوطة.»[٧]

تكهنات غامضة. الغالبية العظمى من تكهّنات نوستراداموس غامضة ومبهمة، حتى إنها قد تتمّ وتتحقّق بأشكال مختلفة. إليك المثال التالي: «منجل بالقرب من بِركة، إلى جانب قوس في أعلى نقطة من صعوده– مرض، مجاعة، موت على أيدي عسكر– القرن/العصر على وشك التجدد.» (القرن ١، العدد ٦). إنّ احتمالات التفاسير وافرة جدًا. يمكن لهذه النبوّة أن تُفهم بطرق عدّة، والاحتمالات كبيرة وواسعة بأنّ أحد أحداث المستقبل يبدو وكأنه بمثابة تتميم خارق.

نبوّات تُفهم فقط بعد الأحداث. لقد أقرّ نوستراداموس نفسه بأنّ نبوّاته كُتبت بطريقة «بحيث لا يمكن فهمها إلا بعد وقوع الحدث، ومن خلال الحدث.»[٨] ولكن ما من شيء عجائبي أو فوق– الطبيعي في قراءة تتميم لنبوّة لم تكن لتُفهَم أو تُرى قبل هذا التتميم المزعوم. لم يتمّ إثبات مصداقية أيّ من تنبوّات نوستراداموس، ما يشير إلى أنه إما كان نبيًا كذابًا، وإما لم يكن جادًا في ادّعائه بأنه يتنبّأ فعلاً.

الإقرار بالاستعانة بمصادر شيطانية ومستترة. لقد اعترف نوستراداموس باستخدامه للإلهام الشيطاني عندما كتب: «في اليوم العاشر من شهر نيسان أيقظني أشخاص أشرار، إطفاء الأنوار، مجلس شيطاني يبحث عن عظام الشيطان بحسب پسيلّوس Psellos.»[٩] إن مؤلف كتاب «نوستراداموس يرى كل شيء» *Nostradamus Sees All* آندريه لامونت Andre Lamont، أدلى بالملاحظة التالية: «الانتفاع من الشياطين وملائكة الظلام، كان أمرًا محبّذًا لدى كتبة السحر القدامى. فهم يدّعون

بأنّ الأبالسة يعرفون الكثير عن الأمور الدنيوية، ومتى وُضِعوا تحت السيطرة، يُمكن أن يقدّموا المعلومات الوافرة للمشعوذ.» وأضاف: «لم يكن باستطاعة نوستراداموس مقاومة إغراء كهذا.»[١٠]

ما هي الإمتحانات لكشف النبي الكذّاب؟

يصف الكتاب المقدَّس العديد من الامتحانات التي يمكن استخدامها لكشف النبي الكذّاب. سأذكر بعضها في المقطع التالي:

في سفر التثنية، يعلن موسى ما يلي:

إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلم، وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلّمك عنها قائلاً: (١) لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم.»

تثنية ١٣: ١–٣

لا يوجد فيك مَن (٢) يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا مَن (٣) يعرف عرافة، ولا (٤) عائف، ولا (٥) متفائل، ولا (٦) ساحر، ولا (٧) مَن يرقى رقية، ولا (٨) مَن يسأل جانًا أو (٩) تابعة، ولا مَن (١٠) يستشير الموتى...

وأما النبي الذي يُطغي، فيتكلّم باسمي كلامًا لم أُوصه أن يتكلّم به، أو (١١) الذي يتكلّم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي.

وإن قلتَ في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلّم به الرب؟ (١٢) فما تكلّم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلّم به الرب، بل بطغيانٍ تكلّم به النبي.

تثنية ١٨: ١٠ و١١؛ ٢٠–٢٢

coptic-books.blogspot.com

كما يدين الكتاب المقدَّس أولئك الذين يستخدمون (١٣) التنجيم (خروج ٢٢: ١٨؛ لاويين ١٩: ٢٦، ٣١؛ ٢٠: ٦؛ إرميا ٢٧: ٩؛ حزقيال ١٣: ٧، ١٨).

وفي العهد الجديد، قام بولس الرسول بإضافة المزيد إلى القائمة، عندما كتب ما يلي لتيموثاوس:

> ولكن الروح يقول صريحًا: إنه في الأزمنة الأخيرة (١٤)
> يرتدّ قوم عن الإيمان، تابعين (١٥) أرواحًا مضلّة وتعاليم
> شياطين، في (١٦) رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائرهم.
> (١٧) مانعين عن الزواج و(١٨) آمرين أن يُمتنع عن أطعمة.
> ١تيموثاوس ٤: ١-٣

وقد استخدم بولس الرسول أسلوبًا آخر للامتحان عندما قال: (١٩) «إنْ بشّرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشّرناكم، فليكن أناثيما» (غلاطية ١: ٨).

وأخيرًا لدينا الامتحان التالي من يوحنا:

> أيها الأحباء، لا تُصدّقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله؟ لأنّ أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد، فليس من الله.
> ١يوحنا ٤: ١-٣

هل نجح كُتّاب الكتاب المقدَّس في اجتياز هذه المعايير؟

بالتأكيد نجح كتّاب الكتاب المقدَّس في اجتياز هذه المعايير. ففي الواقع، هم مَن وضعوا المعايير والامتحانات المذكورة أعلاه. لعلّ أحد

أقوى الامتحانات وأكثرها حسمًا، هو القدرة على صنع معجزاتٍ تدعم الادّعاء. صنع موسى المعجزات ليؤكِّد أنه مُرسل من الله (خروج ٤-١٢). وأقدم الرسل أيضًا على صنع العديد من المعجزات (متّى ١٠: ١-٨)، كما فعل يسوع أيضًا (يوحنا ٣: ٢؛ ٢٠: ٣٠؛ عبرانيين ٢: ٣ و٤). كذلك استخدم بولس المعجزات كدليل على أنه مرسَل من الله، وذلك بقوله: «إنّ علامات الرسول صُنعت بينكم بكل صبر، بآيات وعجائب وقوات» (٢كورنثوس ١٢: ١٢).

لماذا لا يمكن لكتب الديانات الأخرى أن تكون هي أيضًا من الله؟

في مجتمعنا المتعدّد الحضارات، غالبا ما يدّعي الناس بأنّ الأديان جميعها صحيحة. فيتساءلون: «لماذا نفترض أنّ الكتاب المقدَّس وحده من الله؟ لماذا لا يمكن لجميع الكتب أن تمثِّل الحقيقة؟» لأنها تعلّم أمورًا متناقضة، ولا يمكن للمتناقضات أن تكون جميعها صحيحة. فمثلاً، إنْ كان جورج واشنطن George Washington هو الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية، فلا يمكن أن يكون صحيحًا أنَّ توماس جيفرسون Thomas Jefferson هو أيضًا الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية.

وبالمثل، فإن كانت كتابات جوزيف سميث Joseph Smith تُعلّم بوجود عدّة آلهة (تعدد الآلهة)، وهي بالفعل تعلّم ذلك،[١١] والكتاب المقدَّس يعلن بدوره وجود إله واحد فقط، (انظر تثنية ٦: ٤؛ ١كورنثوس ٨: ٤)، فعندئذٍ لا يمكن لكلا الكتابين أن يكونا على حق. إن كان الكتاب المقدَّس هو الحقّ، إذًا سميث هو على خطإ، وإن كان سميث محقّ، فالكتاب المقدَّس يكون على خطإ. بالطبع، يوجد بعض الحقائق في هذه الكتب المقدَّسة الأخرى، والتي لا تتعارض مع الكتاب المقدَّس، ولكن كل ما يتعارض مع الكتاب المقدَّس لا يمكن أن يكون صحيحًا.

coptic-books.blogspot.com

أليس من التعصّب الادّعاء بأنّ ديانة واحدة فقط تملك الحق؟

المسيحية لا تدّعي عدم وجود أيّ حق في الكتب الدِّينية غير المسيحية. إنها فقط تدّعي بأنّ الكتاب المقدَّس هو حق وصحيح، وأنّ كل ما يتعارض معه هو على خطإ. يوجد الكثير من الأمور الصحيحة والحسنة في أديانٍ غير مسيحية. مثلاً، قال كونفوشيوس Confucius: «لا تفعل بالآخرين ما لا تريد لهم أن يفعلوا بك»، وهي مقولة غالبًا ما يُطلق عليها اسم الصيغة السلبية للقاعدة الذهبية المسيحية. إنها لا تتعارض البتة مع القاعدة الذهبية الإيجابية التي علّمها يسوع: «فكلّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضًا بهم، لأنّ هذا هو الناموس والأنبياء» (متّى ٧:١٢). البوذية أيضًا ومعظم الديانات الأخرى، توافق التعليم المسيحي الذي يوصي باحترام الأهل، ويعتبر أنّ القتل خطيّة. المسيحية لا تُعلّم أنّ الكتاب المقدَّس وحده يحتوي على الحق. لكنها تجزم أنّ الكتاب المقدَّس هو حقّ، وأنّ كل ما يتعارض معه هو خطأ، بما أنّ المتناقضات لا يمكنها أن تكون صحيحةً في آن.

أسئلة عن مدى الأسفار المقدَّسة وحدودها

غالبًا ما يسأل النقّاد والمشكّكون عمّا يُدعى «بالكتب المفقودة من الكتاب المقدَّس». هل الكتاب المقدَّس مكتمل؟[١٢] وهل ضاعت أقسام منه؟ وإن كان كذلك، فهل كانت الأقسام الضائعة أقسامًا هامة؟ هذا السؤال يُعنى بقانون الكتاب المقدَّس، أي، ما هي الأسفار التي تندرج ضمن الكتاب المقدَّس والتي ينبغي اعتمادها كمقياس للحق؟

هل العهد القديم مكتمل؟

إن اكتمال العهد القديم مثبّت بحقائق عدة، وهي تشمل شهادة الديانة اليهودية، شهادة المسيح وشهادة الكنيسة المسيحية. (تأمّل الأسئلة التالية).

ما هي شهادة الديانة اليهودية على اكتمال العهد القديم؟

العهد القديم هو الكتاب المعتمد لدى الديانة اليهودية. كتبه أناس يهود ولليهود، ولقد أجمع علماء اليهود على أنّ أسفار كتابهم الأربعة والعشرين، مطابقة لأسفار العهد القديم التسعة والثلاثين الموجودة في الكتاب المقدَّس المعتمد لدى الطائفة البروتستانتية، مع الإختلاف في الترقيم فقط. والسبب الذي يجعل هذه الأسفار تتضمّن الشريعة اليهودية مكتملة، مبني على اعتبارات عدة.

أولاً، حقيقة أنّ هذه الأسفار قد جُمِعَت بطريقة تُنتِج العدد ٢٤ (أو ٢٢)، تُبيّن أنّ الأسفار تُعتبر مكتملة، حيث إنَّ هذا الرقم يوافق عدد أحرف الأبجدية العبرية (مع وجود حرفين متضاعفين يجعلان الأبجدية إما ٢٢ حرفًا، وإما ٢٤). ولجعل عدد أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين تتطابق مع العدد أربعة وعشرين (وهو عدد أسفار كتاب اليهود المقدَّس الحالي)، قاموا بتصنيف جميع الأنبياء الاثني عشر الصغار معًا، على اعتبار أنّ كتاباتهم تشكّل سفرًا واحدًا، وجمعوا كل الأسفار التي تحوي جزئَين (١ و٢ صموئيل، ١ و٢ ملوك، ١و٢ أخبار الأيام، وعزرا–نحميا)، لجعل كلّ ثنائي سفرًا واحدًا. إنّ بعض المصادر اليهودية (مثل يوسيفوس Josephus) تعيد ترقيم الأسفار لتجعل عددها اثنين وعشرين (وهو الرقم المطابق لعدد أحرف الأبجدية العبرية الأصلية). ويشير ترقيمهم هذا للأسفار، إلى إيمانهم بأنّ شريعتهم مكتملة.

coptic-books.blogspot.com

إلى ذلك، هناك بيانات صريحة في الديانة اليهودية تؤكّد اختتام شريعتهم. قال يوسيفوس في هذا الإطار: «لقد جرى تدوين جميع الأحداث من عهد أرتحشستا (في أيام ملاخي، حوالى ٤٠٠ ق م) إلى يومنا هذا، ولكنها لم تُعطِ أهمية لِما سبق مِن كتابات، ذلك لأنّ عهد تعاقب الأنبياء كان قد ولّى.» كما يضيف التلمود اليهودي: «بعد توالي الأنبياء اللاحقين، حجّي وزكريا وملاخي، فارَق الروح القدس إسرائيل.»[١٣]

وأخيرًا، العلماء اليهود أمثال فيلو Philo، ويوسيفوس، والذين من جامنيا Jamnia (مدينة العلماء والباحثين اليهودية سنة ٧٠–١٣٢م)، بالإضافة إلى التلمود، يتّفقون بالإجماع على عدد الأسفار القانونية عندهم. لم يحدث أن قَبِلَت طائفة يهودية ما، أية أسفار إضافية أخرى، أو رفضت أيًا من الأسفار التسعة والثلاثين (الأربعة والعشرين) الخاصة بالعهد القديم، والموجودة في الكتاب المقدَّس البروتستانتي. القائمة بالأسفار اليهودية القانونية، تُعتبر مختتمة وقد أُقفلت، وهي مطابقة تمامًا للأسفار الموجودة في العهد القديم الذي تعتمده الكنيسة الإنجيلية.

ماذا قال يسوع عن اكتمال العهد القديم؟

لقد أكّد يسوع أمر اختتام القائمة بالأسفار المقدَّسة في العهد القديم بطرق عدة. ففي اقتباساته المتكرّرة لأسفار العهد القديم، لم يستشهد قط بأيّ سفر غير الأسفار الأربعة والعشرين (التسعة والثلاثين) القانونية ضمن الكتاب المقدَّس اليهودي. إلى ذلك، اقتبس جميع الأقسام الهامة من العهد القديم: من الأقسام النبوية والتشريعية على حدٍ سواء، إلى جانب اقتباسه القسم اللاحق للأنبياء والمسمّى «الكتابات». ولكنه لم يقتبس قط أي سفرٍ من الأسفار المنحولة (الأبوكريفا). إلى ذلك، فقد عيّن يسوع حدود أسفار العهد القديم القانونية في متّى ٢٣: ٣٥؛ ألا وهو سفر

٢أخبار الأيام (وهو السفر الأخير في العهد القديم اليهودي)، وذلك بقوله «من دم هابيل الصدّيق (تكوين ٤) إلى دم زكريا بن برخيا (٢أخبار الأيام ٢٤: ٢٠–٢٢).» إنها عبارة يهودية معادلة للقول المسيحي «مِن التكوين إلى الرؤيا»، وهي تشير إلى اكتمال الأسفار القانونية اليهودية. إلى ذلك، فإنّ عبارات مثل «الناموس والأنبياء» (متّى ٥: ١٧) و«موسى وجميع الأنبياء» (لوقا ٢٤: ٢٧)، استخدمها يسوع للإشارة إلى اكتمال الأسفار القانونية اليهودية. فقد استخدم يسوع هذه العبارات بشكلٍ موازٍ للعبارة «جميع الكتب» (لوقا ٢٤: ٢٧). فيسوع، ولكونه يهوديًا صالحًا، حيث إنه «لم يأتِ لينقض الناموس والأنبياء» (متّى ٥: ١٧)، قَبِلَ الأسفار اليهودية القانونية الخاصة بالديانة اليهودية نفسها، والتي كانت ولا تزال مجموعة الأسفار التسعة والثلاثين الموجودة في كتاب العهد القديم البروتستانتي.

ماذا قال المسيحيون الأوّلون عن اكتمال العهد القديم؟

لقد عبّرت الكنيسة المسيحية الأولى عن قبولها الأسفار القانونية اليهودية بطرائق مختلفة. أولاً، من خلال اقتباسها آياتٍ من هذه الأسفار، على أنها آيات مقدسة. فباستثناء المعلّم الهرطوقي أوريجانوس Origen، أجمعَ آباء الكنيسة في القرون الأربعة الأولى، على قبول أسفار العهد القديم اليهودية وحدها.[١٤]

عندما كانت تُقتَبَس الأسفار المنحولة، لم تكن تُعطى سلطة إلهية كتلك المعطاة للأسفار التسعة والثلاين القانونية، بل كانت تُستخدم بالطريقة ذاتها التي كان يعتمدها بولس الرسول عند اقتباسه الكتابات غير الموحى بها للمفكّرين اليونانيين. مثلاً، أعمال الرسل ١٧: ٢٨؛ ١كورنثوس ١٥: ٣٣؛ تيطس ١: ١٢، أو الكتابات الكاذبة (مثلاً يهوذا ٩، ١٤). اقتبس بولس الرسول هذه الأقوال لاحتوائها شيئًا من الحقيقة،

 coptic-books.blogspot.com

ولكن ليس كأقوال موحًى بها. وحتى أغسطينوس Augustine، الذي كان له التأثير الكبير في قيادة الكثيرين بعده إلى قبول الأسفار المنحولة، كان يدرك أنّ هذه الكتب لم تكن جزءًا من الأسفار القانونية اليهودية.

إنّ معظم الاقتباسات المزعومة للأپوكريفا من قِبل كُتّاب باكرين، لا يُثبت بالضرورة وحي هذه الأسفار من خارج القائمة القانونية. يقدّم الخبير في علم قانونية الأسفار المقدَّسة روجير بكويث Roger Beckwith الملاحظة التالية:

> عندما يدقّق أحدٌ في المقاطع من كتابات الآباء الأوّلين والمفترض فيها أنها تُثبت قانونية أسفار الأپوكريفا، يجد أن بعضها مأخوذ من النص اليوناني البديل لسفر عزرا (Esdras 1)، أو من إضافات تحت شكل مَلاحق لسفر دانيال أو إرميا أو أسفار قانونية أخرى، وهي... في الحقيقة ليست بذي صلة بها، والبعض الآخر منها ليس اقتباسًا من الأسفار الأپوكريفية أصلاً. وأما تلك المقتبسة من الأسفار الأپوكريفية، فلا تعطي أية إشارة إلى ضرورة اعتبار الكتاب من جملة الأسفار المقدَّسة.[١٥]

هل قامت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بإضافة أسفار إلى العهد القديم اليهودي؟

نعم، وهذه الأسفار المعروفة بالأپوكريفا Apocrypha، كُتِبَت ما بين العامين ٢٥٠ قبل الميلاد و١٥٠ للميلاد. وقد كتبها أشخاص يهود عن التاريخ اليهودي وعن الفترة ما بين العهدين القديم والجديد، ولكن هذه الكتابات لم تدّعِ قط أنها وحي إلهي، ولم تقبلها الديانة اليهودية على أنها موحًى بها من الله. مع ذلك، أقدم القيّمون على الكنيسة الكاثوليكية الرومانية على إضافة أحد عشر سفرًا، من جملة هذه الأسفار الأپوكريفية

إلى الكتاب المقدَّس بتصريح من المجمع الكنسي في ترنت Trent، المتذرِّع بالعصمة وذلك سنة ١٥٤٦ م.

هذه الإضافات الأپوكريفية مرفوضة لدى الكنيسة البروتستانتية للأسباب التالية:

- هذه الأسفار لا تدّعِ أنها أسفار وحي.
- لم يكتبها أنبياء.
- لم تُثبَّت صحّتها ومصداقيتها بالمعجزات.
- لا تحتوي على أية نبوّات جديدة فوق الطبيعة.
- لم يقبلها اليهود على أنها أسفار موحًى بها.
- لم تُقتبس قط في العهد الجديد على أنها أسفار إلهية.
- قبولُ يسوع وتأييده للأسفار اليهودية القانونية، والتي كانت تُدعى الناموس والأنبياء (متّى ٥: ١٧ و١٨؛ لوقا ٢٤: ٢٧).
- رفضُ معظم آباء الكنيسة الأوّلين لها، بمن فيهم عالِم الكتاب المقدَّس الكاثوليكي الشهير جيروم Jerome.
- الأسس التي بناءً عليها قبلت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية هذه الأسفار هي أسس خاطئة؛ وهي اعتبار استخدام المسيحيين لهذه الأسفار أساسًا لقبولها، بدلاً من بناء قرار القبول على أسس أقوى كوجوب كتابتها من قبل نبي أو رسول (انظر يوحنا ١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣؛ أفسس ٢: ٢٠؛ عبرانيين ١: ١؛ ٢: ٣ و٤).[١٦]

كيف نعرف أنّ العهد الجديد قد اكتمل؟

لقد كُتب العهد الجديد خلال الفترة ما بين العام ٥٠م وعام ٩٠م وهناك العديد من الأدلة التي تدعم الاعتقاد أنّ القائمة بأسفار العهد

الجديد القانونية قد اكتملت واختُتمت. كان يسوع قد وعد بقانون مختتم عندما حصر سلطة التعليم بمعشر الرسل فقط، هؤلاء الذين ماتوا جميعًا قبل انتهاء القرن الأول.«[17]

ما هو الوعد الذي قطعه يسوع بخصوص جمع أسفار العهد الجديد؟

يشير العهد الجديد وبوضوح إلى أنّ استعلان يسوع للتلاميذ يُكمِّل الإعلان الكتابيّ. وهو شكّل الإعلان الكامل والتام لنبوّات العهد القديم. لقد صرّح يسوع في عظته على الجبل بشأن العهد القديم بجملته: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل» (متّى ٥: ١٧). والرسالة إلى العبرانيين تُعَلِّم حقًا أنّ يسوع هو إعلان الله الكامل والأخير «في هذه الأيام الأخيرة». وقد كتب كاتب العبرانيين ما يلي:

> الله، بعد أنْ كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا، بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين، الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره.
>
> عبرانيين ١: ١-٣

إلى ذلك، يؤكّد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنّ يسوع هو «أعظم من» الملائكة (١: ٤)، فهو يقدّم «رجاء أفضل» من الناموس (٧: ١٩)، وهو «أفضل» من ناموس العهد القديم وكهنوته (٩: ٢٣). فإعلان شخصه والفداء الذي يقدّمه هما أبديان (٥: ٩؛ ٩: ١٢، ١٥)، إذ قرّب نفسه مرةً وإلى الأبد (٩: ٢٨؛ ١٠: ١٢-١٤). إذًا، كان يسوع إعلان الله الكامل والنهائي. لقد كان باستطاعته وحده القول: «مَن رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤: ٩). ويصحّ في يسوع المسيح وحده القول إنّ «فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًا» (كولوسي ٢: ٩).

ماذا قال تلاميذ يسوع بخصوص العهد الجديد؟

كان يسوع قد اختار اثني عشر تلميذًا وفوّضهم وعيّنهم (عبرانيين ٢: ٣ و٤) ليعلّموا الإعلان الكامل والنهائي الذي سلّمهم إياه (متّى ١٠: ١). وقبل أن يترك يسوع هذا العالم، وعد رسله بأنه سوف يستمرّ في إرشادهم إلى جميع الحق وذلك بقوله: «الروح القدس... هو يعلّمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦)، و«متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يوحنا ١٦: ١٣). لهذا السبب، يُقال عن الكنيسة إنها مبنيّة «على أساس الرسل والأنبياء» (أفسس ٢: ٢٠) كما أنّ الكنيسة في بدايتها، كانت تواظب «على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أعمال ٢: ٤٢). إنْ لم يُعلِّم الرسل إعلان الله الكامل هذا، فيسوع في هذه الحال يظهر بأنه على خطإ. لكن، وبصفته ابن الله، لا يمكن له أن يُخطئ في تعاليمه. لذلك، فإنّ إعلان الله الكامل والنهائي في شخص يسوع المسيح قد أعطاه الرسل للكنيسة.

لقد عاش رسل يسوع وماتوا في القرن الأول للميلاد. إذًا، سجلّ الإعلان التام والنهائي عن يسوع للرسل، كان قد اكتمل ثبوته في القرن الأول الميلادي. بالفعل، إن إحدى مقوّمات الرسولية هي أن يكون الشخص شاهد عيان لقيامة يسوع من بين الأموات، هذه الحادثة التي وقعت في القرن الأول الميلادي (انظر أعمال الرسل ١: ٢٢). وكل مَن عاش وادّعى الرسولية بعد هذه الفترة، هو رسول كذّاب (٢كورنثوس ١١: ١٣). وعندما جرى التشكيك في هوية بولس الرسولية، أجاب: «ألستُ أنا رسولاً؟ أما رأيت يسوع المسيح ربّنا؟» (١كورنثوس ٩: ١). ففي الحقيقة، أُدرج اسمه ضمن قائمة الرسل، بصفته آخر مَن عاين المسيح المُقام من بين الأموات (انظر ١كورنثوس ١٥: ٦-٨).

ما هي الأدلّة التي أظهرها الرسل لإثبات سلطانهم؟

لقد أعطى الله الرسل سلطانًا لصنع أعمالٍ ومعجزاتٍ خارقة للطبيعة، واضعًا بذلك حدًّا لأية شكوك قد تُثار بشأن مصدر سلطانهم في تعليم إعلان الله التام والنهائي للعالم في شخص يسوع المسيح، وهم بدورهم نقلوا هذا السلطان والمواهب لمساعديهم (انظر أعمال الرسل ٦: ٦؛ ٨: ١٥-١٩، ٢تيموثاوس ١: ٦). وحيث إنّ هذه «الآيات والعجائب والقوات» كانت محصورة بالرسل، فهي تشكّل إذًا «علامات الرسول» (٢كورنثوس ١٢: ١٢). كما أنّ هناك أمورًا لا يمكن أن تحدث إلا من خلال «وضع أيدي الرسل» (أعمال الرسل ٨: ١٨؛ ١٩: ٦). إلى ذلك، هذه «القوة» هي تحقيق لوعد كان قد قُطع للرسل (أعمال الرسل ١: ٨). وبعد أن مضى يسوع إلى الآب (يوحنا ١٤: ١٢)، مارس الرسل قوةً ومهامًا خاصة بهم، بما في ذلك الحكم بالموت على الناس إن كذبوا على الروح القدس (أعمال الرسل ٥: ٩-١١)، وصنع آيات وعجائب من نوع خاص (انظر أعمال الرسل ٥: ١٢؛ ٢كورنثوس ١٢: ١٢؛ عبرانيين ٢: ٣ و٤)، بما في ذلك حتى إقامة الموتى عند إعطاء الأمر بذلك (متّى ١٠: ٨؛ أعمال الرسل ٢٠: ٧-١٢).

وأخيرًا، ثمة سجلٌ واحدٌ موجود بتعاليم الرسل موثوق به، ألا وهو أسفار العهد الجديد السبعة والعشرون. جميع الكتب الأخرى التي تدّعي الوحي، تأتي من القرن الثاني أو حتى بعد ذلك. وتُعرف هذه الكتب باسم أسفار العهد الجديد الأبوكريفية. هذه الأسفار حتمًا لم يكتبها رسل، حيث إنّ الرسل كانوا قد ماتوا جميعًا قبل نهاية القرن الأول الميلادي.

وبما أننا نعلم أنّ أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين كانت قد نُقلَت ونُسخت بتدقيق منذ البداية (انظر الفقرة «هل يمكن الوثوق بنُسَخ الكِتاب المقدَّس؟») على الصفحة ١٦٩، يبقى السؤال إن كانت كتابات الرسل، والعائدة إلى القرن الأول، قد حُفظت جميعها أم لا. إن كانت قد حُفِظَت، فالأسفار السبعة والعشرون التي في حوزتنا تختم عندئذٍ

القانون الكتابي، وأية كتابات كُتبت بعدها، لا يمكن أن تكون إعلان الله للكنيسة.

هل حُفِظَت جميع الكتابات الرسولية والنبوية في العهد الجديد؟

نعم، لدينا كلّ الأسباب التي تجعلنا نؤمن بذلك. يوجد دليلان رئيسان يجعلاننا نثق بأنّ جميع كتابات الرسل وشركائهم الموحى بها، قد حُفِظَت ويمكن إيجادها في أسفار العهد الجديد السبعة والعشرين. الدليل الأول مبنيّ على شخص الله، والثاني على الحرص الشديد الذي بذلته الكنيسة.

كيف يُمكن لشخص الله أن يضمن ويؤكّد حقيقة اكتمال العهد الجديد؟

بما أنّ إله الكتاب المقدَّس كلي المعرفة (المزمور ١٣٩: ١-٦؛ ١٤٧: ٥)، وكلّي الصلاح (المزمور ١٣٦؛ ١بطرس ٢: ٣)، وكلّي القدرة (تكوين ١: ١؛ متّى ١٩: ٢٦)، هذا يعني أنه لن يوحي بكتب تصلح أساسًا للعقيدة والممارسة عند جميع المؤمنين على مرّ العصور، ومن ثمّ يُخفق في المحافظة عليها. فضياعَ كُتُبٍ موحًى بها، يعني عجزًا في العناية الإلهية. الله الذي يعتني بالعصافير، هو قادرٌ حتمًا على الاعتناء بأسفاره المقدَّسة. والله الذي حافظ على الإعلان العام عن ذاته في الطبيعة (رومية ١: ١٩ و٢٠)، لن يُخفق بالتأكيد ولن يفشل في المحافظة على إعلانه الخاص في الكتاب المقدَّس (رومية ٣: ٢). وباختصار، إنْ كان الله قد أوحى بها (٢تيموثاوس ٣: ١٦) فهو سيحافظ عليها . فالله يُكمّل ما كان قد ابتدأ به (فيلبّي ١: ٦).

 coptic-books.blogspot.com

هل حافظت الكنيسة بكلّ حرص على العهد الجديد بأكمله؟

لقد حافظت الكنيسة على العهد الجديد بأكمله. فالعناية الإلهية لا تَعِدُ بالمحافظة على جميع الأسفار الموحى بها فحسب، بل الكنيسة أيضًا جادّة في صون هذه الأسفار. وهذا الحرص يظهر بطرق عدّة.

أولاً، هذه الأسفار كان قد جرى جمعها في تواريخ مبكرة جدًا. فنجد أنّ عملية حفظ الأسفار هذه، كانت قد بدأت حتى في العهد الجديد نفسه. فالبشير لوقا يشير في إنجيله إلى سجلاّت مكتوبة أخرى (لوقا ١: ١-٤)، ربما يتعلّق الأمر هنا بكلّ من إنجيلَي متّى ومرقس. وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس (١تيموثاوس ٥: ١٨)، يقتبس بولس الرسول من إنجيل لوقا (١٠: ٧). ويشير بطرس إلى مجموعة من رسائل بولس (٢بطرس ٣: ١٥ و١٦). وقد أوصى بولس الرسول بأن تُقرأ رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي «على جميع الأخوة القديسين» (٥: ٢٧). كما أمر الكنيسة في كولوسي بالقول: «ومتى قُرئت عندكم هذه الرسالة، فاجعلوها تُقرأ أيضًا في كنيسة اللاودكيين» (كولوسي ٤: ١٦). كما يبدو أنّ يهوذا (٦ و٧) كان على إطّلاع بمضمون رسالة بطرس الثانية (٢: ٤-٦). كما أنّ سفر رؤيا يوحنا كان قد انتشر بين أوساط كنائس آسيا الصغرى (رؤيا يوحنا ١: ٤). إذًا، كانت الكنيسة الرسولية نفسها مكلّفة، وبأمر إلهي، أن تحافظ على الكتابات الرسولية.

ثانيًا، لقد أظهر معاصرو الرسل معرفةً وإلمامًا في كتابات معلّميهم الرسل حيث اقتبسوا أقوالهم بوفرة. ومن بعدهم، قام آباء الكنيسة بين القرنين الثاني والرابع واقتبسوا ما يقارب الـ٣٦,٢٨٩ مرةً من العهد الجديد. وهذا العدد يشمل آيات العهد الجديد جميعها ما عدا إحدى عشرة آيةً فقط! ويشمل هذا العدد ١٩,٣٦٨ اقتباسًا من الأناجيل، ١,٣٥٢ من أعمال الرسل، ١٤,٠٣٥ اقتباسًا من رسائل بولس الرسول، ٨٧٠ اقتباسًا من الرسائل العامة، و٦٦٤ اقتباسًا من رؤيا يوحنا.[١٨] فآباء الكنيسة في

القرن الثاني اقتبسوا وحدهم جميع الأسفار الرئيسة في العهد الجديد ما عدا سفر واحد هو ٣يوحنا، لأنهم ربما لم يجدوا ببساطة مناسبة لاقتباسه. وهذا لا يدلّ على احترامهم الشديد لكتابات الرسل فحسب، بل ويدلّ أيضًا على رغبتهم الشديدة في المحافظة على أقوالهم المكتوبة.

ثالثًا، عندما تعرّضت الكنيسة لتحدّي التعاليم الهرطوقية، كتلك التابعة لمارشيون الغنوسطي Marcion the Gnostic، والذي كان قد رفض جميع أسفار العهد الجديد ما عدا أجزاء قليلة من إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس (قَبِلَها جميعها ما عدا ١ و٢تيموثاوس وتيطس)، ردّت عليه الكنيسة عبر تحديد حجم الأسفار القانونية. وهكذا جرى إعداد قوائم بالكتب الرسولية وبجميع كتابات الرسل بدءًا من القرن الثاني. فظهرت على هذا الأساس القوائم الموراتورية Muratorian (١٧٠ م)، والرسولية (حوالى ٣٠٠ م)، والشلتنهام Cheltenham (حوالى ٣٦٠ م)، والأثنسية Athanasian (٣٦٧ م)، بالإضافة إلى الترجمة اللاتينية القديمة (حوالى ٢٠٠ م). وقد بلغت هذه العملية ذروتها في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس في مجمع هيبو the Council of Hippo (٣٩٣ م)، ومجمع قرطاجة (٤١٠ م)، حيث اعتُبرت كتب العهد الجديد السبعة والعشرون أنها تشكّل اكتمال الأسفار القانونية. قَبلت الكنيسة الكاثوليكية على أنواعها مع الطوائف البروتستانتية والأنجليكانية هذا القرار واعتبرته مبرمًا ونهائيًا. البروتستانت الإنجيليون يُجمعون على أنّ قانون العهد الجديد قد اكتمل.

هل الكتاب المقدّس بأكمله مكتمل؟

الكتاب المقدَّس مكتمل. ما مِن دليل يوحي بفقدان أيّ من الأسفار الموحى بها. والدلائل التي تُثبت هذه الحقيقة هي العناية الإلهية، وحرص الكنيسة الشديد المحافظة على هذه الأسفار والتحرّك فورًا في

هذا الإطار عند الضرورة، وأيضًا في غياب أيّ دليل على وجود أسفار نبوية أو رسولية أخرى. وأية أمثلة أخرى يدّعي بعضهم بأنها تُعارض ما سبق، قد تكون من صنف الكتب غير الموحى بها، التي اقتبس منها كُتّاب الكتاب المقدَّس، أو من الأعمال الموحى بها والمتضمّنة في الأسفار الستة والستين، ولكن تحت اسم آخر.

ما هو سبب ذكر الكتب غير الموحى بها في الكتاب المقدَّس؟

أحيانًا، أقدم كُتّاب الكتاب المقدَّس على اقتباس كتب غير موحىً بها. ذكر بولس الرسول، مثلاً بعض الحقائق من أشعار وثنية (أعمال الرسل ١٧: ٢٨؛ تيطس ١: ١٢). ولربما قام يهوذا باقتباس بعض الكتب المنسوبة إلى غير مؤلِّفيها الحقيقيين (شهادة موسى وسفر أخنوخ؛ انظر يهوذا ٩، ١٤)، وهي كتب مرفوضة من اليهودية ومن جميع أقسام المسيحية.

ومن جملة الكتب غير الموحى بها الأخرى، والتي تمَّ اقتباسها في العهد القديم، كتاب حروب الرب (عدد ٢١: ١٤)، وكتاب ياشر (يشوع ١٠: ١٣)، وكتاب سفر أمور سليمان (١ملوك ١١: ٤١). هذه الكتب ما هي إلا مصادر قام كُتّاب الكتاب المقدَّس باقتباسها في بعض الأحيان لاحتوائها على شيء من الحقيقة. إنّ كتبًا كهذه قد يكون كتبها رسول أو نبي لم يقم بالإدّعاء في حينها بأنه يُعلن نبوة من عند الله لشعب الله. ففي كل الأحوال، حتى كُتّاب الأسفار الموحى بها، لا بدّ أنه كانت لهم فرصة للتحدث عن أمور خاصة بالعمل أو العائلة. «أخبار شمعيا النبي» (٢أخبار الأيام ١٢: ١٥) تندرج ضمن هذه الحادثة.[١٩]

هل يؤمن المورمون بأنّ الكتاب المقدَّس موحًى به من الله؟

ليس تمامًا. ففي حين يقبلون نظريًا وحي المخطوطات الأساسية للكتاب المقدَّس، إلا أنهم يرون فعليًا بأنّ النسخ التي نتجت منها مملوءة

بالأخطاء. يُدرِجُ كتاب «صديق المبشر» *The Missionary Pal* قائمة «بأخطاء الكتاب المقدَّس»[٢٠] ويعطي أمثلة عن «الأخطاء» الموجودة في الكتاب المقدَّس، مثل ذكر قصّتين لحادثة موت يهوذا (متّى ٢٧: ٥؛ أعمال الرسل ١: ١٨)، وقصّتين للرؤية التي حدثت لبولس الرسول (أعمال الرسل ٩: ٧؛ ٢٢: ٩).[٢١] ففي الحقيقة، قام جوزيف سميث Joseph Smith بإعداد ترجمته الخاصة به، و«الموحى بها» من الكتاب المقدَّس (ترجمة جوزيف سميث) والتي تحتوي على آلاف الاختلافات بينها وبين نسخة الكتاب المقدَّس الموجودة بين أيدينا.

البيان الرسمي الذي يقدّمه المورمون عن الكتاب المقدَّس هو الآتي: «نحن نؤمن أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة **الله**، ما دام قد تُرجم بشكل صحيح، كما نؤمن بأنّ كتاب المورمون هو أيضًا كلمة **الله**» (البند الثامن من بيان الإيمان). ولكن على أرض الواقع، فإنّ قادة المورمون بدءًا من جوزيف سميث، يدّعون بأنّ الكتاب المقدَّس لم يُترجم بشكل دقيق. لذلك، فتصريحهم بأنهم يؤمنون بأنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة **الله**، ما هو إلا كلام مُضِلّ. فإن كانوا يؤمنون حقًا أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة **الله**، فلماذا يعود **الله** ويأمر جوزيف سميث بأن يقوم بكتابة «ترجمة موحًى بها» للكتاب المقدَّس، والتي تحتوي على آلاف الاختلافات عن الكتاب المقدَّس المستخدم في عصر سميث، بما في ذلك حذف سفر بأكمله (نشيد الأنشاد)؟

هل من تأكيد على أنّ كتابات المورمون هي من الله؟

كلا على الإطلاق. وخلافًا للأناجيل، فإنّ الشهود لادّعاءات كتاب المورمون، لم يجرِ تأييدهم وتثبيت كلامهم بالمعجزات كما حصل مع يسوع والرسل (انظر الفقرة «ما هي الأدلة المتوافرة والتي تُثبت ما يدّعيه الكتاب المقدَّس بأنه موحًى به من **الله**؟» صفحة ١٧٧). إلى ذلك،

 coptic-books.blogspot.com

فإنّ كتابات المورمون اللاحقة، تناقض ما سبقها.[٢٢] كما أنّ أوصاف النبي الكذاب تنطبق على جوزيف سميث (انظر «ما هي الإمتحانات لكشف النبي الكذّاب؟» صفحة ١٨٣). فهو استعان بالعرافة وأدلى بنبوّات كاذبة. كما أنّ، لا جوزيف سميث ولا أحد من أتباعه تمّ إثبات مصداقيتهم بمعجزات خارقة كشفاء العُمي والعُرج والصُمّ وإقامة الموتى (متّى ١٠: ٨؛ لوقا ٧: ٢١ و٢٢). وأخيرًا، إنّ شهود كتاب المورمون لم يكونوا جديرين بالثقة.

هل من دليل على أنّ كتاب المورمون موحًى به؟

يقدّم المورمون شهود كتابهم الأحد عشر على أنهم الدليل على ألوهة مصدر كتابهم. ولكنّ شهادتهم تفتقر إلى المصداقية لأسباب عدة. أولاً، حتى وإن رأى حقًا الشهود المزعومون بعض الصفائح الأصلية للكتاب، فهذا لا يعني أن ما كُتِبَ على هذه الصفائح هو الحقيقة. ثانيًا، حتى وإن آمن بعض الشهود أنهم رأوا مخلوقات تُشبه الملائكة، فهذا لا يعني أنّ هذه الرؤى لم تكن مجرّد هلوسات. ثالثًا، حتى وإن رأوا ملائكة فعلاً، فهذا لا يعني بالضرورة أنّ أولئك هم صالحون (فالشيطان قد يتحوّل إلى ملاك نور – ٢كورنثوس ١١: ١٤). رابعًا، إن «إنجيل» الأعمال الذي أُعلنَ لسميث، مناقض لإنجيل النعمة الذي بشّر به بولس الرسول والذي قال: «إنْ بشّرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشّرناكم، فليكن أناثيما» (غلاطية ١: ٨). خامسًا، لم يكن باستطاعة الشهود الأحد عشر لكتاب المورمون قراءة ما كُتِبَ على الصفائح، لذلك ليس باستطاعتهم أن يشهدوا لصالح فحوى مضمون رسالة هذه الصفائح. سادسًا، وفي حادثة أخرى ادّعى فيها جوزيف سميث أنّ باستطاعته ترجمة كتاب ابراهيم، تمّ اكتشاف المخطوطة لاحقًا، وترجمها علماء أكفاء من مصر، ثمّ تبيّن أنها زائفة ولا علاقة لها بإبراهيم، بل ما هي إلا كتاب مصري يُدعى «كتاب التنفّس». فما الذي يدعونا إلى إضفاء قيمة على كتاب المورمون،

واعتباره أكثر من مجرّد كتاب زائف؟ سابعًا، يوجد علامة استفهام كبيرة على مصداقية الشهود أنفسهم حتى بعد رؤيتهم ما ادّعوا بأنهم رأوه.

الخلاصة

توجد لائحة في مؤخرة هذا الكتاب يمكن أن تساعدك على إتمام واجبك الكتابي، الذي يقتضي أن «تعلم كيف يجب أن تجاوب كل واحد» (كولوسي ٤: ٦)، ولتكون «مستعدًا دائمًا لمجاوبة كلّ من يسألك» (١بطرس ٣: ١٥). تحتوي بعض هذه الكتب على المزيد من الأسئلة والأجوبة عن الكتاب المقدّس.[٢٣]

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. ما هي بعض الإمتحانات التي يقدّمها الكتاب المقدَّس لفضح أمر النبيّ الكذاب؟ كيف يمكنك تطبيق هذا المفهوم الكتابي للردّ على بعض المعتقدات الخاصة بأنبياء معيّنين؟

٢. ما هي بعض الدلائل الداخلية والخارجية على اكتمال الأسفار الكتابية القانونية؟ وبالتحديد، كيف أكّد يسوع اكتمال كلّ من العهدين القديم والجديد وسلطانهما؟

٣. بعد أن قرأت هذا الفصل، أعدد مخططًا تمهيديًا للطريقة التي بها يمكنك الشروع في الرد على أتباع عقيدة المورمون في ما يتعلّق بسلطان كتاب المورمون ومدى موثوقيته، بالمقارنة مع سلطان الكتاب المقدَّس وموثوقيته.

الفصل الثامن

أسئلة صعبة عن الهندوسيّة والتأمّل التجاوزي

إل. تي. جياكاندران L. T Jeyachandran

coptic-books.blogspot.com

يواجه المسيحيون في الغرب ثقافة متأثّرة وبشكل متزايد بفلسفات وممارسات دينية شرقية عديدة مثل «العصر الجديد» New Age. كما أن تبنّي العديد من الشخصيات المشهورة لأنماط الحياة وأنظمة الاعتقاد المتطرّفة هذه، على سبيل المثال، شيرلي ماكلاين Shirley MacLaine والعديد غيرها؛ أدّى إلى تزايد الانجذاب إلى هذه الظاهرة. ديپاك شوپرا Deepak Chopra، وهو طبيب من أصل هندي يمارس الطب في الولايات المتحدة في الوقت الحالي، يقوم بتطوير تقنيّات التأمّل لخفض نسبة ضغط الدم، وتخفيف درجة التوتر عند أولئك الذين يعيشون حياة مملوءة بالتوتر والاضطراب. ويمكن الحصول على كتبه من أية مكتبة. رايكي Reiki، وهي تقنية يابانية للشفاء تستخدمها حركة «العصر الجديد»، توحي بإمكانية تركيز قوة الكون اللامتناهية على ورم خبيث ما، لكي يحصل الشفاء، شريطة اعتماد المنهجية الصحيحة لذلك. وإنّ العديد من التعاويذ التي تدّعي حيازتها على قوى سحرية، متوافرة الآن للطلب عبر البريد، كما أن العديد من مشاهير الصحف اليومية تخصّص بعضًا من أعمدتها للتنبؤات الفلكية. وفي الفصلين التاليين، سأتناول أسئلة متعلقة بالهندوسية، والبوذية، ووجهات نظر شرقية متعلّقة بنظرية «الكلّ هو الله» Pantheism، في محاولة لتسليط الضوء على كيفية فهم هذه الآراء والردّ عليها.

لا يقتصر الهدف من هذا الكتاب على مساعدة القارئ على تحديد الأخطاء في وجهات النظر التي تتحدّى حقائق العقيدة المسيحية التاريخية فحسب، بل لتجهيزه أيضًا بمقاربة تمكّنه من مشاركة المسيح

coptic-books.blogspot.com

مع مناصري وجهات النظر هذه. وفي هذا الإطار، من المفيد أن نحدّد العلاقة بين الحق والباطل، وبين ما هو أصلي ومزوّر.

قد يكون من المفيد أن نذكر بأنّ كلّ خطإ يحوي عنصرًا من الحق. مثالٌ بسيط على ذلك من علم الحساب، سيساعد على توضيح هذه النقطة. بالنسبة إلى ناتج جمع ٢+٢، إنّ الإجابة الصحيحة هي ٤. ولنُشِر إليها بواسطة الحرف (س). يوجد جواب صائب واحد، ولكن نظريًا يوجد عدد لامتناهٍ من الأجوبة الخاطئة. إن أخذت إجابة واحدة من الإجابات الخاطئة، مثلا ٥، فستلاحظ كيف أنها بطريقة أو بأخرى، وعلى الرغم من أنها خاطئة، تعتمد على الإجابة الصحيحة: هذه الإجابة الخاطئة، لا وجود لها في الأساس، غير أننا نحصل عليها من خلال إضافة ١ على س، أي س+١. وبالطريقة عينها، فإنّ إجابة خاطئة أخرى، ٣، هي س ناقص واحد أي س–١. إذًا، بإمكاننا القول، مع أن الإجابة الصحيحة هي مطلقة، غير أنّ الإجابة الخاطئة هي ذات صلة بالصحيحة لأنها ناشئة من إضافة رقم أو حذف رقم من الإجابة الصحيحة. فلا عجب إذًا إنْ جاء الكتاب المقدّس ينصحنا بعدم إضافة أو حذف أيّ شيء مما أعلنه الله لنا (رؤيا يوحنا ٢٢: ١٨ و١٩)!

هذه ليست بنظرية فارغة لا مغزى لها. ولننظر إلى انعكاسين مباشرين لما سبق:

١ ◂ الخطأ ما هو إلا جسم طفيلي على الحقيقة. لذلك لدى مواجهتنا كلّ ما هو مزوّر أو مزيّف، يجب أن نسأل: «ما هو الأصل المسيحي لهذا الزيف؟» والإجابة عن هذا السؤال هي في غاية الأهمية، لأنها ستُظهر حقيقة وجهة النظر المسيحية حول القضية المدروسة، ما سيساعدنا بدوره على إيجاد الردّ المناسب على ما هو زائف. الحق الذي لا تواجهه التحديات، يصبح عقيدةً نتبنّاها من دون أي انتقاد. ينبغي لنا أن نستغلّ وفرة الأضاليل التي تغمرنا اليوم، لنعود

ونتعلّم من جديد إيماننا من زوايا متعددة؛ وبالتالي نتقوّى فيه. يُخبر بولس قرّاءه أنّ مهمته كانت تقتضي تثبيت رسالة الإنجيل والدفاع عنها أيضًا (فيلبّي ١: ٧).

٢ ◂ كما سنكتشف أيضًا أنّ التزوير حصل جرّاء تحريف الحقيقة عند نقطة هامة. وبعبارة أخرى، كلّ خطإ فيه عنصر من الحق. وعنصر الحق المشترك هذا، سيساعدنا على بناء جسور مع خصومنا لتأييدهم في كلّ ما هو حق في وجهة نظرهم. بعد ذلك، يجب أن نصبح قادرين على إظهار (بوداعة وخوف – ١بطرس ٣: ١٥) النقطة الجوهرية التي عندها حصل الانحراف الذي أدى إلى النتيجة النهائية الخاطئة.

الإجابات عن الأسئلة اللاحقة، تتبع المنهج عينه من دون شرحه بالضرورة في كلّ خطوة من الحجّة. كما سنعرض موجزًا عن الردّ الإنجيلي في بعض الأماكن المناسبة لذلك، كي لا تبدو هذه الفصول نظرية فقط (مع أنّ ذلك في غاية الأهمية)، ولكن يمكن أيضًا الإستفادة منها في المحادثات. وفي نهاية مجموعة الأسئلة هذه، إيماننا بفرادة المسيح سيزداد صلابة، كما أننا سنكون أكثر تفهّمًا مع الذين يؤمنون بما يخالف هذا.

ما هو سبب اهتمام الغربيّين الشديد بالديانات الشرقية؟

إنّ الحدث الأكثر بروزًا والذي مهّد لدخول الفكر الهندوسي إلى الغرب، كان زيارة سوامي ڤيڤكانندا Swami Vivekananda إلى الولايات المتحدة عام ١٨٩٣، حين حقّق نجاحًا ساحقًا في المؤتمر العالمي للأديان World Congress on Religion، المنعقد في شيكاغو Chicago. ابتدأ خطابه بالعبارة غير المنحازة «إخوتي وأخواتي»، والتي قُوبلت بدقائق عديدة من التصفيق الحار. ثم راح يشرح عن الوحدة الضرورية لجميع الأشياء

والكائنات، وهي عنصر جوهري في الـ *Pantheism* الهندي أي، «الكلّ هو الله». (انظر السؤال التالي للحصول على شرح لكلمة *Pantheism*). أثارت هذه المقاربة الإعجاب الشديد لدى الحركات التوفيقية في المؤتمر، لأنها توحي بأنّ الله يقبل الجميع (لأنّ كل مقاربة إلى الله هي حقّة كأي مقاربة أخرى) وبالتالي فإنّ الجميع إخوة وأخوات.

سوامي ڤيڤكانندا، وفي أثناء تفاعله مع المسيحيين في هذا المؤتمر، أنكر وجود الخطيّة، فما دام الواقع بأكمله واحدًا، لا يمكن إيجاد طريقة نهائية للتمييز بين الصواب والخطأ. ويُعتقد أنه هو صاحب العبارة الشهيرة التالية: «أنت ترتكب خطيّة عندما تقول عن إنسان إنه خاطئ.» هذا وقد دعم موقفه بفرضية الوحدة المطلقة لكلّ الأشياء، بما فيها تلك الآراء التي تبدو متضاربة أو متناقضة.

وفي زمن أقرب إلى عصرنا، ظهرت حركة الهيبيّين (Hippie movement) في الستينيّات من القرن الماضي كنقطة تحوّل في حياة أهل الغرب بعد غزو الفكر الدِّيني الشرقي للعديد منهم. هذا يفسِّر ظاهرة انطلاق عدد لا بأس به من جيل الشباب، وغالبيّتهم من بيوت مسيحية، في اتّجاه الشرق بحثًا عن تحقيق للذات. هؤلاء فهموا المسيحية التي كانوا قد نشأوا عليها، أنها عقلانية بحتة وعاجزة عن تلبية إحتياجات قلوبهم الحميمة والذاتية. كما رأوا في إله المسيحية شخصيّة متسلّطة، إلها مستبدًا وقاسيًا. وهكذا شعروا بأن أسلوب التأمّل الشرقي، سيمكّنهم أكثر من الاتصال مباشرةً مع ما يتجاوزهم. فالطبيعة الغربيّة للمعتقدات والممارسات والطقوس، عرضت تغييرًا عن المسيحية العديمة اللون التي كانوا قد اختبروها.[١]

قام بعضٌ من أوائل معلّمي حركة العصر الجديد الذين وصلوا إلى الغرب مثل ماهريشي ماهش يوغي Maharishi Mahesh Yogi، بتغليف المعتقدات والممارسات الهندوسية بحيث تكون مقبولة اجتماعيًا وفكريًا

في الغرب. قام يوغي بنشر تعاليمهم في بعض المدارس الأمريكية العامة تحت عنوان علم الذكاء الخلّاق Science of Creative Intelligence. (لكن، في عام ١٩٧٧، اعتبرت المحاكم الأمريكية هذه الأقسام الأكاديمية غير دستورية بسبب تدريسها الدِّين). وقد زاد حاليًا، أشخاص مثل ديپاك شوپرا من شعبية تقنيّات متنوعة تابعة لحركة العصر الجديد، وذلك لتخفيف التوتر داخل مجتمع صناعي، غني ويطغى عليه طابع التنافس الشرس.

على المسيحيين ألا يكتفوا بالنظر إلى الإجابات اللاهوتية والفلسفية التي تقترحها حركة العصر الجديد، بل يجدر بهم أيضًا تقصّي الجذور الوجودية التي نبعت منها هذه الإجابات. في سياق بحثنا، سنرى أيضًا كيف يمكننا أن نعالج هذه المجالات من وجهة نظر مسيحية. وبقصد الإيجاز، سألخّصها ضمن الفقرات التالية.

ليس من الصعب علينا أن نرى كيف أنّ حركة العصر الجديد تزدهر على كلّ ما هو شخصي وغير موضوعي. من جهة أخرى، يميل الإيمان المسيحي، وخاصةً من أجل الدفاع عن نفسه ضدّ الهجمات العلمانية الملحدة والحركة النسبية التابعة لوقت سابق، إلى التشديد على الموضوعية. وفي الواقع، تمّ تأسيس علم الدفاعيّات عن المسيحية على حتمية الطبيعة الموضوعية للايمان المسيحي. وبذلك، يبدو أننا فقدنا الاتّصال مع الأجوبة الذاتية التي تقدِّمها المسيحية للباحث. وهذه حقيقة تبرز بوضوح في الشعبية التي قوبل بها كتاب المدافع المسيحي رافي زكارايوس Ravi Zacharias «صرخات القلب» *Cries of the Heart*.[٢]

نحن في حاجة إلى تقديم أبعاد الإنجيل الذاتية بلا خجل، وذلك من دون التخلّي عن الحاجة إلى الموضوعية والتاريخية كخاصّتين من خصائص الحق. «ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب» (المزمور ٣٤: ٨). كما أنّ كلّ تصريحٍ موضوعي للحق كما يعلنه يسوع، ولا سيّما مجموعة

تصريحات «أنا هو» الشهيرة في إنجيل يوحنا، هي مترافقة بدعوات إلى التزامها واختبارها على صعيد ذاتي.

يمكن أن يترافق التركيز على البُعد الشخصي في كثير من الأحيان مع «الهروب من المنطق»، هذه العبارة التي شكّلت عنوان آخر كتاب من ثُلاثية فرانسيس شيفر Francis Schaeffer.[٣] ففي هذا الكتاب النبوي العائد إلى أوائل السبعينيات من القرن العشرين، تمكّن شيفر من رؤية انتشار حركة العصر الجديد في الغرب مرفقة، بشكل خاص، بظاهرة التخلّي عن العقلانية. إنّ حركة ما بعد الحداثة Post Modern Movement، في رفضها لكلّ ما هو عصري وجديد، وفّرت أرضًا خصبة لانتشار الحركات الشرقية. (وفي الواقع، قد يكون من المناسب ملاحظة كيف أنّ الهند كانت من زاوية فلسفية، قد اجتازت في مرحلة «ما بعد الحداثة» ما لا يقل عن اثني عشر قرنًا، قبل أن بدأت رحلتها الحالية على طريق الحداثة!)

إنّ ملاحظة بولس المعرفية في ١كورنثوس ٢: ١٠، والتي مفادها أنّ الحكمة الحقيقية مصدرها الإعلان الداخلي للروح، هو موضوعٌ ينبغي تطويره كجزء من دفاعياتنا المسيحية. ذلك لأنّ اختبارنا الذاتي المتعلّق بالمسيح، متأصّل في الواقع الموضوعي والتاريخي لله في المسيح. لذا، يمكننا فقط من خلال اعتماد هذا المنهج بثبات في كنائسنا، أن نضمن تلبية الاحتياجات الذاتية للناس، من دون التخلّي قط عن المبادئ العقلانية. إنّ تعليم الإيمان بأنّ المسيحية هي صحيحة، ينبغي دائمًا أن يكون مصحوبًا بالدعوة إلى الإيمان بشخص المسيح القادر وحده أن يُشبع أشواقنا الذاتية والشخصية.

الإلحاد، والذي كان رائجًا قبل بضعة عقود، ترك وراءه نهجًا مجزّءًا للتوصل إلى الحق، لأنه افتقر إلى العامل الموحّد، ألا وهو الله الخالق. ثم جاءت حركة العصر الجديد لتملأ هذه الفجوة من خلال افتراض الوحدة الأساسية لجميع الأشياء، ضمن كيان غير شخصي لانهائي.

براهمان Brahman، هو المصطلح الذي تستخدمه الفلسفة الهندية المتعلّقة بالـ Pantheism، المعروفة باسم «أدفايتا» Advaita، أو اللاثنائية nondualism. أسلوب الشفاء الياباني رايكي Reiki، يستدعي وحدة طاقة الكون غير المحدودة، والتي يمكن للبشر تحريكها باستخدام أساليب مختلفة. إنّ زن البوذية Zen Buddhism تدعو إلى استخدام تقنيات التأمّل (تمامًا كما تدعو الهندوسية التي تدين بالـ Pantheism إلى ممارسة التأمّل التجاوزي Transcendental Meditation)، بقصد الاندماج والانصهار بالوعي اللامتناهي للكون. إنّ ألفاظًا مثل الطاقة والوعي تملأ قائمة مفردات العصر الجديد. فالتوجه الأساسي هو إلى اعتبار أنّ التجزؤ لا يمكن التغلب عليه إلا من طريق الإرتفاع والإرتقاء فوق التنوّع أو تجاوزه. من هنا نشأ التأمّل التجاوزي (انظر «ما هو التأمّل التجاوزي» صفحة ٢١٨. فظاهرة التنوع هذه هي التي تملأ وجودنا بأشياء مركومة بلا نظام. من هنا، رغبة الفرد في الاندماج مع الواقع اللانهائي.

ينبغي أن يكون الجواب المسيحي عند هذا الحدّ مركّزًا بشكل متساوٍ على الوحدة والتنوّع. إنّ كيان الله المثلّث الأقانيم، والجامع للوحدانية والتثليث في آن، هو الذي خلق هذا الكون. نحن في حاجة إلى أخذ هذه العقيدة من رفوف الأكاديميا المستقيمة الرأي، وجعلها أساسًا للتعريف المسيحي الحقيقي بالواقع. كما أنّ الفصل الأول من التكوين هو وصفٌ لكونٍ متناغم يتألّف من تنوّعٍ حقيقي. لذلك، ما نحتاج إليه هو ضمان حصول الانسجام بين مختلف جوانب الواقع، وليس ما تقدّمه حركة العصر الجديد من إلغاء للتنوّع، لصالح الوحدة المطلقة.

ما هي العقائد الأساسية للهندوسية؟

الهندوسية هي مزيج من المعتقدات المعقدة، وعلى ما يبدو، المتناقضة أيضًا. ويتّهم الكثير من علماء الهندوس المسيحيين (وهم

 coptic-books.blogspot.com

على حق جزئيًا في ذلك)، بأنهم يبسّطون تعقيدات الديانة الهندوسية إلى درجة تسمح لهم بنقدها. أودّ أن أقترح نموذجًا لن أسعى من خلاله جاهدًا لاستيعاب المعتقدات الهندوسية المعقدة فحسب، ولكنه سيوفّر أيضًا إطار عملٍ للشهادة عن المسيح لأولئك الذين تبنّوا أنظمة معتقداتها.

النموذج الذي أقترحه هو ذو قطبين: الهندوسية المتعدّدة الآلهة من جهة، والتي تتضمّن عبادة الكثير من الآلهة والإلاهات، وفي الجهة الأخرى الهندوسية الـ Pantheistic، والتي تدعم فكرة وجود واقع لانهائي غير شخصي وموحّد، وكلّ ما عداه وهميٌ تمامًا أو مجرّد واقع ثانوي. إن الكلمة Polytheism مشتقّة من لفظتين يونانيّتين – polus= «تعدّد» وtheos = «الله». Pantheism مشتقّة من الصفة Pas بمعنى «كلّ» أو «جميع» ملحقة بكلمة theos. والفكرة هي أنّ الكلّ هو الله والله هو الكلّ، أي ليس هناك واقع آخر. فالواقع المادي، الذي هو بالنسبة إلى المسيحي الواقع المخلوق، يُعدّ في نظر المؤمن بنظرية الكلّ هو الله Pantheism، إمّا أمرًا وهميًا بالكلية، وإمّا ينبغي أن يُعامَل كواقع من مستوًى أدنى. وهذا الأمر الأخير يدخل في قلب معظم معتقدات العصر الجديد وممارساته. أمّا هندوسية تعدّد الآلهة، والتي يمكننا تسميتها الهندوسية الشعبية، فلديها الكثير من أوجه الشبه مع ظاهرة تعدّد الآلهة، كما عرفها العالَمان اليوناني والروماني، هذا مع الإختلاف الكبير في السياق الحضاري بينهما. من ناحية أخرى، الـ Pantheism مبني على فلسفة تكهّنية ترتقي وتسمو إلى أعلى المستويات الفكرية وتشكّل العمود الفقري لحركة العصر الجديد.

تاريخيًا، تسبق الهندوسية التي تؤمن بتعدّد الآلهة، نظيرتها التي تدين بالـ Pantheism. إنّ الكتابات المقدّسة القديمة الهندوسية والمدعوة ڤيداس Vedas، بمعنى تجسيدات المعرفة، تُلمح في بعض أجزائها إلى شيء من الإيمان بالله الواحد. أمّا عبادة العديد من الآلهة والإلاهات في الوقت الحاضر، فكانت قد بدأت كتبجيل لقوى الطبيعة، كما كانت حال ديانة تعدّد الآلهة في اليونان وروما. تطوّر هذا إلى تجسيد هذه القوات

وتأليهها مع إرفاقها بقصص شبه تاريخية. ولا بدّ من الاعتراف بأنّ داخل بانوراما تعدّد الآلهة الواسع، يمكن للفرد أن يستخرج خيوطًا من عبادة الإله الواحد. قام العالِم الألماني فريدريك ماكس موللر Friedrich Max Müller، الإختصاصي في علم تطوّر اللغات من القرن التاسع عشر، بصياغة المصطلح «أحد الآلهة» henötheism للدلالة على عبادة إله واحد، حيث يُعبد أحد الآلهة على أنه يمتلك السلطة الأسمى. هذا الجانب من العبادة الشخصية لإله شخصي يجب ألاّ يغيب عن الأنظار في تصنيفاتنا للهندوسية المؤمنة بتعدّد الآلهة، واعتبار أنها وثنية. إنّ ما يُظهره الهندوسي من وقار ومهابة في عبادته، قد لا نجد أيّ نظير له في إطار الاحتفالات العديمة اللون، التي تُعدّ عبادة نقدّمها للخالق المستحق كلّ شيء. ونحن نعمل حسنًا إن تعلّمنا من بولس الذي، وبالرغم من حزنه على رؤية الأصنام في أثينا، استطاع أن يستشفّ الحنين الباطني إلى التعبّد عند أهل أثينا. (يستخدم ذلك كجسر في محاضرته المذهلة أمام آريوس باغوس، انظر أعمال الرسل ١٧: ٢٢ و٢٣). انظر أيضًا طريقة التعامل مع الجمعية الدولية للوعي كريشنا Krishna على الصفحات ٢٢٦–٢٣٢.

إنها لَحقيقة مشهود لها بأن الذبائح الحيوانية شكّلت جزءًا هامًا من الطقوس الهندوسية القديمة، حيث كان الهدف من التضحيات إسترضاء إلهٍ قد أُهين. صحيح أنّ الكتابات الهندوسية، لا تسهب قط في الكلام عن عقيدة الخطيّة وعن الذبائح الكفارية كما هي الحال في العهد القديم، إلاّ أن نقاط التشابه هذه تصلح كمدخل لتقديم الإنجيل. والجدير ذكره أنّ البراهميين، الذين هم الآن نباتيون بصرامة، كانوا هم الكهنة الذين قدّموا هذه الذبائح وأكلوا من القربان عربون قبوله من قِبل الإله. (قد يكون من المناسب ملاحظة كيف أنّ جميع الديانات القديمة كانت قائمة على الذبائح، وهذا يشير إلى إدراكٍ فطري لدى الناس أنّ الجنس البشري قد أساء بطريقة أو بأخرى إلى القوى المسيطرة على الكون، والتي كان ينبغي استرضاؤها بواسطة الذبائح). بالتالي، يترتّب على المسيحي أن

يكون قادرًا على إظهار قداسة الله والعجز المتأصِّل في الإنسان عن تلبية متطلِّبات إلهه. عند هذا الحدّ، بإمكانه عرض موت يسوع المسيح بوصفه الوسيلة الوحيدة لإشباع هذه المطالب، بما أنه يُعدّ الذروة الحقيقية الوحيدة لذبائح القدماء.

وبشكل مأساوي، أدّت ممارسة هذا النوع من العبادة لآلهة متعدِّدة إلى خلق نظام هرمي رفّع الكهنة الى أعلى مصاف. بعد طبقة البراهميين تأتي طبقتا المحاربين والتجار، وآخِر الكل في السلّم الاجتماعي هناك الفئات الخادمة، والتي تضمّ المحتقرين والمنبوذين. كان الإعتقاد السائد أنّ أعلى وأسمى ولادة هي التي تحصل ضمن الجنس البشري، وذلك من خلال دورات التقمّص المتتالية (انظر «ما هو التقمّص؟» صفحة ٢٣٠). كما أنّ البراهميين، اعتُبروا الأسمى على الإطلاق بين الناس. هؤلاء يحقِّقون الاتّحاد مع الإله من دون بذل الكثير من الجهد، بسبب الخدمة التي يقدِّمونها للإله، خلال فترة ولايتهم على الأرض.

قد يكون من المناسب أن نأتي هنا على ذكر الجوانب الشيطانية لأي نوع من أنواع عبادة الآلهة متعددة. إنّ عبادة الآلهة الشخصيين قد تصل العابد بعالم الأرواح. فإنه ليس بالأمر غير المألوف أن يتورّط العابدون في علاقة بالشرير وأتباعه، لا سيّما من حيث الفوائد أو الأضرار التي يشتهر بمنحها بعض الآلهة. في حالات كهذه، يمكن للذبائح الدموية المقرّبة للآلهة أن تشكل جزءًا أساسيًا من العبادة. إنّ عبادة الشيطان، والتي تشهد اليوم إقبالاً متزايدًا عليها في جميع أنحاء العالم، سِمتها المشتركة هي تقديم الدم كرمز للحياة، للانخراط في العالم الروحي.

غالبًا ما يرافق ممارسة عبادة الأوثان تكريس الأشياء والأماكن (مثل المعابد، والأنهار، وقمم الجبال)، وبعض الناس (في بعض المناسبات) لمختلف الآلهة والإلاهات. إنّ النشاط الشيطاني الحاصل في أماكن كهذه، ومن خلال أجسام وأشخاص كهؤلاء، هو أمرٌ مشهود له.

على سبيل المثال، راماكريشنا باراماهامسا Ramakrishna Paramahamsa، معلّم سوامي ڤيڤيكانوندو Swami Vivekananda، يُقال إنه قام باستدعاء روح كالي Kali، إلهة التدمير، على زوجته في يوم ميمون. فعندما أصبحت الزوجة مسكونة، قام بمجامعتها جنسيًا مدّعيًا أنه بذلك قد حقّق الإتحاد مع الإلاهة. في كل مرة تُقدّم العبادة للمخلوق بدلاً من الخالق (انظر رومية ١: ٢٥)، يكون الفساد الأخلاقي والروحي على الأبواب. ويمكن للإنشغال الحديث العهد بعبادة الشيطان في الغرب، أن يكون نتيجة السعي الملحد وراء الثروة والمتعة. وحين لا تُرضي هذه الأمور تطلّعات طالبها، يكون البديل الوحيد هو الشيطان، لأنَّ الله قد سبق استبعاده.

باستخدام المنهجية الواردة في مقدمة هذا الفصل، ينبغي للمسيحي أن يكون قادرًا على التعاطف مع الشخص الهندوسي، لا سيّما لجهة الأشواق التي تختلج داخل قلبه. ففي نهاية أحد القطبين، تقبع الرغبة في التواصل مع آلهةٍ شخصيين، إلا أنهم للأسف محدودون. وعند القطب الآخر، فالحاجة هي إلى اللامحدود والمطلق، يُشبعها كينونة للأسف غير شخصية. الجواب المسيحي لهذا الطيف من المفارقات هو أنّ الله، الحقيقة المطلقة، هو غير محدود، شخصي، ويقيم العلاقات. في الواقع، نحن في حاجة إلى إعادة تعريف الشخصية من منطلق العلاقات، وليس من منطلق فردي، كما هي الحال مع اللاهوت التقليدي. إنّ العناصر التي تشكّل الشخصية: الفكر، والعاطفة، والإرادة، هي عناصر نظرية، غير واقعية وجوفاء نوعًا ما، في غياب أية علاقة عاملة. لذا، يمكن لطبيعة الله المثلّثة أن تشكّل مدخلاً للمشاركة في بشارة الإنجيل. سوف يُقدّر الهندوسي المؤمن بتعدّد الآلهة، مركزية العلاقة في إله المسيحية: الله الواحد في ثلاثة أقانيم (الآب والابن والروح القدس). يمكن لعقيدة الخطيّة أن تنبع من فهم للعلاقة التي تمزقت مع الله. كما أنّ القداسة ذاتها، هي في علاقة الحب الأسمى داخل الثالوث (يوحنا ١٧: ٢٤؛ رومية ٥: ٥). وحتى في الأوساط المسيحية، هناك قصور في فهم القداسة

 coptic-books.blogspot.com

في كثير من الأحيان، إذ تُفهم على أنها من صنف الاعتزال المتقشّف، بحيث يتخطّى على نحوٍ كبير إنجاز الهندوسي في هذا المجال، أي إنجاز يمكن أن يطمح إلى بلوغه المسيحي أيضًا! فالقداسة يجب النظر إليها من زاوية تكوين علاقات قوية بالله، والبشر، وبقية الخلق. وينبغي أن نكون قادرين أيضًا على الإستناد إلى فكرة الذبائح القديمة في الهندوسية المتعددة الآلهة، لعرض ذبيحة يسوع الواحدة الكاملة والكافية، كالمتمّمة لكلّ الذبائح التي جرى تقريبها في الماضي.

غالبًا ما يُعجب الهندوسي كثيرًا بمساهمة المسيحي في تحسين الأوضاع الاجتماعية، مثل العمل الذي قامت به الأم تيريزا. نحن في حاجة إلى إدراك أنّ الهندوسية هي ديانة أخلاقية مبنيّة على الخلاص بالأعمال. وقد يكون من المفيد اقتراح (١) أنّ البشر لا يمكنهم أبدًا أن يرتقوا إلى مستوى المتطلبات الأخلاقية التي تفرضها ضمائرهم، ناهيك أيضًا بمتطلبات القداسة الكاملة التي يتطلّبها الله المثلث الأقانيم، (٢) أنّ الأعمال الصالحة التي يُتوقّع جني مكافآت من القيام بها، مثل الولادة بمستوًى أعلى في تقمّص مستقبلي، لا تُعتبر فعلاً أعمالاً صالحة، لأنه توجد دوافع خفية وراء فعلها، ولكن إنْ خلّصنا الله مجانًا، إن جاز التعبير، في المسيح، وتركنا على هذا الكوكب لنعمل الأعمال الصالحة، فإنّ أعمالاً كهذه ستكون صالحة بالفعل، لأننا لسنا في حاجة إلى أي شيء أكثر! يمكن لتفسير الآية في أفسس ٢ :١٠ أن يجذب الهندوسي الشغوف بالأخلاق العالية، أكثر من الوعظ عن النعمة من دون أي ذكر للأعمال. هذا الأمر قد يجعل الهندوسي ينفر من الإنجيل إذ ينظر إليه على أنه عرض رخيص.

وكما سبق أن رأينا أنّ الهندوسي الذي يعتقد بأن الكل هو الله Pantheist، يؤمن بأنّ الواقع المطلق هو غير شخصي. ويؤدي هذا الاعتقاد إلى القناعة الواضحة بأنّ الشخصية هي أدنى مرتبة من الواقع المطلق غير الشخصي. وبالتالي فإنّ فكرة الهندوسي للخلاص هي الرغبة في

الاندماج مع اللامحدود، وإلى حدّ ما فقدان شخصيته في اللامحدود. يمكننا أن نذكر أمام الهندوسي أنّ ما يجعلنا بشرًا هو القدرة على إنشاء علاقات حرّة، كما أنّ فقداننا لشخصياتنا لن يعود علينا بأية فائدة تُذكر! ما يجب أن نعمله جاهدين بدلاً من ذلك، هو جعل شخصيتنا تنخرط في علاقة دائمة ومشبعة، وهذا بالذات ما قدّمه الله لنا من خلال المسيح يسوع.

كما قد يكون من المهمّ ملاحظة أنّ التركيز المسيحي على طبيعة الإنسان الخاطئة، قد يُظهر بعض الأحيان للهندوسي أنّ المسيحية تُعطي صورة سيّئة للغاية عن إنسانيّتنا. هنا، ربما يكون من الضروري الإقرار بأنّ لاهوتنا المتعلّق بالجنس البشري، غالبًا ما يبدأ من تكوين ٣ بدلاً من تكوين ١! ربما نحن في حاجة إلى إعادة التعريف بخطيّة الإنسان في عقولنا، قبل أن نتمكّن من تقديمها بشكل صحيح إلى الهندوسي. إنّ مأساة خطيّة الإنسان تنشأ، ليس لأنّ الإنسان هو أدنى في تكوينه من بقية الخليقة، وإنما لسبب معاكس لهذا تمامًا. فتمرُّد الإنسان على الله، إنّما هو مأساة كونية فقط، لأنه تمّ خلق البشر على صورة الله، وقد خصّهم الله بمقام من الكرامة والشرف (راجع المزمور ٨: ٥–٨)، وليتسلّطوا على بقية المخلوقات الأرضية. يُمكن للهندوسي أن يتعاطف بسهولة أكبر مع حقيقة كرامة الإنسان قبل أن يُقدَّم إليه واقع الخطيّة. وعلى أية حال، هذا هو الترتيب الإلهي المعتمد في سفر التكوين، أليس كذلك؟ وبالتالي، الخطيّة، هي علاقة مقطوعة مع الله، هذه العلاقة التي أعطتنا وحدها هوية، هدفًا، وكرامة. إنّ ذكر الخطايا الفعلية بشكل مفصّل، قد يحرّك المسيحيين الإسميين في إطار اجتماع تبشيري، إلا أنّ الهندوسي المتفلسف، يبقى أكثر قابلية للتفاعل مع فكرة المذلّة التي ترتّبت على قطع العلاقة بالواقع المطلق، أي بالله الشخصي اللامحدود، والذي يقيم العلاقات.

ما هو التأمّل التجاوزي؟

المصطلح «التأمّل التجاوزي» Transcendental Meditation (TM)، كان قد عمّمه مهاريشي ماهيش يوغي Maharishi Mahesh Yogi في أواخر الستينيات من القرن الماضي. جاء تشخيصه للمأزق البشري، أننا نحن الذين كنا في الواقع جزءًا من (أو امتدادًا) للبراهمان المطلق، كنا غير مدركين لهذا الواقع بسبب جهلنا (avidya) وانشغالنا بالأمور الدنيوية. فصرنا في حاجة إلى «تجاوز» الأمور الدنيوية والتعالي عليها، والتسامي فوقها عبر ممارسة التأمّل المناسب (TM)، لكي نكون قادرين أن نحظى باتّحادنا مع اللامحدود. (للمزيد حول هذا الموضوع، راجع «ماذا تعني اليوغا، وما هو التعليم وراء هذه الممارسة؟» صفحة ٢٢٦) كان هذا التعليم التقليدي، بأنّ الكل هو الله، للغورو القديم العهد سنكرا Sankara (٧٨٨–٨٢٠ م).

إلاّ أنّ ماهيش يوغي اقترح طريقةً عمليةً جدًا ومتواضعة للتأمّل، والتي لا تتطلّب أيّ نوعٍ من التعقيد، ولا أي علم بالهندوسية أو بالفلسفة التكهّنية. ففي قاعة الصّلاة الخاصة به والمسماة أشرم Ashram في شمال الهند، يقوم بتعيين كلمة تتألّف من مقطع لفظي واحد فقط لكلّ واحد من المتعبّدين في اللغة التي يرتاحون في استخدامها. على كل متعبّدٍ أن يقوم بتكرار الكلمة بصوت مسموع كأنشودة، خلال جميع لحظات يقظته. ويمكن للمرء أن يتحوّل إلى وضعية صامتة، ما دام الإنشغال مستمرًا بتلك الكلمة. بعد بضعة أيام، وبعد انشغال العقل الواعي بالكلمة، يُنصح المتعبّد بأن يطرد فكرة هذه الكلمة ليصبح العقل (نظريًا) فارغًا. في لحظة الفراغ تلك، يمكن للمرء أن يحظى فجأةً بتنوير داخلي (Brahmavidya)، يجعله يشعر بأنه كان امتدادًا للبراهمان. وعند هذا الحدّ يكون المرء قد استطاع أن يتجاوز حدود ما هو عابر من أجل الحظو بالتحرر الداخلي، والذي هو توق قلب الإنسان.

حين نتأمّل للحظات في ما سبق، يبيّن لنا أن التأمّل الذي أوصى به المهاريشي، ينطوي على تفريغ للعقل – تأمُّل خالٍ من أيّ فحوى أو مضمون. حجّته أنّ تراكم الأمور داخل عقولنا البشرية، هي التي تقف في طريق معرفتنا الحقيقية للامجدودية. أحد الفلاسفة الأقل شهرةً، والذي عاش معظم حياته في أكسفورد، إنجلترا وتوفي عام ١٩٨٦، كان الدكتور ج. كريشنامورتي Dr. J. Krishnamurti هذا، قام بتحديد مشكلة الإنسان في أفكاره، وهي نتيجة عملية تكييف كنا قد تعرّضنا لها أثناء حياتنا كبشر لدى مرورنا بمراحل مختلفة من التطوّر الفكري. ودعا إلى «التحرّر من الأفكار» كوسيلة للتحرّر والانعتاق، مع أنه لم يتوصّل إلى تقنية متقنة كما فعل مهاريشي. تعترض هذا المنهج بعض المشاكل الفلسفية والعملية. عقولنا مصمّمة لتُفكّر، وإن أردنا أن تتجاوز (أو أن تتخلّص من) التفكير، فإنّ علينا أن نفكّر! الغورو الذي يقول لنا إن أفكارنا هي المشكلة، قد توصّل إلى هذا الاستنتاج، وهو يشاركنا فيه فقط من خلال استخدام القدرات التي يشجبها هو. نحن محاصرون داخل شبكة من التناقضات التي لا مفرّ منها. وفي الواقع، فإنّ الاستنتاج المنطقي من هذه الفلسفة هو ضرورة إلتزام الصمت التام، أي غياب التواصل. يلحظ الكتاب الهندي القديم المسمى كينوبانيشاد Kenopanishad هذا الاقتباس الذي لم تُثبت صحّته: «الذي يتكلّم لا يعرف، والذي يعرف لا يتكلّم!»

قد يُوجد بُعدٌ شيطاني أيضًا لهذه الفكرة من التأمّل الخالية من المضمون. ففي تعليم مدوّن في إنجيل متّى، يبدو يسوع كأنه يشير إلى حالة حيث خرج روحٌ شريرٌ من شخصٍ ليعود «فيجده فارغًا مكنوسًا مزيّنًا» (متّى ١٢: ٤٣–٤٥). يمكن أن يكون هذا حالة الشخص الذي عقله هامد وغير منشغل بشيء بعد أن تمّ إخلاؤه من جميع الكيانات الأخرى. قديمًا، كان عندنا قولٌ مأثور، مفاده أنّ العقل الراكد والخمول هو «ورشة عمل الشيطان.» وحيث إن «التأمّل التجاوزي» وغيره من أنواع التأمّلات الأخرى، لا ترتكز على الحقيقة الموضوعية، هناك مجال ليس للوقوع

coptic-books.blogspot.com

في الضلال فحسب، وإنما للتورّط أيضًا في التعامل مع الأرواح. يُسرّ الشيطان بقمع (وحتى امتلاك) العقل الشاغر لغير المؤمن، حيث لا يوجد سعي وراء الله الحق.

نحن نفعل حسنًا أيضًا إنْ تذكّرنا أنّ التأمّل بهذا المعنى «يبحث داخليًا» باتجاه الذات بدلاً من «البحث خارجيًا» باتجاه الله. بما أنّ التعليم الماورائي الذي يقف وراء هذا التأمّل، هو أننا امتداد لواقع براهمان اللامحدود، نحن مدعوون إلى النظر إلى الداخل للتحقق من «حقيقة» كوننا جزءًا من اللامحدود. كانت خطيّة زهرة بنت الصبح أنه أراد أن يجعل نفسه مثل العلي (إشعياء ١٤: ١٢-١٤). هذه المحاولة لتحقيق الذات كجزء من اللامحدود، هي أخدع شكل من أشكال الوثنية، وبالتالي هي مدخل لا مفرّ منه لعمل الشيطان.

بالمقابل، فإنّ اللهَ المثلث الأقانيم في الإيمان المسيحي، قادر على التواصل الأبدي. هو الله الذي يخلق من طريق التكلّم، حتى بات بالإمكان اعتقاد أنّ الكون حقيقي وموضوعي، تمامًا كما هي حال الكلمة المنطوقة. لقد خلقنا هذا الإله قادرين على التفكير والتكلّم. لذا، فالتقليل من شأن هبة التفكير، يُعدُّ احتقارًا لذاتنا المخلوقة. يمكن للمسيحيين في الغرب أن يتصرّفوا كردّة فعل على أساليب التأمّل الغريبة والدخيلة هذه، والتي يُعلّمها دعاة العصر الجديد، وذلك بتبنّيهم موقفًا مناهضًا للتأمّل. غير أنّ الردّ على التأمّل المغلوط لا يمكن أن يكون بنفي التأمّل تمامًا، ولكن بالتأمّل الصحيح. نحن في حاجة إلى الردّ على التأمّل الخالي من المضمون لحركة العصر الجديد بالتأمّل في المضمون. فالكتاب المقدَّس يدعونا إلى التأمّل في كلمة الله (المزمور ١: ٢)، وإلى التفكير في «كلّ ما هو حق، وكلّ ما هو جليل، وكلّ ما هو عادل، وكلّ ما هو طاهر، كلّ ما هو مسرّ، كلّ ما صيته حسن، إن كان فضيلة وإن كان مدح...» (فيلبّي ٤: ٨). المسيحيون اليوم هم في خطر جعل الكلمة على أقراصنا الإلكترونية المدمّجة، بدلاً أن تكون في قلوبنا (المزمور ١١٩: ١١).

علينا أيضًا أن نتخطى حدود الفهم الدماغي لكلمة الله إلى التفاعل الشخصي معها بالتأمّل، بحيث نصبح عناصر منخرطين في السرد الخاص بالإعلان الإلهي، لا مجرّد متفرّجين ندرسه من الخارج. إنّ عمل التغيير الذي يجريه الروح القدس لا يصبح حقيقة واقعة في حياتنا إلاّ عندما يواجهنا شخص يسوع المسيح في الكتاب المقدَّس (٢كورنثوس ٣: ١٨). إنّ فهمًا أوفى وتطبيقًا للنص من رسالة كورنثوس الثانية ١٠: ٤ و٥ ينطوي على إطلاق داخلي لقوة الله من خلال الكتاب المقدَّس، بحيث يتمّ هدم حتى المعاقل العقلية لحياة الفكر، ويجري استئسارها إلى طاعة المسيح.

إنني على ثقة بأنّ تردّدي لجهة اقتراح تقنية جديدة، وبكل معنى الكلمة، لعملية التأمّل في الكتاب المقدَّس، ستحظى على التقدير اللازم. فأنا أمقتُ فكرة إضفاء الطابع المطلق على أية منهجية، فأحطّ بذلك من قدر اللاهوت المجيد للكتاب المقدَّس. أودّ أن أقترح بدلاً من ذلك أن يكون تركيز العصر الجديد على الجانب الذاتي والشخصي للتأمّل الدِّيني، بمثابة حافز لنا على دراسة الكتاب المقدَّس على صعيد فردي وشخصي، كما يحثّنا على هذه الممارسة المشروعة الكتاب نفسه، لكن من دون الانحراف إلى التصوّف الذي لا أساس له. وبعد ذلك فقط، سنكون قادرين من الناحيتين النظرية والعملية، أن نردّ على ادّعاءات جماعات التأمّل في حركة العصر الجديد.

الخلاصة

تشير تطلّعات الهندوسية الكلاسيكية وحركة العصر الجديد الحديثة إلى قطبين متعاكسين ضمن الطيف اللاهوتي الواحد. الأول يُعنى بوجود آلهة شخصيين محدودين، في حين يؤكّد الثاني على وجود واقع لامحدود وغير شخصي. وبالتالي، أمامنا هنا مؤشراتٌ إلى أنّ أتباع هذه الحركات

 coptic-books.blogspot.com

يتوقون إلى تكوين علاقة بينهم وبين الآلهة من جهة، وإلى بلوغ الواقع المطلق إذ يصبحون لامحدودين من جهة أخرى. هذان المطلبان متوافران بشكل أكثر من كافٍ في إله الكتاب المقدَّس، الذي هو لامحدود وشخصي ويحبّ إقامة العلاقات لأنه مثلّث. وبصفتنا كنيسة الله، تبقى وسيلتنا الدفاعية النهائية متمثلّة في المجتمع المسيحي المحبّ، الذي يعلن للعالم أننا تلاميذ المسيح (يوحنا ١٣: ٣٤ و٣٥).

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. ما هي بعض العلامات التي يمكنك البحث عنها ضمن معارفك، والتي قد تشير إلى أنهم يفتِّشون عن أجوبة في إطار دين العصر الجديد؟

٢. خذ بعض الوقت للتفكير في حجم خطيّة الإنسان كتمرّد كوني وفي كفاية التضحية الكفّارية التي قدّمها يسوع المسيح ليخلّصنا من الخطيّة، وذلك في ضوء الأفكار غير الملائمة عن الخطيّة وطريقة التكفير عنها، كما تظهر في الديانات التي ناقشناها أعلاه. ماذا يدور في ذهنك حيال ذلك؟

٣. كيف يمكن للكنيسة (والعائلة المسيحية) أن تكون نموذجًا مناسبًا لتعكس الوحدة والعلاقة القائمة بين الثالوث، فتستميل بذلك أتباع ديانات العصر الجديد. ناقش تداعيات ذلك على أفراد العائلة، وعلى الإخوة المؤمنين.

الفصل التاسع

أسئلة صعبة عن اليوغا والتقمّص والبوذية

إل. تي. جياكاندران L. T. Jeyachandran

coptic-books.blogspot.com

كما سبق لنا أن ذكرنا في الفصل الثامن، يواجه المسيحيون في الغرب ثقافةً تزداد تأثّرًا أكثر فأكثر بحركة العصر الجديد، وبفلسفات وممارسات دينية شرقية أخرى. إلى ذلك، لاحظنا أيضًا كيف أنّ المسيحيين ينبغي لهم ألا ينظروا إلى الأجوبة اللاهوتية والفلسفية التي تقدّمها هذه الديانات البديلة فحسب، بل أن يمتحنوا أيضًا الجذور الأساسية التي تنبع منها هذه التعاليم.

مثلاً، تعلّم المسيحية من دون أي شك أنّ الزمن متعاقب، وأننا نحن البشر مسؤولون عن الأعمال التي عملناها في هذه الحياة، بما أنّ الله سوف يُحاسبنا في نهايتها (عبرانيين ٩: ٢٧). وبالتالي، فإنّ الإيمان بالتقمّص أو بأي وجود وسطي بين الحاضر وما سيأتي من أبدية، ترفضه تعاليم الإيمان المسيحي. مع ذلك، فإنّ الإهتمام بعقيدة التقمّص في الغرب ضمن إطار ما بعد المسيحية، قد ينشأ لسببين:

أولاً، يتوق الكثير من الناس إلى التواصل مع الأموات. فرغبة المطران جيمس پايك Bishop James Pike في التكلّم مع ابنه الراحل منذ سنوات عدة، شكّلت عناوين الجرائد، ثم تلاها وابل من القصص عن أولئك المدّعين بأنهم تواصلوا بنجاح مع الأموات. ثانيًا، يبدو التقمّص أنه بديل مفضّل على مواجهة دينونة إله كلّي القداسة. يقدّم التقمّص، بطريقة شبه آلية تستند إلى الفعل وردّ الفعل، تفسيرًا للحياة بعد الموت من دون تحميل الفرد أية مسؤولية أخلاقية محدّدة.

coptic-books.blogspot.com

تعرض بعض هذه الديانات والممارسات حلاً مريحًا وسريعًا لنمط الحياة المليء بالتوتر خلال القرن الواحد والعشرين. فاليوغا والتأمّل من المفترض أن يكونا فعّالَين في إلغاء الأعراض الناجمة عن سرعة وتيرة الحياة في المجتمع الغربي. دعونا إذًا نتفحّص بعض هذه التعاليم بالتفصيل.

ماذا تعني اليوغا وما هو التعليم الكامن وراءها؟

إنّ التعبير يوغا، بحسب اللغة الهندية القديمة، يعني في الحقيقة الإتّحاد. وكما ذكرنا في الفصل الثامن (انظر ما هو «التأمّل التجاوزي» صفحة ٢١٨)، يرجع المأزق الإنساني إلى جهلنا لحقيقة أننا امتداد للواقع الأزلي واللاشخصي، أي «براهمان». إنّ الصفة «لاشخصي» تنطبق على براهمان، لأنّ الواقع المطلق يُعتبر أنه يتخطى حدود الميزات– يتخطّى الخير ويتخطّى الشر– ويُقال عنه أيضًا إنه يتخطّى الكينونة وعدم الكينونة. السبب وراء التنكّر لوجود أية ميزات للواقع المطلق هو من قبيل الحرص الشرعي على صونه، بما أنّ ميزات كهذه سوف تقيّد البراهمان. والمقصود هنا أنّ الكلمات والصفات، مثل الصلاح والوجود سوف تنفي صفتَي عدم الصلاح وعدم الوجود. إذًا، براهمان يُعتبر أنه «نرغونا» nirguna، أي من دون صفات. (لقد صرّحتُ أنّ هذا الإهتمام بجعل براهمان فوق حدود الصفات (أو حتى يخلو منها بالتمام) هو شرعي فقط على قدر ما تبدو الصفات مترابطة وبالتالي نسبية. سوف نتناول الإجابة عن هذا السؤال الفلسفي والعميق في القسم اللاحق من هذا البند). ينبغي أن يكون هدف الشخص الذي يسعى وراء الحقيقة، بلوغ الاتّحاد مع هذا الواقع اللامتناهي وسط انشغالات الحياة، والتي تبدو أنها تحجز الباحث بين جدران الاهتمامات المادية والأخلاقية.

تُستخدم العبارة يوغا بطريقة شاملة ومتبادلة مع ألفاظ أخرى لوصف بعض التقنيات والممارسات الذهنية والجسدية، والتي تسهّل عملية اتّحاد المحدود مع اللامحدود. يُرجى ملاحظة أنّ الاتّحاد لا يتحقّق، وحتى لا تدعو الحاجة إلى ذلك بما أنه حقيقة واقعة ولكن مخفيّة عنا بسبب قوة الوهم المسمّاة «مايا» maya. المطلوب إذًا، إدراك الاتّحاد الكائن أصلاً، بدلاً من التوصّل إلى اتّحاد لم يكن موجودًا منذ البداية.

للتوصّل إلى تحقيق الذات هذا، هناك سلسلة من التقنيات الجسدية والتأمّلية المقترحة. هذه الأساليب ليست واحدة أو متشابهة بأي شكل من الأشكال، بل هي في الواقع مختلفة تمامًا، حسب مدرسة اليوغا المعيّنة التي تعود لها. تبدأ التقنيات ببعض التمارين الرياضية، مع أنها في بعض الحالات قد تتضمن عبادة الشمس أو شكل زهرة اللوتس، والتي تُعدّ مسكنًا لإلهة الثروة، «لاكشمي» Lakshmi. أشكال العبادة هذه، تتوقف على التفضيلات اللاهوتية للمدرسة الهندوسية التي تعود إليها اليوغا. وكي لا تؤذي المشاعر الحساسة عند الغربيين، اليوغا في هذه الأيام قائمة كسلسلة من التمارين البدنية التي لا تحمل أية صبغة دينية، وفي معظم الحالات، يمكن أن يكون لهذه التمارين فوائد جسدية.

يشجّع معلّمو اليوغا في كثير من الأحيان الطلاب على التأمّل من دون أن يُخبروهم بالضرورة عن مضمون تأمّلهم هذا، ولا كيفية القيام بذلك. يطلبون من الطلاب المسيحيين أن يتأمّلوا حتى بيسوع المسيح! الفكرة من ذلك هي بالطبع أن يفكّر المرء ويتأمّل في موضوع تأمّله. هذا الأمر تحديدًا لا يدعو إلى القلق الشديد. لكن مع تقدّم المرء في دراسة اليوغا، فإنه يُدعى إلى المشاركة بشكل متزايد في التأمّل الذي يترتّب عليه تفريغ العقل. في ١٦ تموز ٢٠٠١ قام الغورو الهندوسي بهارات ثاكور Bharat Thakur في عدد من مجلة «تايم» *Time* (آسيا)، يسخر من ممارسة اليوغا في الغرب بهدف اكتساب اللياقة البدنية فقط. إنه يقسم الممارسة إلى قسمين: الخارجي والداخلي. الخارجي يضم الناحية الجسدية، ووجهة

coptic-books.blogspot.com

نظره هي أنّ الغرب لا يهتم إلا في هذا الجانب من دون الرغبة في الدخول إلى القسم الداخلي. حجّته هي أنّ اليوغا صفقة متكاملة، وأن لا خيار للمرء أن يفصل بين الجانبين. إنه يقترح ما يلي للولوج إلى الجانب الداخلي:

> أنت في حاجة الى مُتمرّس خبير لينقلك إلى اليوغا الروحية. شخصٌ قد مشى داخل نفسه. خبيرٌ كهذا سوف يسأل: الآن يا صديقي، وقد عرفت الجسم، وعرفت أنفاسك، وعقلك، فماذا بعد؟ بعد ذلك تبدأ الرحلة إلى المجهول حيث يجعل الخبير الطالب يُدرك بشكل تدريجي في كل مرحلة، أنك لست الجسد ولا العقل ولا حتى الروح. عندها تذوق للمرة الأولى روعة «الموكشا» mokcha (أي الخلاص)، أو الاستنارة. إنه الشعور بافتتاح الصمت، حيث تفقد نفسك وتسعد بذلك، حين تندمج للمرة الأولى الأنا، مع ما هو فائق. ستشعر بأنك لم تعد موجودًا، لأنك عبرت وادي الموت. وإذا بدأت بالسير أكثر فأكثر في هذا الوادي، تصبح أكثر حرية. إنها رحلةٌ تنقلك من كيانك إلى عدمه. رحلة من المعروف إلى المجهول. من وادي المعرفة الكلية والأشياء والأنا إلى الاستسلام المطلق حيث لا يبقى شيء منك سوى الوعي الصافي. تنتقل إلى مرحلة خالية تمامًا من الخوف أو الموت. أو العيش. هذا هو المفهوم في بلاد الهند عن الشخص الذي يمارس اليوغا. إنه الذي انتقل من الجسم إلى العقل، فإلى الروح، فإلى الوعي، فإلى الاستسلام المتقن لما هو فائق. لذا، لدى توجّهك في المرة التالية للالتحاق بدرس اليوغا، إسأل نفسك إن كنت مستعدًا أن تكون باحثًا عن هذا الدرب.[1]

يوضح هذا الاقتباس الصادر عن غورو التابع لحركة العصر الجديد نقاطًا عدة:

- الجانب الجسدي لا معنى له، ويجب تجاوزه إن كنا ننوي بلوغ مرحلة التفوّق. يجب عدم خلط هذا مع كلمات بولس في ١كورنثوس ٩: ٢٧. وهنا يدعو بولس إلى السيطرة على الجسم المادي الحقيقي. إنه يعتبر أنّ الجسد هو شرير بحدّ ذاته أو غير حقيقي، ولا بدّ من تجاوزه من أجل بلوغ «الموكشا».
- على المنطقية والعقلانية أن تتلاشيا لصالح غير المنطقية أو الفوق–منطقية. فما دمنا نستخدم عقولنا، سوف نبقى في حالة أدنى. نظرية المعرفة في فلسفة «الكلّ هو الله» Pantheism (والتي هي أساس اليوغا) تبقى إذًا مجهولة وبالتالي غير قابلة للتأكيد أو التثبيت.
- إنّ ألفاظًا من صنف الاستسلام لا معنى لها، وذلك لغياب أي كيان أو شخصية للاستسلام لها. وغالبًا ما تُستخدم هذه الكلمة للدلالة على اللاشيء المطلق، الذي يبدو أنه فحوى الواقع المطلق.
- كذلك، فإنّ الاستنارة هنا لا تعني المعرفة الموضوعية لشيء أو شخص ما، إنما يتمّ استخدامها هنا في معرض الإشارة إلى تحقيق الذات، وإلى اتّحاد الفرد مع البراهمان المطلق.

الردّ المسيحي على هذا الهجوم العنيف على الحق، ينبغي أن يكون نابعًا من علم الوجود (الكينونة)، ومن الأخلاق، ونظرية المعرفة (العلم) الخاص بالثالوث. ذلك لأنّ عبر الله المثلّث الأقانيم وحده، يمكن أن نحصل على مغزًى لوجودنا في علاقة ما. إنّ تركيز الإنسان الغربي (وفي بعض الأحيان المسيحي) على الفردية، يجعله يسقط فريسة لهذه الفلسفة عينها. كما نحن في حاجة حتى أيضًا إلى إعادة تعريف الشخصية، ليس على أساس بعض العوامل المبهمة الخاصة بالفرد وحده كالمنطق، والعاطفة، والإرادة، بل بالحري من خلال تحقيق هذه الصفات في العلاقة بالله، والبشر، وباقي الخلق. كذلك، فالأخلاق المجسَّدة بالمحبة تمثّل بالنسبة إلى المسيحي طبيعة العلاقة داخل الثلوث (يوحنا ١٧: ٢٤

coptic-books.blogspot.com

ورومية ٥: ٥، حيث الآب يُحبّ الابن من خلال الروح القدس). مرةً أخرى، الأخلاقية الفردية، الموصوفة في عبارات مثل «القداسة الشخصية»، لا يمكنها أن تصمد في وجه الأخلاق النسبية التي تقدِّمها هذه الفلسفة. يجب على القداسة أن تُفهم على أنها علاقة شخصية بالله، وبنا أيضًا نحن المخلوقين على صورته. كما أنّ المعرفة متجذرة في المعرفة الأبدية المتبادلة داخل الثالوث (متّى ١١: ٢٧)، وليس في تحقيق الذات الذي تدعو إليه حركة العصر الجديد. إنّ تركيز المسيحي على المعرفة الموضوعية، يجب أن يشمل المعرفة الشخصية ذات العلاقة بالله وخليقته.

ولذلك، فإنّ الردّ المسيحي على اليوغا يكون من خلال تكوين علاقة بالله مبنية على المعرفة، وتظهر بعلاقة محبة تربطنا بالآخرين وبالعالم. هذه هي الحياة الأبدية (يوحنا ١٧: ٣)، كما أنّ تكميل الناموس والأنبياء يتمّ من خلال حفظ هذه الوصايا (متّى ٢٢: ٣٤–٤٠).

ما هو التقمّص؟

التقمّص هو الاعتقاد أنّ الكائن (البشري أو الحيواني أو النباتي، أو المعدني)، وبعد توقّفه عن الوجود على هذه الأرض، سوف يشهد ولادة جديدة، ويدخل الوجود ثانية تحت شكل كائن آخر. يستند هذا المعتقد إلى فرضيّتين: أولاً، إنّ الوقت يُعيد نفسه بشكل دوري، وفي بعض الأحيان تكون صيغته «الخلود»، وأنّ كل ما يحدث سيحدث من جديد. وثانيًا، يعتمد مستوى درجة الولادة التالية على الأعمال التي قام بها الكائن في حياته السابقة.

الإيمان بالتقمّص هو أمر شائع في الهندوسية والبوذية، على الرغم من اختلاف الآليّات المعتمدة عندهما. فكلّ من هندوسية تعدّد الآلهة، وهندوسية الكل هو الله، ينظر إلى التقمّص من زاوية مختلفة بعض الشيء. ففي اعتقاد الهندوسي أنّ الروح الفردية «الجيڤاتمان» jivatman،

هي امتداد للروح الأزلية «پاراماتمان» paramatman، أو ببساطة «أتمان» atman. إنّ هوية الفرد في أيّ من أنواع الحياة هي «الجيڤاتمان» في شكل اكتسبه من الأعمال («الكارما» karma) التي قام بها في الحياة السابقة. عندما يهجر «الجيڤاتمان» شكله المعيّن عند انتهاء حياةٍ ما، فإنه قد يبدأ بالوجود في شكل جديد كليًا تقرِّره الكارما أيضًا، وهكذا تستمرّ الدورة.

في الهندوسية المتعدِّدة الآلهة، فإن الآلهة والإلاهات أنفسهم، يُنظر إليهم من زاوية خضوعهم لعمليات تجسيد أو تقمّص، وبالتالي فإنّ تاريخهم البشري ليس من الضروري أن يكون مطلقًا. هذا يبيّن أيضًا سبب عدم إنزعاج الهندوسي المؤمن بتعدّد الآلهة، حيال ظاهرة غياب الصفات الأخلاقية المثالية داخل مجمع الآلهة. مع ذلك حصل في الآونة الأخيرة تطوّر لأحد الآلهة، «كريشنا» Krishna، الذي يُعتبر في الهندوسية الكلاسيكية بمثابة تجسّد، بل هو في الحقيقة واحد من تسع تجسّدات، مع تطلع بعض المتعبّدين إلى حدوث التجسّد العاشر الكامل لإله الحفظ «ڤيشنو» Vishnu. كريشنا هذا ارتقى إلى المستوى الفردي اللامحدود. هذه هي المرتبة اللاهوتية عينها المعطاة لله في الإسلام واليهودية والمسيحية. والمتعبّدون لهذا المفهوم عن كريشنا، ينتمون إلى الجمعية الدولية لِوَعي كريشنا – International Society of Krishna Consciousness (ISKCON). سوف أقول المزيد عن هذه الجماعة في ما يلي (انظر الصفحتين ٢٣١–٢٣٢).

فكرة الخلاص عند المؤمنين بتعدّد الآلهة، هي التوصل إلى أعلى وأسمى درجة من درجات الولادات الممكنة، والتي يعتبرها الكثيرون أنها الولادة كبراهمان Brahman. بعد أداء الشعائر الدِّينية والواجبات، كزيارة الأماكن المقدَّسة والاستحمام في الأنهار المقدَّسة وتقديم القرابين والعبادة «بوجاس» (pujas) في المعابد المختلفة، يبلغ المتعبّد «الموكشا» (الخلاص). تُفهم الأعمال الصالحة، ليس على أنها السلوك الأخلاقي الذي

coptic-books.blogspot.com

سيُقاس مقابل المستلزمات العادلة لإله، ولكن كتتميم لواجبات دينية تُمارَس بدقة وفقًا للقواعد المنصوص عليها في «الڤيداس» Vedas (الكتب المقدَّسة القديمة لدى الهندوس). إجتماعيًا، إنّ ممارسة البراهمانية كنمط حياة، أصبحت مذمومة بسبب التمييز الطبقي الذي يمارسه البراهمن ضدّ أولئك المنتمين إلى «ولادات أدنى». وبذلك فإنّ الحجّ إلى الأماكن المقدَّسة مشروع لجميع شرائح المجتمع الهندوسي، مع أنه توجد مناطق في المعابد والأنهار حيث لا يُسمح للطبقات الدنيا بالدخول إليها حتى في الزمن الحالي. إنّ أداء الفرائض الدِّينية في المعابد، لا يزال إلى حدّ كبير محصورًا بكهنة البراهمان.

مفهوم الخلاص بين أوساط عبدة الآلهة المتعدّدة غامضٌ بعض الشيء. مع أنه يتضمّن بلا شك الفرار من دائرة الولادات، يبقى أنه لا يحدّد بوضوح ما إذا كان الأمر يتعلّق بعملية دمج لما هو دون باللامحدود، أم إن كان تواصلاً مع إله شخصي. المتعبّدون من جماعة ISKCON سيقفون بلا شك في صف الاحتمال الأخير وسيتحدثون عن الخلاص على أنه التواصل مع كريشنا، في حين نرى أنّ أتباع العصر جديد من دعاة «الكلّ هو الله» Pantheism، وبعضًا من أشكال الهندوسية التي تعبد آلهة متعدّدة، سيقفون في صف الاحتمال الأول، أي الانصهار داخل البراهمان اللامحدود.

نظرية الكل هو الله الهندوسية، تُعامل الشخصية باعتبارها مظهرًا أقلّ شأنًا مما هو غير شخصي (كما سبق ذكره أعلاه). وبذلك فإنّ الإيمان بآلهة شخصيين يُعتبر شكلاً بدائيًا لفهم البراهمان المطلق، ذلك لأنّ هذه الآلهة عينها، هي مظاهر أقل شأنًا للواقع المطلق Ultimate Reality. ومع ذلك، يشجّع المؤمنون بأن الكل هو الله أولئك الذين يدينون بتعدّد الآلهة أن يستمروا أوفياء لهذه الآلهة والإلاهات، إلى حين بلوغهم مرحلة الإستنارة حين سينعتقون من دوّامة الولادات المتكرّرة والمسماة «كارما سمسارا» Karma Samsara. وبذلك، بحسب المؤمنين بأن الكلّ هو واحد،

فإنّ التقيّد بالدورات الكارمية الخاصة بعمليات التقمّص يعني أنه لم يتم التوصل بعد إلى مرحلة «البراهماڤيديا» brahmavidya بعد. وبعبارة أخرى، إنّ وعيي الذاتي كإنسان، هو الدليل على أنني ما زلت جزءًا من هذه الدورة، وأنني ما زلت في حاجة إلى أن أتحرّر من خلال اتّحادي الحقيقي (اليوغا) مع البراهمان اللامحدود.

يقوم بعض الهندوسيين المعاصرين بمعارضة فكرة التقمّص هذه، وذلك بناءً على الأسباب التالية: أولاً، هناك مشكلة في تقييم الكارما الجيدة (الأعمال). إذا كان بإمكان كائن ما أن ينتمي إلى جميع فئات الحياة واللاحياة، كيف يبقى بإمكان أحدهم أن يعزو سلوكًا صالحًا ما لمخلوقات غير شخصية؟

ثانيًا، هناك مشكلتان تواجهان المؤمن بأن الكل هو الله Pantheist: إحداهما هو أنّ الواقع بأكمله يشكّل وحدة، وبالتالي لا يمكن التفرقة بين كارما مخلوقٍ ما عن كارما غيره. أيضًا، يُصرّ المؤمن بأن الكلّ هو الله على المطلق اللاشخصي، وبالتالي لا يمكنه العثور على أي أساس لمعيارٍ يصلح لقياسِ السلوك الكارمي.

ثالثًا، وبنسبة أقلّ من الجدية، لقد رأى بعضهم أنه، نظرًا لنمط الحياة الأخلاقية المتدهور في جيلنا الحالي، فإنّ عددًا قليلاً فقط من البشر سيولدون «مجددًا» ولادةً بشرية. الحيوانات وألواح الغرانيت، لا يمكنها في كل الأحوال أن تعيش حياةً أخلاقية، وبذلك لا يسعها أن تطمح لتصبح بشرًا. فلماذا إذًا نشهد كلّ هذا الإنفجار السكاني الهائل؟

المؤمن بأن الكل هو الله، يلجأ عادةً إلى الفعل وردّة الفعل في معرض مناقشته للكارما. بحسب زعمه، بما أنّ لكل فعل ردّة فعلٍ، فإنّ كارما حياتنا المستقبلية هي ردّة فعل على ما فعلناه في حياتنا السابقة، ونحن لسنا بمؤهّلين لأن نعطي مدلولاً أخلاقيًا لهذه الظاهرة. لقد سمعت بعض المؤمنين بأن الكل هو الله يرجعون إلى غلاطية ٦: ٧، «ما يزرعه الإنسان

coptic-books.blogspot.com

إيّاه يحصد أيضًا»، غير أنهم يختارون بالطبع أن يتجاهلوا السياق الأخلاقي الذي يكتب فيه بولس هذا التصريح.

يمكن للمسيحي الاستفادة من تعاليم الكارما. أحيانًا، وفي سياق كرازتنا بإنجيل النعمة، لم نتطرق على نحو ملائم إلى موضوع الأعمال الصالحة. فأمام العرش الأبيض العظيم المصوّر في سفر الرؤيا ٢٠: ١١–١٥، نجد كيف أنّ البشر سوف يُدانون على أساس ما فعلوه. ولئن كان من الصحيح القول إنّ الجحيم هو نصيب أولئك الذين رفضوا المسيح، لا ينبغي لنا أن نتغاضى عن حقيقة أنّ «الأسفار» في هذا المقطع هي سجلات بأفعال البشر، التي من خلالها سوف يُدانون. الخلاص المسيحي هو بالتالي تدخّل الله المتجسّد، يسوع المسيح، لكسر دورة الكارما من طريق تحمّله لدَين الكارما الخاص بنا، لأنه من خلال الكارما الخاص بنا، لم يكن بإمكاننا إرضاء الله الكلّي القداسة. فشخصيّته الخاصة به تشكّل المعيار الذي من خلاله يحكم على البشر. أولئك الذين ينجون من الحكم، يفعلون ذلك ليس من خلال خفض المعيار، ولا من خلال بلوغه والعيش على مستواه، (لأنّ هذا مستحيل)، ولكن من خلال استيفاء الشروط في شخص يسوع المسيح الذي أخذ مكاننا.

يمكننا أيضًا استخدام النتائج التي توصّل إليها العلم للتصدّي لفكرة طبيعة التاريخ الدورية. فمن جملة الأبعاد المألوفة لدينا، عندنا الأبعاد الثلاثية للطول والعرض والارتفاع والمختصة بالمكان، بالإضافة إلى بُعد آخر وهو الوقت أو الزمن. الوقت وحده له اتّجاه واحد. فبالنسبة إلى الأبعاد الأخرى، يمكن السفر في اتّجاهَين متعاكسَين: اليمين أو اليسار، إلى الأمام أو إلى الخلف، إلى أعلى أو إلى أسفل. ولكن في ما يخصّ الوقت نحن نتحرّك فقط نحو المستقبل. وهذا يبيّن بشكل حاسم أنّ الوقت يتبع خطًا مستقيمًا وليس دائريًا. صفة الوقت هذه، أدهشت علماء الفيزياء الذين صاغوا عبارة «سهم الوقت» لوصف ذلك. لذا، فإنّ ما نقرأه في عبرانيين ٩: ٢٧، «وُضع للناس أن يموتوا مرةً ثم بعد ذلك الدينونة»، يتّفق بشكل

أكبر مع المفهوم العلمي للوقت، منه مع الاقتراح القائل إن هناك سلسلة لا تنتهي من الولادات والبعث الجديد.

هناك كلمة يجب أن تُقال في الجمعية الدولية لوعي كريشنا ISKCON. ففي حين لا يُمكنني القول إن الإيمان بكريشنا كإله لامحدود وشخصي، هو الخطوة المنطقية التالية في تطوّر الهندوسية، وذلك بسبب الصراعات والتناقضات التي ناقشناها أعلاه، إلا أنه من الإنصاف القول إن قلب الإنسان يتوق إلى تكوين علاقة شخصية ومشبعة، هذه الحاجة التي تعجز عن سدّها فكرة التقمّص. إنّ حركة «بهاكتي» bhakti في الهندوسية، والموجودة منذ قرون، هي مظهر من مظاهرالإخلاص لله، وقد وجدت تعبيرًا لها في الآونة الأخيرة في ISKCON. يمكن التعرّف بأتباع هذه المجموعة من خلال رؤوسهم المحلوقة. إنهم لا يخجلون من السير في الشوارع وهم يهتفون «هاري راما، هاري كريشنا» «Hare Rama, Hare Krishna»، وهي عبارات تعبّدية تنسب العز والشرف إلى الإلهَين راما وكريشنا. هذه المجموعة لا تؤمن بالتقمّص أو بالانصهار مع البراهمان غير الشخصي، بل يعلّمون أنه من خلال التكريس لكريشنا في الحياة الحاضرة، سيتمكّن البشر من التمتّع بالتواصل الأبدي معه في الآخرة.

إن لقائي الذي جمعني في عام ١٩٩٧ مع بعض المتعبّدين من جمعية ISKCON قد يهدينا إلى الطريقة التي بها تُبنى الجسور، لمشاركة الإنجيل مع الذين عندهم وجهات نظر تختلف كثيرًا عن تعليم الإنجيل. إنّ هذه المجموعة الصغيرة من حَمَلة شهادة الدكتوراه، والذين يدرّسون ويُجرون أبحاثًا في إحدى كليات الهندسة العريقة في الهند، طلبت مني أن أتكلم عن موضوع «الله والعلم». ولكن تحوّل الحوار بطريقة ما، لإجراء المقارنة بين يسوع المسيح وكريشنا. بالنسبة إلى كل جانب من الجوانب التي شاركتهم إياها عن المسيح، كان بإمكانهم العثور على ما يماثلها في كريشنا. وسألوني في نهاية المطاف أن أقول شيئًا عن وجهة النظر المسيحية في السماء، لأنهم زعموا أنّ بعض الكتابات الهندوسية القديمة

تتحدث عن جلوس كريشنا في كل كماله في البهاء السماوي. أنا وافقتهم الرأي أنّ رؤيا ٢١ يتضمّن وصفًا مذهلاً للسماء، ولكن يبدو أنّ هناك اختلافًا جوهريًا، بيننا: فبالمقارنة مع كريشنا «الكامل» بدا المسيح الذي أعبده «غير كامل»، فهو لا يزال يحمل الجروح التي تلقاها على الصليب. ولأول مرة في أثناء الحوار، ساد المكان صمت عجيب عندما شرعت في مشاركتهم في رسالة الإنجيل. أعلمتهم أنه خارج المسيح المصلوب، لا يوجد أمل للجنس البشري في التواصل أبديًا مع الله بسبب طبيعتهم الخاطئة. حركة ISKCON، تعد بالنعيم السماوي من دون المرور بالدورات اللامتناهية من الولادات والبعث الجديد، ولا تحسب حسابًا لعدم أهلية الطبيعة البشرية الخاطئة للسكنى في حضرة الجمال الأخلاقي لله، والمعلن عنه في روعة السماء.

إنّ الأفكار الحالية حول التقمّص هي أكثر انسجامًا مع شغفنا في السلطة والمعرفة بقصد السيطرة على الناس والأحداث. هذه الأفكار تتّفق تمامًا مع بعض الافتراضات الهندوسية العريقة. لعله من المناسب الآن أن نُصدر تحذيرًا مفاده أنّ بعض الحالات المبلّغ عنها عن أولاد صغار يسردون تفاصيل دقيقة لحياة سابقة، هي على الأرجح نتيجة عمل شيطاني أكثر من كونها إثباتًا لنظرية التقمّص. إنّ شهوة التسلّط مرفقة بالإنجذاب إلى كل ما يتعلّق بالأرواح في هذه الأيام، قد يُسفر عنها حصول لقاءات مباشرة مع قوى الظلام، أكثر مما نفتكر أو نظنّ.

ما هي عقائد البوذية؟

بوذا Buddha («الكائن المستنير») هو سيدهارتا غوتاما Siddhartha Gautama الذي وُلد في لومبيني Lumbini (في بلاد النيبال اليوم) داخل عائلة أمراء من عشيرة ساكيا Sakya. جُعل تاريخ ولادته بين ٦٢٤ قبل الميلاد و٤٤٨ قبل الميلاد. ولكن التاريخ المتعارف عليه عمومًا هو

٥٦٠ ق م عاش حياة محميّة، حيث لم يُرد والده أن يتعرّض ابنه الحسّاس لواقع البشرية القاسي. تقول الأسطورة إنه خلال الزيارات التي أجراها خلسة الى العالم الخارجي تقابل، في أيام متتالية، مع رجل مريض، ورجل بالغ في السن، ورجل ميت محمول إلى محرقة الجثث.

سيدهارثا، وبعد استنتاجه أنّ الحياة ليست سوى معاناة نتيجتها المرض والشيخوخة والموت، أقدم على التخلي عن حياته (كربّ أسرة مع زوجة شابة وطفل) في سن التاسعة والعشرين، وبدأ يتجوّل في السهول الشرقية للهند بحثًا عن الحقيقة. ويُقال إنه حصل على الاستنارة في سن السادسة والثلاثين في ليلة اكتمال القمر في شهر أيار / مايو. حدث هذا في غايا Gaya، ما يُعرف الآن بولاية بيهار Bihar في الهند. وخلال ليلة مماثلة لاكتمال القمر في شهر تموز / يوليو الذي تلاه، ألقى أول خطاب له قرب مدينة فاراناسي Varanasi المقدَّسة لدى الهندوس، حيث قام بتعريف العالم بالحقائق النبيلة الأربع. أمّا وفاته في سن الثمانين، فيشير إليها أتباعه بعبارة «پارينبّانا» Parinibbana (Pali; Sanskrit, Parinirvana)، أو الانعتاق الأخير.

بعد مائة سنة على وفاة بوذا، اجتمع المجلس الثاني من الرهبان البوذيين في «ڤايشالي» Vaishali، حيث حدث الانشقاق الأول في البوذية القديمة. أولئك الذين لم يقبلوا كتابات البوذيين الأوّلين على أنها ذات سلطة، انشقوا ليشكلوا «ماهايانا» Mahayana («المركبة الأعظم»). هذه المدرسة البوذية، أصبحت الديانة السائدة في الصين، والتيبت، واليابان، وكوريا. أما الذين خضعوا للكتابات البوذية المقدَّسة، فشكّلوا مدرسة «ثيراڤادا» Theravada («مدرسة الشيوخ»، والمدعوّة أيضًا، إلى حد ما بازدراء، «هينايانا» Hinayana أي «المركبة الأدنى»)، وقد ازدهرت هذه المدرسة في سري لانكا، وميانمار، وتايلاند. ويمكن القول إن البوذية نشأت من ردة فعل على الهندوسية في تلك الأيام، ربما بسبب نظامها الطبقي. لقد جرى إضطهاد البوذيين الأوّلين وطردهم من الهند، وهو

coptic-books.blogspot.com

سبب عدم ازدهار البوذية كدين في الهند، لكنه لقِي إقبالاً شديدًا في بلدان آسيوية أخرى.

حقائق بوذا النبيلة الأربع هي كما يلي:

١ ◂ الحقيقة النبيلة «دوكها» dukkha (المعاناة، وعدم الرضى، والتوتر): الحياة هي في الأساس محفوفة بخيبة الأمل في كل طيّاتها.

٢ ◂ الحقيقة النبيلة المختصّة بمسبّب dukkha: سبب هذا الاستياء هو «تانها» tanha، أي الرغبات في جميع أشكالها.

٣ ◂ الحقيقة النبيلة لكفّ يد dukkha: وضعُ حدٍّ لجميع خيبات الأمل، يكون من خلال التخلّي عن الرغبات.

٤ ◂ الحقيقة النبيلة للطريق المؤدي إلى إيصال dukkha: هناك وسيلة للتخلّص من كل أشكال عدم الرضى، أي الطريق النبيلة ذات الثماني شُعب.

لكلّ واحدة من هذه الحقائق النبيلة، قام بوذا بتعيين مهمة محدّدة للراغب في ممارستها: الحقيقة النبيلة الأولى يجب فهمها، والثانية يجب التخلّي عنها، والثالثة يجب تحقيقها، والرابعة يجب تنميتها. إنّ التحقيق الكامل للحقيقة النبيلة الثالثة يمهّد الطريق لتغلغل Nibbana (النرڤانا) (Pali; Sanskrit, Parinirvana)، أي الحرية المتعالية، وذلك من طريق محق الذات وإبادتها بالكامل والزهد (حرفيًا، العري)، الأمر الذي يُعدّ الهدف النهائي من جميع تعاليم بوذا.

آخر الحقائق النبيلة، والتي تتعلّق بالطريق النبيلة ذات الثماني شعب، تحتوي على وصفة للتخفيف من عدم رضانا وإعتاقنا في نهاية المطاف، مرةً وإلى الأبد، من الدورة المؤلمة والشاقة للولادة والموت «سمسارة» (samsara) الناتجة من جهلنا (Pali, avija, Sanskrit, avidya)

للحقائق النبيلة الأربع، والتي أسرتنا على مدى أجيال لا حصر لها. تقدّم الطريق النبيلة ذات الثماني شُعب دليلاً شاملاً لعملية تطوير هذه الصفات والمهارات النافعة في قلب الإنسان، والتي يجب أن تُصقل لتساعد العابد على الوصول إلى هدفه النهائي، ألا وهو حرية وسعادة Nibbana المطلقة. الصفات الثماني التي ينبغي تطويرها، هي النظرة الصحيحة، والقرار الصحيح، والكلام الصحيح، والعمل الصحيح، والعيش الصحيح، والجهد الصحيح، والذهن الصحيح، والتركيز الصحيح.

عمليًا، قام بوذا بتدريس الطريق النبيلة ذات الثماني شُعب لأتباعه وفقًا لنظام تدريب تدريجي، بدءًا من تطوير «سيلا» sila، أو الفضيلة (الكلام الصحيح، والعمل الصحيح، وسبل العيش الصحيح، والملخّصة بشكل عملي بواسطة تعاليم مناسبة): يليها تطوير «صمادهي» samadhi أو التركيز والصقل العقلاني (الجهد الصحيح، الذهن الصحيح، التركيز الصحيح)، وتبلغ ذروتها في تطوير «پانا» panna، أو الحكمة (النظرة الصحيحة والقرار الصحيح). إنّ ممارسة «دانا» dana، أو الكرم، هو بمثابة دعم لكل خطوة من خطوات الطريق، إذ تساعد على خلق قلبٍ حنونٍ والتصدّي لميل القلب الطبيعي إلى الاشتهاء.

التقدّم الذي يتمّ إحرازه على طول الطريق لا يتبع خطًا مستقيمًا بسيطًا. لكنّ تطوير كل جانب من جوانب الطريق النبيلة، يشجّع على صقل الجوانب الأخرى وتعزيزها، الأمر الذي يرتقي بالممارس قُدمًا ضمن لولب تصاعدي من النضج الروحي الذي يبلغ أوجّه في توصّله إلى الصحوة.

من وجهة نظر أخرى، إنّ الرحلة الطويلة على طريق الصحوة تبدأ بشكل جدّي مع الأحاسيس الأوّلية التي تولّدها النظرة الصحيحة، وأولى ومضات الحكمة التي تمكّن الفرد من إدراك مدى صحة الحقيقة النبيلة الأولى مع حتمية قانون «الكمّا» kamma (Pali; Sanskrit, karma)، أي القانون العالمي للفعل وردة الفعل. فما إنْ يرى المرء أنّ الأفعال المؤذية

 coptic-books.blogspot.com

تجلب عواقب مؤذية والأفعال الصحيحة تجلب نتائج مفيدة، تزداد طبيعيًا الرغبة في العيش حياةً مستقيمة وأخلاقيةً وأخذ ممارسة «سيلا» sila على محمل الجد. إنّ الثقة التي تتولّد من هذا الإدراك الأولي، تشجّع أتباعه على وضع ثقتهم بشكل أعمق في التعاليم. ويصبح التابع بوذيًا إبان التعبير عن عزم داخلي على «اللجوء» داخل الجوهرة الثلاثية:

١ ◂ «البوذا» – كلّ من بوذا التاريخي والقدرة الكامنة عند المرء لبلوغ الصحوة.

٢ ◂ «الدهامّا» Dhamma («التعليم» = Pali; Sanskrit, *Dharma*) – كل من تعاليم بوذا التاريخية، والحقيقة المطلقة التي تشير إليها هذه التعاليم.

٣ ◂ «السانغا» Sangha – المجتمع الرهباني الذي حافظ على التعاليم ومارسها منذ يوم بوذا، مع جميع الذين حققوا درجة ما من اليقظة والصحوة.

مع ثبات خطوات المرء عبر اتّخاذه من «الجوهرة الثلاثية» ملجأً، وبصحبة صديق مخلِص (Pali: kalyanamitta, Sanskrit, kalyanamitra = «الصديق المهتم بخير غيره») للمساعدة على إظهار معالم الطريق، يمكن للمرء أن ينطلق في الطريق، واثقًا من أنه يقتفي الخطى التي تركها بوذا بنفسه.

البوذية كما علّمها في الأصل كلّ من بوذا ومدرسة الشيوخ، لا تشير على الإطلاق إلى أي إله شخصي أو آلهة شخصيين. لذا، يمكن اعتبارها ملحدة (إنكار وجود الإله). مدرسة «الثيراڤادا» Theravada هي مشابهة للهندوسية التي تؤمن أن الكل هو الله من عدة أوجه. كلتاهما متحفّظتان في الإعتراف بإله شخصي؛ ويبدو عليهما أنهما تتعاملان مع قوًى غير شخصية. الكلمة الأساسية عندها هي الحكمة، لا بمعنى التمسّك بشيء موضوعي، ولكن في سياق تحقيق الذات. المدرسة الحديثة للبوذية زن

Zen Buddhism، هي غير مرتبطة تاريخيًا بفرع «ثيراڤادا» إلاّ أنها تركّز كثيرًا في موضوع التأمّل، الأمر الذي توصي به أيضًا مدرسة «ثيراڤادا»، إن الكلمة «زن» هي في الواقع صيغة مشوّهة للكلمة السنسيكريتية دهيان Dhyan، والتي تعني «التأمّل». الكلمة المقابلة بالصينية، شان Shan، تحمل المعنى عينه على صعيد «زن». كما هي الحال في التأمّل التجاوزي، المقصود هو التأمّل الخالي من الفحوى والتنوع الفارغ الذي يمكن أن يؤدي إلى «الحكمة». يقبع الفرد في عالمه الخاص، والتحرر يكون من خلال بذل الجهد الذاتي فقط.

أما نمط «الماهايانا» Mahayana من ناحية أخرى، فلديه بعض الخصائص المشتركة مع الهندوسية الشعبية التي تدين بتعدّد الآلهة. كلاهما يرى الحاجة إلى مخلّصين. ففي «الماهايانا»، يُعتبر بوذا نفسه أنه هو المخلّص، والخلاص يحصل بالنعمة. الصلاة التشفعية شائعة في كليهما. وفي بعض المعابد البوذية، توجد بعض الأماكن لتقديم البخور للآلهة الهندوس. غير مسموح لهذه الآلهة الهندوسية بالدخول إلى sanctum sanctorum (قدس الأقداس، أو المذبح الداخلي)، إلا أنّ الصلاة التشفعية التي تُرفع لهم تُعتبر فعّالة.

بعض أساليب علم الدفاعيات المسيحية المقترحة في الفصل الثامن (انظر «ما هي العقائد الأساسية للهندوسية؟» صفحة ٢١١)، تنطبق أيضًا بعد إجراء التعديلات اللازمة، على «ماهايانا» و«ثيراڤادا» كشكلين للبوذية. إلى ذلك، يمكننا أن نشير إلى أنّ أيّ تحليل للحياة باستخدام معايير سلبية بحتة، سيؤدي حتمًا إلى خلق مشاكل. على سبيل المثال، مَن يقول إنّ كلّ شيء هو معاناة، لا بد أن يكون قد عرف بعض لحظات الفرح والسرور. فنحن نرى المعاناة أنها معاناة فقط من خلال مقارنتها مع شيء يمكن التمتع به. ونحن لم نكن لنعرف المعاناة كمعاناة، لو كانت كل الأشياء حقًا معاناة! هذا شبيه بالأفكار التي راودت ذهن سي إس لويس C. S. Lewis قبل تجديده:

 coptic-books.blogspot.com

كانت حجّتي ضدّ الله أنّ الكون بدا قاسيًا للغاية وغير عادل. ولكن كيف حصلتُ على فكرة العدالة وعدم العدالة هذه؟ فالمرء لا يصف خطًا على أنه ملتوٍ إن لم تكن لديه فكرة عن الخط المستقيم. بمَ كنت أقارن هذا الكون عندما أطلقت عليه صفة غير العادل؟ إنْ كان العرض كله سيّئًا من الألف إلى الياء، إذا جاز التعبير، فلماذا أنا، الذي كان يُفترض فيَّ أن أكون جزءًا من العرض، أجد نفسي أتصرّف حياله بردّة فعل عنيفة كهذه؟ يشعر الإنسان بالتبلّل عندما يقع في الماء، وذلك لأنّ الإنسان ليس حيوانًا مائيًا، فالسمكة لن تشعر بالتبلّل. بالطبع كان بإمكاني أن أتخلّى عن فكرة العدالة بالقول إنها ليست سوى فكرة خاصة بي. ولكن إن فعلت ذلك، فحجّتي ضدّ الله ستنهار أيضًا، ذلك لأنّ الحجّة تتوقف على قولي: إنّ العالم غير عادل فعلاً، وليس لمجرّد أنه لم يتمكّن من إرضاء تخيّلاتي. لذلك في الفعل ذاته لمحاولة إثبات عدم وجود الله – وبعبارة أخرى، أنّ الواقع بأكمله لا معنى له – وجدتُ أنني مجبر على افتراض أنّ جزءًا واحدًا من الواقع – أي فكرتي عن العدالة – كان مملوءًا بالمعنى. بناءً على ذلك يبدو الإلحاد أنه بسيط أكثر من اللزوم. إنْ كان الكون كله بلا معنى، كان ينبغي لنا ألاّ ندرك أبدًا أنه بلا معنًى، تمامًا كما لو لم يكن هناك ضوء في الكون، بالتالي لا وجود لمخلوقات تملك عيونًا، ولم يكن بإمكاننا أن ندرك أنه ظلام. الظلام سيكون كلمة خالية من أي معنى.[٢]

بينما نفكّر في مضمون هذا الاقتباس، ينبغي ألاّ نخطئ في الاعتقاد أنّ البوذية كانت قد استنتجت منطقيًا أنّ الله غير موجود إنطلاقًا من الحقيقة النبيلة الأولى، أي إنّ المعاناة هي كلّ شيء. الله ببساطة، غير ظاهر في كتابات بوذا. بوسعنا، من ناحية أخرى، الإشارة من وجهة نظر

فلسفية، إلى أنّ الألم يمكن فهمه فقط بالمقارنة مع المتعة. وكلاهما واقعٌ في وجودنا. علينا إذًا أن نشجّع البوذي على البحث عن أسباب المعاناة في أماكن أخرى. إلى ذلك، ينبغي أن نكون قادرين على إظهار كيف أنّ هناك حتى على المستوى العملي، الكثير من الأمور الجيدة في الحياة. كذلك، ثمة أناس صالحون يحاولون التخفيف من معاناة الآخرين. وحتى التعاليم البوذية الداعية إلى ممارسة «دانا» (الكرم)، فيها اعتراف ضمني بأنّ المعاناة يمكن تخفيفها، وهذا ما يجري في عالم المعاناة هذا.

هناك حقيقة رائعة في الحقيقة النبيلة الثانية التي ترى، أنّ السبب وراء المعاناة يكمن في «التانها» tanha (الرغبة أو الشهوة). يوحنا الرسول يحذّر من «شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظّم المعيشة» (١يوحنا ٢: ١٦). غير أنّ الحقيقة النبيلة الثالثة تنطوي على تناقض. فإنّ فعل التخلّي عن الرغبات هو بحدّ ذاته رغبة، أي الرغبة في التخلّص من الشهوات هو بحدّ ذاته رغبة! إنّ الوجود من دون رغبة هو تناقض منطقي ووجودي في آن. بدلاً من ذلك، علينا أن نركّز رغباتنا على أمر يستحقّ أن نرغب في الحصول عليه (المزمور ٢٧: ٤). وبالمثل، فإنّ الحقيقة النبيلة الرابعة تُرسي الأساس لنمط حياة رائع، لكنها تقدّم شيئًا لا يُذكر عمّا ينبغي فعله لتنفيذه. نعود إلى نقطة الضعف الخطيرة التي تتعلّق بمعرفة ما هو صحيح وعدم القدرة على القيام به.

نحن في حاجة إلى مساعدة أصدقائنا البوذيين على تحديد المشكلة الحقيقية وراء المعاناة، مع تبيان العلاقة ما بين المعاناة ووجود الشرّ الأخلاقي الذي هو بمثابة حالة تمرّد على الله القدوس أدبيًا. ويمكننا مواجهة مشكلة المعاناة بالإشارة إلى الله الذي يشعر معنا في معاناتنا، وإلى المعاناة الرهيبة التي اختبرها هو نفسه على الصليب. والاستنارة الحقّة بالنسبة إلينا، تحصل لدى التقائنا وجهًا لوجه، مع يسوع المسيح المخلّص المحب، بعد انتهاء رحلتنا على الأرض.

coptic-books.blogspot.com

كلمة أخيرة حول التقمّص البوذي هي الآن في محلّها. فبينما يحافظ الهندوسي على هوية روحه الفردية في عملية التقمّص، يؤمن البوذي أنّ الروح عند الوفاة تتشتت إلى خمس ذواتٍ لكي تعود وتجتمع لاحقًا في دورة جديدة للحياة. لكن، لا يوجد أيّ ضمان لصون هوية الشخص، كما هي الحال في الهندوسية. وبذلك، فإنّ هذا المعتقد البوذي بالتحديد، يمكن أن يولّد لدى العابد شعورًا عميقًا بانعدام الأمان حيال هويّته. المسيحي لديه إجابة محدّدة عن هذه المسألة: نحن لم يعرفنا خالقنا ونحن لا نزال في أرحام أمهاتنا فحسب، بل حَرِص أيضًا على تأمين مكان خاص، مكان مناسب لنا وحدنا. وهكذا، تكون هويّتنا محفوظة في علاقتنا بالله من خلال الرب يسوع المسيح.

الخلاصة

لقد سلّم العديد من الهندوس والبوذيين حياتهم للمسيح، ليس من خلال الحجج الفلسفية، ولكن من طريق الحب الصادق وصداقة المسيحيين لهم. وبدلاً من التركيز الذي تقترحه اليوغا على حصول اندماج مع واقع مجهول، يمكننا أن نقدّم علاقة حقيقية بالله اللامتناهي من خلال يسوع المسيح مع تجسيدنا لذلك، عبر تمتّعنا الشخصي بذلك الرابط المقدَّس. البوذيون يكرّرون فكرة كون ديانتهم ليست بديانة فيها تنكّر للحياة ولا تقدّم شيئًا سوى العدم الكلي. ولكن من الصعب الهروب من الاستنتاج أنّ هذا بالذات ما علّمه بوذا.

للأسف، نحن نُظهر المسيحية أحيانًا على أنها مجرّد زهد مع طبعة مسيحية، وبالتالي حصر معاني وأبعاد إتّباع المسيح في مجرّد عبادة شخصية. إنّ الحجّة الأقوى ضد جاذبية الأديان الشرقية لا تكمن فقط في السعي الفردي وراء بلوغ القداسة المسيحية، بل بالحري في ممارسة مرئية وواضحة للشركة المسيحية.

أسئلة للتأمّل والمناقشة

١. هل هناك تحفُّظ ما على ممارسة اليوغا التي تركّز على الفوائد العلاجية الجسدية؟

٢. ما هي أبسط وسيلة للإثبات عمليًا أنّ هذه الحياة هي هامة فعلاً، وأنّ علينا ألا نتوقّع فرصة ثانية لفعل ما هو أفضل؟

٣. في عالم يغلب عليه طابع السعي المادي، كيف يمكن للمسيحي أن يتبنّى ويعيش الحياة الإيجابية التي يركّز عليها الإيمان المسيحي من دون أن يصبح موجّهًا نحو بلوغ الازدهار المادي؟

coptic-books.blogspot.com

RESOURCES FOR DIGGING DEEPER

مصادر لأبحاث معمّقة

CHAPTER 1: TOUGH QUESTIONS ABOUT GOD

Geisler, Norman L. "God." *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics.* Grand Rapids: Baker, 1999.

Geisler, Norman L., and Ronald M. Brooks. *When Skeptics Ask: A Handbook of Christian Evidences.* Grand Rapids: Baker, 1995.

http://www.impactapologectics.com

http://www.normangeisler.com

CHAPTER 2: TOUGH QUESTIONS ABOUT EVIL

Geisler, Norman L. "Evil." *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics.* Grand Rapids: Baker, 1999.

______. "God and the Problem of Evil," "If God, Why Evil?" The Problem of Evil," "What about Evil?" audiotapes available for purchase at the Norman Geisler website: http://www.normgeisler.com

______. *Philosophy of Religion.* Grand Rapids: Baker, 1988. This book is out of print, but a bound copy of the book is available for purchase at the Norman Geisler website: http://www.normgeisler.com

______. *The Roots of Evil.* Dallas: Probe, 1989. This book is out of print, but a bound copy of the book is available for purchase at the Norman Geisler website: http://www.normgeisler.com

Geisler, Norman L., and Ronald M. Brooks. "Questions about Evil." Chapter 4 in *When Skeptics Ask.* Grand Rapids: Baker, 1995.

Habermas, Gary. "Atheism and Evil: A Fatal Dilemma," audiotape available for purchase at Norman Geisler website: http://www.normgeisler.com

Lewis, C. S. *A Grief Observed.* Reprint edition. San Francisco: HarperSanFrancisco, 2001.

 coptic-books.blogspot.com

______. *The Problem of Pain.* Reprint edition. San Francisco: HarperSanFrancisco, 2001.

Rhodes, Ron. "Is Evil an Apologetic against Christianity?" audiotape available from the Ron Rhodes website: http://www.ronrhodes.org

Rood, Rick. "The Problem of Evil: How Can a Good God Allow Evil?" 1996. Probe Ministries webiste: http://www.probe.org

Stroy, Dan. *Defending Your Faith.* Nashville: Nelson, 1992.

Yancey, Philip. *Disappointment with God.* Grand Rapids: Zondervan, 1997.

______. *Where Is God When It Hurts?* Grand Rapids: Zondervan, 2001.

Chapter 3: Tough Questions about Science

Behe, Michael. *Darwin's Black Box.* New York: Free Press, 1996.

Denton, Michel. *Evolution: A Theory in Crisis.* Bethesda, Md.: Adler & Adler, 1985.

Johnson, Phillip E. *Darwin on Trial.* Downer's Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1991.

Thaxton, Charles B., Walter L. Bradley, and Roger Olsen. *The Mystery of Life's Origin.* New York: Philosophical Library, 1984.

Thaxton, Charles B., and Nancy R. Pearcey. *The Soul of Science.* Wheaton, Ill.: Crossway, 1994.

White, Andrew Dickson. *A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom.* 2 vols. Reprint edition. Maclean, Va.: IndyPublish.com, 2002.

Chapters 4 and 5: Tough Questions about Christ

Copan, Paul, ed. *Will the Real Jesus Please Stand Up: A Debate Between William Lane Craig and John Dominic Crossan.* Grand Rapids: Baker, 1999.

Craig, William Lane. *Reasonable Faith.* Revised edition. Page 251. Wheaton, Ill.: Crossway, 1994.

______. *The Son Rises: Historical Evidence for the Resurrection of Jesus.* Page 140. Chicago: Moody Press, 1981.

Greeleaf, Simon. *The Testimony of the Evangelists.* Grand Rapids: Baker, 1994.

Habermas, Gary. *The Verdict of History.* Nashvîlle: Nelson, 1988.

Kreeft, Peter and Ronald K. Tacelli. *Handbook of Christian Apologetics.* Pages 48-88. Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1994.

Moreland, J. P. *Scaling the Secular City.* Pages 152-53. Grand Rapids: Baker, 1987.

Strobel, Lee. *The Case for Christ.* Grand Rapids: Zondervan, 1998.

______. *The Case for Faith.* Grand Rapids: Zondervan, 2000.

Wilkins, Michael J., and J. P. Moreland, gen. eds. *Jesus Under Fire: Modern Scholarship Reinvents the Historical Jesus.* Grand Rapids: Zondervan, 1995.

Chapters 6 and 7: Tough Questions about the Bible

Blomberg, Craig L. *The Historical Reliability of the Gospels.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1987.

Bruce, F. F. *The New Testament Documents: Are They Reliable?* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1984.

Geisler, Norman L., ed. *Inerrancy.* Grand Rapids: Zondervan, 2001.

Geisler, Norman L., and Thomas Howe. *When Critics Ask: A Popular Handbook on Bible Difficulties.* Grand Rapids: Baker, 1999.

Geisler, Norman L., and William E. Nix. *From God to Us: How We Got Our Bible.* Chicago: Moody Press, 1974.

______. *A General Introduction to the Bible.* Revised and expanded. Chicago: Moody Press, 1986.

Youngblood, Thomas L., and Sandra P. Aldrich. *The Bible Encounters: 21 Stories of Changed Lives.* Grand Rapids: Zondervan, 2002.

 coptic-books.blogspot.com

CHAPTERS 8 AND 9: TOUGH QUESTIONS ABOUT EASTERN RELIGIONS AND PRACTICES

Clark, David K., and Norman L. Geisler. *Apologetics in the New Age: A Christian Critique of Pantheism.* Grand Rapids: Baker, 1990.

Geisler, Norman L. *False Gods of Our Time.* Eugene, Ore.: Harvest House, 1985.

Groothuis, Douglas R. *Confronting the New Age.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1988.

______. *Revealing the New Age Jesus.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1990.

______. *Unmasking the New Age.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1986.

Guinness, Os. *The Dust of Death: The Sixties Counterculture and How It Changed America Forever,* revised edition. Wheaton, Ill.: Crossway, 1994.

Humphreys, Christmas. *The Buddhist Way of Life.* New Delhi: HarperCollins, 1993.

Johnson, David L. *A Reasoned Look At Asian Religions.* Minneapolis: Bethany House, 1985.

Langley, Myrtle. *World Religions.* Reprint edition. Wheaton, Ill.: Chariot/ Victor. 1993.

Lewis, C. S. *Mere Christianity.* Reprint edition. San Francisco: HarperSanFrancisco, 2001.

______. *The Problem of Pain.* Reprint edition: San Francisco: HarperSanFrancisco, 2001.

Mangalwadi, Vishal. *When the New Age Gets Old.* Second edition. Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1992.

McDowell, Josh, and Don Stewart. *Handbook of Today's Religions.* Nashville: Nelson, 1983.

Miller, Elliot. *A Crash Course on the New Age Movement*. Grand Rapids: Baker, 1993.

Reisser, Paul C., Teri K. Reisser, and John Weldon. *New Age Medicine.* Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1987.

Rhodes, Ron. *The Challenge of the Cults and New Religions.* Grand Rapids: Zondervan, 2001.

Schaeffer, Francis A. *Complete Works.* 5 vols. Second edition. Wheaton, Ill.: Crossway, 1985.

 coptic-books.blogspot.com

NOTES

ملاحظات

Chapter 1

Tough Questions about God

1. Of course, the actual amount of energy remains constant; only the usable amount is decreasing.
2. Robert Jastrow, *God and the Astronomers* (New York: W.W. Norton, 1978), 15-16.
3. David Hume, *The Letters of David Hume*, vol. 1, ed. J.Y.T. Greig (Oxford: Clarendon, 1932), 187.
4. David Hume, *Enquiry Concerning Human Understanding*, ed. Chas. W. Hendel (New York: Liberal Arts, 1955), 165-66.
5. C. S. Lewis, *The Abolition of Man* (New York: Macmillan, 1947), 69.
6. C. S. Lewis, *The Problem of Pain* (New York: HarperCollins, 2001, reprint; first published, 1994), 120.

Chapter 2

Tough Questions about Evil

1. Cited by Lee Strobel, «Why Does God Allow Suffering?» (message delivered at Saddleback Valley Community Church, El Toro, California, 26 February 2000).
2. Ken Boa and Larry Moody, *I'm Glad You asked* (Colorado Springs: Victor, 1994), 129.
3. Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* (Grand Rapids: Baker, 1999), 220.
4. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, 220.
5. Millard J. Erickson, *Introducing Christian Doctrine* (Grand Rapids: Baker, 1996), 138-39.

6. Erickson, *Introducing Christian Doctrine*, 139.
7. Norman L. Geisler and Ronald M. Brooks, *When Skeptics Ask* (Wheaton, Ill.: Victor, 1990), 59-60.
8. Boa and Moody, *I'm Glad you Asked*, 122.
9. Cited in Erickson, *Introducing Christian Doctrine*, 138-39.
10. Robert Morey, *The New Atheism and the Erosion of Freedom* (Minneapolis: Bethany House, 1986), 153.
11. Morey, *The New Atheism*, 153.
12. Paul E. Little, *Know Why You Believe* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1975), 81.
13. Little, *Know Why You Believe*, 81.
14. Geisler and Brooks, *When Skeptics Ask*, 73.
15. Cited in Little, *Know Why You Believe*, 87.
16. Boa and Moody, *I'm Glad You Asked*, 131.
17. Norman L. Geisleer and Jeff Amanu, "Evil," in *New Dictionary of Theology*, ed. Sinclair B. Ferguson and David F. Wright (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1988), 242.
18. Rick Rood, "The Problem of Evil: How Can a Good God Allow Evil?" (1996), Probe Ministries website: http://www.probe.org
19. Boa and Moody, *I'm Glad You Asked*, 133.
20. Cited in Dan Stroy, *Defending Your Faith* (Nashville: Nelson, 1992), 171-72.
21. Geisler and Brooks, *When Skeptics Ask*, 73.
22. Geisler and Brooks, *When Skeptics Ask*, 64-65.
23. Little, *Know Why You Believe*, 81.
24. Story, *Defending Your Faith*, 176-77.

25. Harold Kushner, *When Bad Things Happen to Good People* (New York: Schocken, 1981), 134.
26. Kushner, *When Bad Things Happen*, 43.
27. Boa and Moody, *I'm Glad you Asked*, 127.
28. Mary Baker Eddy, *Miscellaneous Writings* (Boston: Christian Science Publishing Society, 1896), 27.
29. Emily Cady, *Lessons in Truth* (Kansas City, Mo.: Unity School of Christianity, 1941), 35.
30. Ernest Holmes, *What Religious Science Teaches* (Los Angeles: Science of Mind Publications, 1974), 13.
31. Walter Martin, *The Kingdom of the Cults* (Minneapolis: Bethany House, 1997), 40-41.
32. David Spangler, *Revelation: The Birth of a New Age* (Middleton, Wis.: Lorian, 1976), 13.
33. Rabi Maharaj, "Death of a Guru: The Personal Testimony of Rabi Maharaj," *Christian Research Newsletter* 3, no. 3 (1990), 2.
34. David Gershon and Gail Straub, *Empowerment: The Art of Creating Your Life as You Want It* (New York: Delta, 1989), 35.
35. Gershon and Straub, *Empowerment*, 36.
36. Shirley MacLaine, cited in Douglas Groothuis, "A Summary Critique," book review of *It's All in the Playing*, in *Christian Research Journal* (Fall 1987): 28.
37. Cited in Douglas Groothuis, "A Summary Critique," 28.
38. Gary Zukav, *The Seat of the Soul* (New York: Simon and Schuster, 1989), 45.
39. See Norman L. Geisler, *The Root of Evil* (Dallas: Probe, 1989); C. S. Lewis, *The Geat Divorce* (New York: MacMillan, 1946); and C. S. Lewis, *The Problem of Pain* (New York: HarperCollins, 2001, reprint; first published, 1940).

 coptic-books.blogspot.com

10. Arthur Eddington, *The Expanding Universe* (New York: Macmillan, 1933), 124.
11. Eddington, *The Expanding Universe*, 178.
12. For discussion see my "Naturalism and Cosmology," in *Naturalism: A Critical Appraisal*, ed. Wm. L. Craig and J.P. Moreland, Routledge Studies in Twentieth-Century Philosophy (London: Routledge, 2000), 215-52.
13. Stephen Hawking, *A Brief History of Time* (New York: Bantam, 1988), 140-41.
14. Arthur Eddington, *Space, Time, and Gravitation*, reprint. ed. (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), 48.
15. Eddington, *Space, Time, and Gravitation*, 181.
16. Stephen Hawking and Roger Penrose, *The Nature of Space and Time*, The Isaac Newton Institute Series of Lectures (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1996), 3-4, 121.
17. See John D. Barrow, *Theories of Everything* (Oxford: Clarendon, 1991), 67-68.
18. Hawking and Penrose, *The Nature of Space and Time*, 20.
19. Andrei Linde, who thinks that Steinhardt's model "is plagued by numerous unsolved problems," complains that the cyclic/ekpyrotic scenrario is "very popular among journalists" but "rather unpopular among scientists" ("Cyclic Universe Runs into Criticism," *Physics World* [June 2002], 8).
20. J. M. Wersinger, "Genesis: The Origin of the Universe," *National Forum* (winter 1996), 9, 12. Wersinger himself apparently tries to avoid the absolute origin of the universe from nothing by appeal to a vacuum fluctuation, an idea that has been shown untenable, as I explain in the article referred to in note 19.
21. John Barrow, *The World Within the World* (Oxford: Clarendon, 1988).

coptic-books.blogspot.com

40. Geisler and Amanu, "Evil," 242.
41. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, 222.
42. Erickson, *Introducing Christian Doctrine*, 141-42.
43. Gary R. Habermas and J. P. Moreland, *Immortality: The Other Side of Death* (Nashville: Nelson, 1992), 185.

Chapter 3

Tough Questions about Science

1. Andrew Dickson White, *A History of the Warfare of Science with Theology in Christendom*, 2 vols., reprint ed. (New York: Dover, 1960).
2. Charles B. Thaxton and Nancy R. Pearcey, *The Soul of Science* (Wheaton, Ill.: Crossway, 1994).
3. Loren Eiseley, "Francis Bacon," in *The Horizon Book of Makers of Modern Thought* (New York: American Heritage, 1972), 95-96.
4. Loren Eiseley, *Darwin's Century* (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1961), 62.
5. Freeman J. Dyson, "Is God in the Lab?" *The New York Review of Books*, 28 May 1998, 8.
6. C. P. Snow, "The Two Cultures," in *The Two Cultures and a Second Look* (Cambridge: Cambridge University Press, 1969).
7. Victor Weisskopf, "Frontiers and Limits of Science," *Alexander von Humboldt Stiftung: Mitteilungen* 43 (March 1984): 1-11; cf. a similar paper by the same author in *American Scientist* 65 (1977): 405.
8. John Barrow and Frank Tipler, *The Anthropic Cosmological Principle* (Oxford: Clarendon, 1986), 442.
9. Quentin Smith, "The Uncaused Beginning of the Universe," in William Lane Craig and Quentin Smith, *Theism, Atheism, and Big Bang Cosmology* (Oxford: Clarendon, 1993), 120.

22. Paul Davies, "God and Time Machines," *Books and Culture* (March/April 2002), 29.
23. John C. Polkinghorne, *Serious Talk: Science and Religion in Dialogue* (London: SCM Press, 1996), 6.
24. I owe this insight to the philosopher of science Robin Collins.
25. Ludwig Boltzmann, *Lectures on Gas Theory*, trans. Stephen G. Brush (Berkeley: University of California Press, 1964), 446-48.
26. Fred Hoyle and Chandra Wickramasinghe, *Evolution from Space* (New York: Simon & Schuster, 1981), 24.
27. Charles B. Thaxton, Walter L. Bradley, and Roger Olsen, *The Mystery of Life's Origin* (New York: Philosophical Library, 1984).
28. Francis Crick, "In the Beginning...," *Scientific American* (February 1991), 125.
29. Nathan Aviezer, *In the Beginning* (Hoboken, NJ: KTAV Publishing House, 1990).
30. Phillip E. Johnson, *Darwin on Trial* (Downer's Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1991). The intelligent Design movement, whose leaders include William Dembski, Stephen Meyer, Paul Nelson, Michael Behe, and Jonathan Wells, emphasizes the need for intelligent agency behind biological complexity, while remaining neutral on issues of interventionism (creationism) and theism (God).
31. Michael Denton, *Evolution: A Theory in Crisis* (Bethesda, Md.: Adler & Adler, 1985), chapters 8-9.
32. Barrow and Tipler, *The Anthropic Cosmological Principle*, 561-65.
33. Barrow and Tipler, *The Anthropic Cosmological Principle*, 133.
34. Michael Behe, *Darwin's Black Box* (New York: Free Press, 1996).
35. For Behe's response to critics, see Michael Behe, "The Modern Intelligent Design Hypothesis: Breaking Rules," *Philosophia Christi* 3, no. 1 (2001), 165-79).

Chapter 4

Tough Questions about Christ

1. For a description of the specific evidence that convinced me of Jesus' deity, see Lee Strobel, *The Case for Christ* (Grand Rapids: Zondervan, 1998), and Lee Strobel, *The Case for Faith* (Grand Rapids: Zondervan, 2000).
2. For a more detailed discussion of their approach, see Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, eds., *Jesus under fire: Modern Scholarship Reinvents the Historical Jesus* (Grand Rapids: Zondervan, 1995), especially chapters 1 and 5.
3. For a brief history of the distinction between the Jesus of history and the Christ of faith, see Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* (Grand Rapids: Baker, 1999), 141-42.
4. Richard N. Ostling, "Who was Jesus Christ?" *Time* 15 August 1988.
5. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 22-25.
6. Irenaeus, *Adversus haereses* 3.3.4.
7. Hank Hanegraaff, "The Search for Jesus Hoax," *Christian Research Journal* 23, no. 2 (2001), 14.
8. Cited in Strobel, *The Case for Faith,* 137, 139.
9. Simon Greenleaf, *The Testimony of the Evangelists* (Grand Rapids: Baker, 1994), vii.
10. See Strobel, *The Case for Christ*, 99.
11. Norman Geisler and Thomas Howe, *When Cristics Ask* (Wheaton, Ill.: Victor, 1992), 385.
12. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 97.
13. Clifford Wilson, *Rocks, Relics, and Biblical Reliability* (Grand Rapids: Zondervan, 1977), 120.
14. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 33.

coptic-books.blogspot.com

15. J. P. Moreland, *Scaling the Secular City* (Grand Rapids: Baker, 1987), 152-53.
16. Moreland, *Scaling the Secular City*, 154.
17. Moreland, *Scaling the Secular City*, 148.
18. Moreland, *Scaling the Secular City*, 149. For examples of creeds and hymns, see Romans 1: 3-4; 1Corinthians 11: 23-26; 15: 3-8; Philippians 2: 6-11; Colossians 1: 15-18; 1Timothy 3: 16; 2Timothy 2: 8.
19. Moreland, *Scaling the Secular City*, 149.
20. See A. N. Sherwin-White, *Roman Society and Roman Law in the New Testament* (Grand Rapids: Baker, 1978) 186-93.
21. Frederic Kenyon, *Handbook to the Textual Criticism of the New Testament* (New York: Macmillan, 1912), 5.
22. Frederic Kenyon, *The Bible and Archaeology* (New York: Harper, 1940), 288.
23. See Strobel, *The Case for Christ*, 38-54.
24. H. R. Macintosh, *The Person of Jesus Christ* (Edinburgh: T. & T. Clark, 1913), 2.
25. Cited in John N. Akers, John H. Armstrong, and John D. Woodbridge, gen. eds., *This We Believe* (Grand Rapids: Zondervan, 2000), 64.
26. William Lane Craig, *The Son Rises: Historical Evidence for the Resurrection of Jesus* (Chicago: Moody Press, 1981), 140.
27. Cited in Akers, Armstrong, and Woodbridge, *This We Believe*, 65.
28. See Akers, Armstrong, and Woodbridge, *This We Believe*, 64.
29. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 157.
30. Strobel, *The Case for Christ*, 134.
31. Strobel, *The Case for Christ*, 136.
32. Strobel, *The Case for Christ*, 137.

33. William Lane Craig, *Reasonable Faith*, rev. ed. (Wheaton, Ill.: Crossway, 1994), 251.
34. Cite in Strobel, *The Case for Christ*, 135-36.
35. James D. G. Dunn, *Jesus and the Spirit* (London: SCM Press, 1975), 60, cited in Craig, Reasonable Faith, 250.
36. Royce Gruenler, *New Approaches to Jesus and the Gospels* (Grand Rapids: Baker, 1982), 74.

Chapter 5

More Tough Questions about Christ

1. John Scott, *Basic Christianity* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1964), 26.
2. Carl Sagan, *Cosmos* (New York: Ballantine, 1993), 4.
3. Charles Templeton, *Farewell to God* (Toronto: McClelland & Stewart, 1996), 21.
4. Richard Dawkins, "Snake Oil and Holy Water" (available at http://www.forbes.com/asap/99/1004.235.html).
5. John Dominic Crossan, *Jesus: A Revolutionary Biography* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1994), 95.
6. Robert W. Funk, Roy W. Hoover, and The Jesus Seminar, *The Five Gospels* (San Francisco: HarperSanFrancisco, 1993), 2.
7. For a summary of these arguments, see Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* (Grand Rapids: Baker, 1999), 276-83. For twenty arguments in favor of God's existence, see Peter Kreeft and Ronald K. Tacelli, *Handbook of Christian Apologetics* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1994), 48-88.
8. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, 450.
9. Gary Habermas, *The Historical Jesus* (Joplin. Mo.: College Press, 1996).

coptic-books.blogspot.com

10. R. T. France, "The Gospels as Historical Sources for Jesus, the Founder of Christianity," *Truth* 1 (1985): 86.

11. Cited in Lee Strobel, *The Case for Christ* (Grand Rapids: Zondervan, 1998), 27.

12. Cited in Lee Strobel, *The Case for Faith* (Grand Rapids: Zondervan, 2000), 68-69.

13. See Michael J. Wilkins and J. P. Moreland, eds., *Jesus Under Fire: Modern Scholarship Reinvents the Historical Jesus* (Grand Rapids: Zondervan, 1995), 129.

14. Cited in Lee Strobel, *The Case for Faith*, 68.

15. See Wilkins and Moreland, *Jesus under Fire*, 131.

16. See: Stephen T. Davis, "The Miracle at Cana: A Philosopher's Perspective," in David Wenham and Craig Blombereg, eds., *The Miracles of Jesus* (Sheffield: JSOT, 1986), 429, cited in Wilkins and Moreland, *Jesus under Fire*, 131.

17. See Sanhedrin 43a.

18. Cited in Lee Strobel, *The Case for Faith*, 136.

19. See Gary Habermas, *The Verdict of History* (Nashville: Nelson, 1988), 107.

20. The Acts of Pilate to which Justin Martyr referred is not the same as the apocryphal work by that name - a fictitious piece written centuries after Pilate lived, but which unfortunately has been cited by some well-meaning but ill-informed Christians as being authentic.

21. Templeton, *Farewell to God*, 112.

22. Cited in Lee Strobel, *The Case for Christ*, 149.

23. Cited in Wilkins and Moreland, *Jesus under Fire*, 133.

24. Cited in Wilkins and Moreland, *Jesus under Fire*, 134.

25. Bertrand Russell, "What Is an Agnostic?" *Look* magazine, 3 November 1953, cited in Strobel, *The Case for Faith*, 141.

26. Cited in Strobel, *The Case for Faith*, 141.

27. Alfred Edersheim, *The Life and Times of Jesus the Messiah* (Grand Rapids: Eerdmans, 1972), 160.

28. Norman L. Geisler and Ronald M. Brooks, *When Skeptics Ask* (Wheaton, Ill.: Victor, 1990), 115.

29. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, 611.

30. Geisler and Brooks, *When Skeptics Ask*, 114-15.

31. See Peter W. Stoner, *Science Speaks* (Chicago: Moody Press, 1969).

32. Cited in Storbel, *The Case for Christ*, 183.

33. Cited in Storbel, *The Case for Christ*, 184.

34. Cited in Storbel, *The Case for Faith*, 135.

35. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, 615.

36. Cited in Ruth Rosen, ed., *Jewish Doctors Meet the Great Physician* (San Francisco: Purple Pomegranate, 1997), 34.

37. Gary Habermas and Antony Flew, *Did Jesus Rise from the Dead?* (San Francisco: Harper & Row, 1987), xi.

38. Cited in Ross Clifford, ed., *The Case for the Empty Tomb: Leading Lawyers Look at the Resurrection* (Claremont, Calif.: Albatross, 1991), 112.

39. Cited in William D. Edwards et al., "On the Physical Death of Jesus Christ," *Journal of the American Medical Association* (21 March 1986): 1463.

40. John A. T. Robinson, *The Human Face of God* (Philadelphia: Westminster, 1973), 131, cited by William Lane Craig in *Will the Real Jesus Please Stand Up? A Debate Between William Lane Craig and John Dominic Crossan* (Grand Rapids: Baker, 1998), 27.

coptic-books.blogspot.com

41. Cited in Wilkins and Moreland, *Jesus Under Fire*, 165.

42. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 230.

43. John Drane, *Introducing the New Testament* (San Francisco: Harper & Row, 1986), 99.

44. See Strobel, *The Case for Christ*, 220.

45. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 220.

46. See Strobel, *The Case for Christ*, 234.

47. See Strobel, *The Case for Christ*, 238-40.

48. Cited in Strobel, *The Case for Christ*, 121.

49. Carl Braaten, *History and Hermeneutics*, vol. 2 of *New Directions in Theology Today*, ed. William Hordern (Philadelphia: Westminster, 1966), 78.

50. J. P. Moreland, *Scaling the Secular City* (Grand Rapids: Baker, 1987), 179-80.

51. C. F. D. Moule, *The Phenomenon of the New Testament* (London: SCM, 1967), 3.

52. Cited in John N. Akers, John H. Armstrong, and John D. Woodbridge, gen. eds., *This We Believe* (Grand Rapids: Zondervan, 2000), 108-9.

Chapter 6

Tough Questions about the Bible

1. See Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General Introduction to the Bible* (Chicago: Moody Press, 2000), part 1.

2. For more on inerrancy, see Norman L. Geisler, ed., *Inerrancy* (Grand Rapids: Zondervan, 1980).

3. For more, see Norman L. Geisler, *Systematic Theology* (Minneapolis: Bethany House, 2001), volume 1.

4. B. B. Warfield, *Inspirational and Authority of the Bible* (Philadelphia: Presbyterian & Reformed, 1948), 299.

5. See Norman L. Geisler and Thomas Howe, *When Critics Ask* (Grand Rapids: Baker, 1992), 15-26.

6. However, Luke could have been referring to the canonical gospels of Matthew and Mark, which could have been earlier than Luke.

7. See F. F. Bruce, *The New Testament Documents: Are They Reliable?* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1960); Craig Blomberg, *The Historical Reliability of the Gospels* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1987).

8. There were nine if one of the other eight did not write Hebrews.

9. See Colin Hemer, *The Book of Acts in the Setting of Hellenic History* (Winona Lake, Ind.: Eisenbrauns, 1990).

10. See Hemer, *The Book of Acts.*

11. See Richard N. Ostling, "Jesus Christ, Plain and Simple," *Time*, 10 January 1994, 32-33.

12. Robert Funk, "Opening Remarks," *Foundations and Facets Forum 1*, no. 1 (March 1985): 12.

13. Funk, "Opening Remarks", 7.

14. Cited in Hemer, *The Book of Acts*, 8.

15. See Edwin Yamauchi, "Easter: Myth, Hallucination, or History?" *Christianity Today*, 29 March 1974.

16. See Hemer, *The Book of Acts*.

17. See John A. T. Robinson, *Redating the New Testament* (London: SCM Press, 1976).

18. Craig L. Blomberg, *The Historical Reliability of the Gospels* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1987).

 coptic-books.blogspot.com

5. Ruth Montgomery, *A Gift of Prophecy* (New York: Morrow, 1965), viii.
6. See Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, "Nostradamus."
7. John Ankerberg, *Cult Watch* (Eugene, Ore.: Harvest House, 1991), 340.
8. Cited in James Randi, *The Mask of Nostradamus* (Amherst, N. Y.: Prometheus, 1993), 31.
9. Cited in Andre Lamont, *Nostradamus Sees All* (Philadelphia: W. Foulsham, 1943), 71.
10. Lamont, *Nostradamus Sees All*, 71.
11. While the book of Moses teaches that there is only one God, the Book of Abraham affirms that there are many gods. A comparison of the two reveals the former saying, "I, God," or "I, the Lord God," while the latter affirms "the Gods" or "they [the Gods]" (cf. Book of Moses 2: 1, 10, 25; 3: 8 [an extract of several chapters from Genesis in the Joseph Smith Translation of the Bible] with Book of Abraham 4: 3, 10, 25; 5: 8). By 1844 Smith came to believe that "God himself, who sits in yonder heavens, is a man like unto one of yourselves, that is the great secret... I am going to tell you how God came to be God... God himself; the Father of us all dwelt on an earth the same as Jesus Christ himself did... You have got to learn how to be Gods yourselves. No man can learn *[sic]* you more than what I have told you" (cited in John Taylor, ed., *Times and Seasons* [periodical of the Church of Jesus Christ Latter Day Saints], 5: 613-14).
12. For a more detailed discussion, see Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General Introduction to the Bible*, revised and expanded (Chicago: Moody Press, 1986), part 2.
13. For these and other citations, see Geisler and Nix, *A General Introduction*, chapter 16.
14. See Geisler and Nix, *A General Introduction*, chapter 16.

coptic-books.blogspot.com

19. Gary Habermas, *The Historical Jesus: Ancient Evidence for the Life of Christ* (Joplin, Mo.: College Press, 1996).
20. Simon Greenleaf, *A Treatise on the Law of Evidence* (Boston: C. C. Little & J. Brown, 1842).
21. Simon Greenleaf, *The Testimony of the Evangelists* (Grand Rapids: Baker, 1984 [reprint of 1874 edition]), 53-54.
22. Greenleaf, *The Testimony of the Evangelists*, 46.
23. A. T. Robertson, *An Introduction to the Textual Criticism of the New Testament* (Nashville: Broadman, 1925), 22.

Chapter 7

Tough Questions about the Bible, False Prophets, and the Holy Books of Other Religions

1. For a more complete discussion of the evidence that the Bible is the Word of God, see Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* (Grand Rapids: Baker, 1999), especially the many articles under "Bible,..."
2. See Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, "Bible, Evidence for."
3. In the context of speaking of "seventy years" (Daniel 9:2), Daniel predicted that the "Anointed One" (the Messiah) would be cut off (die) after he worked to "put an end to sin, to atone for wickedness, to bring in everlasting righteousness, to seal up vision and prophecy" (verse 24). The time of this was to be 483 years after the command to rebuild Jerusalem (given in 445/444 B.C.). But these are Jewish lunar years of 360 days (12 months times 30 days a month). So, by multiplying the five extra days per year times 483, one gets more than six years on top of the 477 (444 B.C. plus A.D. 33), which equals 483 years. This is precisely A.D. 33, the year Jesus died in Jerusalem.
4. See Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics*, "Prophecy, as Proof of the Bible."

15. Roger Beckwith, *The Old Testament Canon in the New Testament Church and Its Background in Early Judaism* (Grand Rapids: Eerdmans, 1986), 427.

16. See Geisler and Nix, *A General Introduction*, chapter 15.

17. See Geisler and Nix, *A General Introduction*, chapters 16 and 17.

18. See Geisler and Nix, *A General Introduction*, 431.

19. Some inspired books are referred to by different names but are contained in the sixty-six inspired books that make up the Bible. These include (1) the letter from Elijah contained in 2Chronicles 21: 12-15; (2) the contents of the records of Samuel, Nathan the prophet, and Gad the seer (1Chronicles 29: 29), which parallel that of 1 and 2 Samuel; (3) the "vision of the prophet Isaiah" (2Chronicles 32: 32), which are probably the same as the book of Isaiah; (4) the other accounts of the life of Jesus (Luke 1: 1), which may refer to Matthew and Mark (or to some nonexistent but noninspired records); (5) the "letter from Laodicea" (Colossians 4: 16), which may have been Ephesians, written at the same time to be circulated; and (6) a letter to the Corinthians (1 Corinthians 5: 9), which may refer to 1Corinthians, a device known as an "epistolary aorist," which stressed the urgency of the message, a device Paul used elsewhere in the same letter (1Corinthians 9: 15). So there is no evidence any inspired apostolic work is missing from the New Testament.

20. See Keith Marston, *Missionary Pal: Reference Guide for Missionaries and Teachers* (Salt Lake City: Publisher's Press, 1976), 26.

21. See N. L. Geisler and Thomas Howe, *When Critics Ask* (Grand Rapids: Baker, 1992), for a response to these and hundreds of other alleged errors in the Bible.

22. For example, The Book of Mormon teaches monogamy (Jacob 2: 23-27), but Joseph Smith later tought polygamy ("Doctrine and Covenants," 132: 1-4, 37-39).

23. See, e.g., Norman L. Geisler and Ronald Brookds, *When Skeptics Ask* (Grand Rapids: Baker, 1989); Norman L. Geisler and Thomas Howe, *When Critics Ask* (Grand Rapids: Baker, 1999); Norman. L. Geisler and Ron Rhodes, *When Cultists Ask* (Grand Rapids: Baker, 1997); and Norman L. Geisler, *Baker Encyclopedia of Christian Apologetics* (Grand Rapids: Baker, 1999).

Chapter 8

Tough Questions about Hinduism and Transcendental Meditation

1. For further reading, see Os Guinness, *The Dust of Death: The Sixties Counterculture and How It Changed America Forever*, revised edition (Wheaton, Ill.: Crossway, 1994).
2. Ravi Zacharias, *Cries of the Heart* (Nashville: W Publishing Group, 2002).
3. Francis A. Schaeffer, *Francis A. Schaeffer Trilogy [The God Who Is There; He Is There and He Is Not Silent; Escape from Reason]* (Wheaton, Ill.: Crossway, 1990).

Chapter 9

Tough Questions about Yoga, Reincarnation, and Buddhism

1. Bharat Thakur, "A Master Responds," *Time* magazine, Asia, 16 July 2001.
2. C. S. Lewis, *Mere Christianity* (SanFrancisco: HarperSanFrancisco, reprint edition, 2001), 38-39.

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

Other books by the Author

- Beyond Opinion
- Can Man Live Without God?
- Cries of the Heart
- Deliver us from Evil
- Has Christianity Failed you?
- I, Isaac, Take thee, Rebekah.
- Is There Not A Cause?
- Jesus Among Other Gods
- New Birth or Rebirth
- Recapture the Wonder
- Sense and Sensuality
- The End of Reason
- The Grand Weaver
- The Lamb and the Fuhrer
- The Lotus and The Cross
- The Real Face of Atheism
- There is A Plan

For more information, please contact:
rzim4me@gmail.com

إجابات عن أكثر الأسئلة المطروحة حول الإيمان المسيحي

تحتاج في بحثك عن الحقيقة أن تعرف ما تؤمن به، ولماذا. يقدّم كتاب **من صنع الله؟** إجابات عن أكثر من مئة سؤال شائع من الأسئلة الدفاعيّة، كما يجمع أفضل المدافعين عن الإيمان في الوسط الإنجيلي. فهذا الدليل هو أداة يستخدمها المؤمنون المسيحيون الذين يريدون أن يفهموا إيمانهم ويتكلّموا عنه بطريقة ذكية.

الجزء الأول يجيب عن أسئلة صعبة حول الإيمان المسيحي مثل:

- من صنع الله؟
- كم هي مدّة أيام الخلق في سفر التكوين؟
- كيف يمكن لثلاثة أشخاص أن يكونوا موجودين في إله واحد؟
- هل قام يسوع من الأموات؟
- ما هو قصد الله من إجازته للشرّ؟
- هل يمكن الوثوق بسجلات حياة يسوع؟
- من أين أتى الكون؟
- هل يحتوي الكتاب المقدس على أخطاء؟

الجزء الثاني يجيب عن أسئلة صعبة حول الأديان الأخرى. كما ستساعدك القصص، والأسئلة التأمليَّة، والمناقشات، ولائحة شاملة بمصادر مُقترحة، أن تحفر عميقًا لكي تجهّز نفسك لتقديم أجوبة دقيقة تشرح أسباب إيمانك.

رافي زكارايوس هو متحدّث وكاتب مشهور في علم الدفاعيات. يُبثّ برنامجه الإذاعي: «دعوا شعبي يفكّر»، عبر أثير أكثر من ألف محطة إذاعية حول العالم. ألّف كتبًا عديدة منها: «هل يستطيع الإنسان أن يحيا من دون الله؟»، «يسوع بين آلهة أخرى»، كما شارك في تأليف كتاب «هل كنيستك مستعدّة؟» وهو كتاب ملحق لكتاب «من صنع الله؟»

نورمن جايزلر: يشغل منصب رئيس كلّية اللاهوت الإنجيلية الجنوبية، وقد ألّف أكثر من خمسين كتابًا منها: «اختر لنفسك»، «موسوعة بايكر للدفاعيات»، «حين يسأل المشكّكون»، وشارك في تأليف كتاب «هل كنيستك مستعدّة؟» وهو كتاب ملحق لكتاب «من صنع الله؟»

ISBN 978-9953-530-33-8
9 789953 530338

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة

coptic-books.blogspot.com